الدكتور عبد الغني عيساوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن ورئيس قسم الكتاب والسنة
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية

تقديم الدكتور
عبد الكريم بن مخلوف مقيدش
أستاذ التجويد والحديث وعلومه
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

دار الشافعي للنشر والتوزيع

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة
الدكتور عبد الغني عيساوي
دار الشافعي

الدكتور عبد الغني عيساوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن ورئيس قسم الكتاب والسنة
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

جاءت هذه المذكرة في بيان وتعريف المشرق والمغرب بأعلام الجزائر في علم التفسير وفنونه وجهودهم المباركة فيه، بفترة زمنية طويلة... والتي أردنا من خلالها إبراز أهم الشخصيات التفسيرية وآثارهم المصنفة ـ مخطوطها ومطبوعها ـ مع التنويه على أماكن وجودها في الزوايا والمكتبات العامة والخاصة خارج الوطن أو داخله، وما خرج منها لعالم المطبوع أكان بدراسة أكاديمية أو جهود فردية، منبهين على أهم الفهارس التي حوتها وذكرتها ونوّهت بها رقما وعدد لوحات وغيرها من أمور الفهرسة.

من المقدمة

دار الشافعي للنشر والتوزيع

دار الشافعي للنشر والتوزيع
الوحدة الجوارية رقم 5 توسيع رقم 285
المدينة الجديدة، الخروب - قسنطينة / الجزائر
chafi3i-group25@hotmail.com
0668.02.15.53 / 031.92.25.71
مجمع الشافعي للكتاب

9 789931 596936

يطلب الكتاب من: مجمع الشافعي، خلف دار الثقافة
محمد العيد آل خليفة - وسط مدينة قسنطينة

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية

إعداد الدكتور

عبد الغني عيساوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن ورئيس قسم الكتاب والسنة

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

تقديم الدكتور

عبد الكريم بن مخلوف مقيدش

أستاذ التجويد والحديث وعلومه

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

دار الشافعي

للنشر والتوزيع

• **عنوان الكتاب:** أعلام التفسير في الجزائر المحروسة
• **اسم المؤلف:** د. عبد الغني عيساوي
• **الطبعة الأولى:** 1442هـ - 2021م
• **مقاس الكتاب:** 170 × 240
• **عدد الصفحات:** 288
• **ردمك:** ISBN 978-9931-596-93-6
• **الإيداع القانوني:** جوان، 2021.

طبعة دار الشافعي الأولى

1442هـ - 2021م

حُقوق الطَّبع مَحفُوظَة

دَارُ الشَّافِعِي
لِلنَّشرِ وَالتَّوزِيع

دار الشافعي للنشر والتوزيع
الوحدة الجوارية رقم 5 توسيع رقم 285
المدينة الجديدة، الخروب - قسنطينة / الجزائر
chafi3i-group25@hotmail.com
0560.90.57.29 / 031.92.25.71
مجمع الشافعي للكتاب

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المسلمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد عهد إليّ أخي الفاضل، الدكتور عبد الغني عيساوي ـ حفظه الله ونفع به ـ أن أقدم لكتابه (**أعلام التفسير في الجزائر المحروسة من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية**)، وبعد تصفحي لهذا الكتاب ـ منذ مدة ـ وجدته كتابا ممتعا، نافعا في بابه، جيدا في ترتيبه واستيعابه، بذل فيه مؤلفه جهدا علميا كبيرا ـ يُشكر عليه ـ في سبيل بيان جهود علماء الجزائر في التفسير، مع بيان أهم ملامح المدرسة التفسيرية الجزائرية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية، وهو عمل جيد ومبارك ـ إن شاء الله ـ إذ يعرف الأجيال اللاحقة بمجهودات آبائهم السابقين من علماء هذا البلد الطيب، وإسهاماتهم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، والتفسير وفنونه.

وجزى الله الأخ الفاضل الدكتور عبد الغني عيساوي خير الجزاء وجزاء الخير على ما بذل وقدم، وأسأل الله تعالى أن يبارك في علمه وعمله، وأن يوفقه لمزيد العمل والعطاء، إنه سميع مجيب الدعاء.

باتنة: 2021/5/11
الموافق 29 رمضان 1442هـ

وكتبه الدكتور
عبد الكريم بن مخلوف مقيدش
أستاذ التجويد والحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

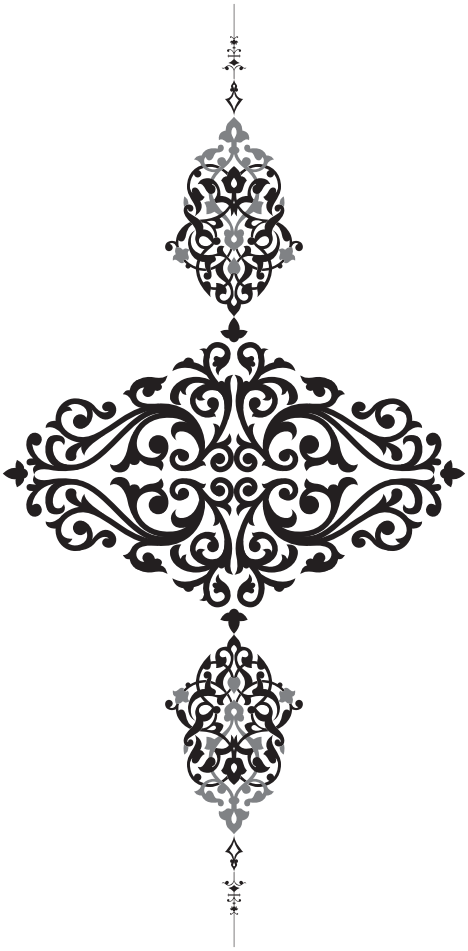

ٱلْمُقَدِّمَةُ

الفضلُ كبير عظيم على هاته الأمة بنزول **القرآن الكريم**، ومنَّة الاجتباء مكتملة ببعثة الرسول ﷺ بهذا الفرقان المبين، إذ معالم الهداية والرشاد فيه مبثوثة، ومنهج النجاح والفلاح فيه مرسوم، وأمارات القيادة والريادة فيه مجلية، وعناوين الفوز والربح بتفاصيلها فيه ظاهرة مرئية، وإنه لذكر كريم من لدن خبير حكيم.

تناولته الأمة من بعد نبيها ﷺ باهتمام بالغ وعناية بارزة، فأسالت أحبارها أنهارا، تقعيدا وتبيينا وشرحا وبيانا في علوم تنزيله وترتيله وتأويله وتدليله، فكانت بصماتها ـ سلفا وخلفا ـ تركة مباركة من العلوم وميراثا شريفا بشرف المهتَم والمحتفى به الذي هو كلام رب العالمين.

ووصلا لهذا المسلك المبارك، وتتبعا لهذا الأثر المعطر، جاءت هذه المذكرة في بيان وتعريف المشرق والمغرب بأعلام الجزائر في علم التفسير وفنونه وجهودهم المباركة فيه، بفترة زمنية طويلة ممتدة من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى جزائر الاستقلال، والتي أردنا من خلالها إبراز أهم الشخصيات التفسيرية وآثارهم المصنفة ـ مخطوطها ومطبوعها ـ مع التنويه على أماكن وجودها في الزوايا والمكتبات العامة والخاصة خارج الوطن أو داخله، وما خرج منها لعالم المطبوع أكان بدراسة أكاديمية أو جهود فردية، منبهين على أهم الفهارس التي حوتها وذكرتها ونوهت بها رقما وعدد لوحات وغيرها من أمور الفهرسة.

كل ذلك بعصبية محمودة منضبطة للجزائر ـ حرسها الله من كل ما يسوء ـ برا بها وإكراما، وتدليلا للخلف ـ أبناؤنا الطلبة على وجه الخصوص ـ بفضل السلف من أعلامنا الميامين، الذين كان لهم الفضل في حفظ ثوابت الأمة وعلى يديهم كانت المنة ببقاء الإسلام وطرق الرشاد.

ثم هي محاولة لتسديد وعلاج ثقافة مُعْوَجَّة مشوَّهة قديمة حديثة، تلك التي تمارس الازدراء والنظر بريبة لمنتوج تراث أعلامها وأبناء بلدها، وهو استصغار وتقليل من شأن العلماء وأهل العلم وحيدة عنهم وعن تراثهم ونصحهم وإرشادهم، مما جعل الفجوة تتزايد والمسافة تتباعد بين أهل العلم وعوام الناس.

وإنه قد تقرر لدي من خلال بحث الدكتوراه الذي كان حول جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن الحكم العثماني، من أن للجزائر وعلمائها بصمة وبروز في التفسير وعلومه تأليفا وتدريسا أو جمعا بينهما، قد لا يرتقي إلى درجة «المدرسِيَّة»[1]، غير أنه لا شك في تميز ونضوج بصمتها مع تفاوت في زمنية ذلك، بحسب الحال والدول المتعاقبة على أرضها والظروف السياسية والاقتصادية والحالة الفكرية والعلمية بها.

وبين يدي هذه المقدَّمة، تأكيدٌ على أربع معارف وركائز ينبغي التنبيه والتركيز عليها:

◄ **الأولى**: ضبطُ المصطلحات وتحريرُها، إذ أزمة الألقاب المدحية في التراث التراجمي للأمة ملحظ مهم ينبغي الوقوف عنده، فبين مقام الأحقية العلمية المنضبطة ومقام التزكية والمدحية سالت أودية الألقاب على الأعلام وغير الأعلام، من كونه المؤرخ الأديب اللغوي النحوي المفسِّر المحدث الفقيه وغيرها من الألقاب التي تراها مزبورة بداية الترجمة.

(1) أعني بالمدرسيَّة، كونها ذات ملامح وأسس وقواعد خاصة في التعامل مع الآي الكريم والنص القرآني عموما، يمكن من خلاله تتبعها واستقراؤها.

لذا حاولت جاهدا ضبط التسمية بالمفسِّر، وضبط هاته النسبة «الجزائري» بضوابط محددة رسما للحدود وبيانا لما قد يُبهم على باحثٍ أو يستغرب، فيَعلم الضابط فيفهم قصدي ومرادي.

كما أن المذكرة والرسالة حوت التفسير بعلومه وفنونه كلها نثرا ونظما، وهذا هو التفسير الذي أريد، أكان تفسيرا كليّا للقرآن الكريم أو سُوَرِيًّا أو آيِيًّا أو نَظْمًا، وكلّها في المحور الأول مبثوثة.

◄ **الثانية**: قسَّمتُ المادة العلمية المتوفرة بحسب الدول المتعاقبة على أرض الجزائر ـ حرسها الله من كل ما يسوء ـ ضبطا للفترة الزمانية وتسهيلا وتمكينا للطالب من تصور الأعلام في بيئتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها، مع ملاحظة أهمية الجانب التاريخي عند الحديث عن أعلام الجزائر في التفسير أو غيرها من العلوم.

لذا فإن الناظر والباحث ليجد أن المحاور جاءت مرتبة زمنيا بحسب الدول المتعاقبة على أرض الجزائر، تمت دراسة المحاور التسع الأولى في الجزء الأول من الكتاب، وبقية المحاور في الجزء الثاني منه، وهي على الترتيب الآتي:

- **المقدمة:**
- **المحور الأول: مدخل لضبط المصطلحات، الأهمية والغاية.**
- **المحور الثاني: أعلام الجزائر في التفسير من كتب الببليوغرافيا والتراجم والسير والطبقات.**
- **المحور الثالث: حركة التفسير في الجزائر زمن الفتح الإسلامي.**
- **المحور الرابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الرستمية ت س: 296هـ.**
- **المحور الخامس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة العبيدية**

الفاطمية ت س: 387هـ.

- **المحور السادس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحمادية ت س: 547هـ.**
- **المحور السابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الموحدية ت س: 668هـ.**
- **المحور الثامن: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحفصية ت س: 922هـ.**
- **المحور التاسع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الزيانية ت س: 957هـ.**
- **المحور العاشر: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة العثمانية ت س: 1245هـ.**
- **المحور الحادي عشر: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الاحتلال الفرنسي ت س: 1962م.**
- **المحور الثاني عشر: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الجزائرية المستقلة.**

◄ **الثالثة:** أهمية الإلمام ـ بصورة كلية وعامة ـ بعلم المخطوطات وتحقيق النصوص وما تحويه من مواضيع ومسائل كقواعد التحقيق، وعلم الفهرسة... إلخ، مع إلمام بعالم المطبوعات وما يصدر من دراسات أكاديمية في هذا التخصص، داخل الوطن وخارجه.

◄ **الرابعة:** الاهتمام بعلم التراجم والسير والطبقات والفهارس والرحلات، باعتبارها مظان وجود تراجم علماء الجزائر فيها، لذا خصصتها بمحور مستقل لأهميتها، وهي نوعان:

- **الأول**: كتب التراجم عموما.
- **الثاني**: كتب التراجم الخاصة، وهذا الخصوص يراد به أنواع التراجم التالية:

1. التراجم المتعلقة بمكان معين، كصنيع الإمام الغبريني في كتابه »عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة«، والإمام الكتاني »سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس«.

2. التراجم المتعلّقة بمذهب فقهي معيّن، كصنيع ابن فرحون المالكي في كتابه «**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**».

3. التراجم المتعلّقة بفنّ معيّن، كصنيع الشيخ محمد مختار إسكندر في كتابه «**المفسرون الجزائريون عبر القرون**».

4. التراجم المتعلّقة بشخص معيّن، كصنيع الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في تأليفه عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الذي سمَّاه «**بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**».

5. التراجم المتعلقة بذات المؤلف وحياته، كصنيع أحمد بن قاسم البوني الجزائري في كتابه «**التعريف بما للفقير من التآليف**».

- **المنهج المتبع في كتابة تراجم أعلام التفسير الجزائريين:**

في بداية كل محور من المحاور العشر المخصصة للأعلام استفتحتُ التراجم بمقدمة موجزة لا تتعدى الصفحة ـ غالبًا ـ جعلتها لتاريخ تلك الدولة، منوها على مؤسسها الأول وبعض الحوادث فيها مما له أثر على خط سير الحركة العلمية الفكرية فيها خاصة ما تعلق بالثورات والحروب الداخلية والخارجية، وأختمها بكيفية سقوطها وتاريخه.

وبعد انتقاء العَلم والتثبت من دخوله في زمرة أعلام الجزائر الذين خدموا

التفسير تدريسا أو تأليفا أو جمعا بينهما زمن تلك الدولة، أذكر اسمه الكامل وشهرته وكنيته، ثم مكان ولادته وتاريخها، شارحا في المتن وفي بعض الأحيان في الهامش أسماء تلك المدن والقرى والمناطق إن كانت غريبة غير مشتهرة، وتسميتها حديثا رابطا لها بالولاية التابعة لها إداريا، ثم أتبع ذلك بالألقاب العلمية التي سيقت له في كتب التراجم من كونه مفسِّر محدِّث مؤرخ أديب لغوي رحالة وغيرها، ذاكرا لجملة من عبارات التحلية التي كان أهل التراجم يستفتحون بها ترجمته، مركزا على ثلة من أعلام أهل التراجم المشتهرين كالتنبكتي في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، وابن مريم في «البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان»، وابن مخلوف في «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، والسخاوي في «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، وابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»، وغيرها كثير، وحاولت جاهدا عدم اعتماد الحفناوي صاحب «تعريف الخلف برجال السلف» في ذلك، لأنه كان مقلدا ناقلا جامعا لا رأي له.

ثم أُورد جملة من مشايخه الأعلام وأفصِّل في العلوم التي أخذها عن كل شيخ وأسماء الكتب والفنون التي درسها، ومرد ذلك للمادة العلمية من وجود وعدم، وأذكر جملة من أسماء طلبته ومن أخذ عنه من الشيوخ داخل الحواضر الجزائرية أو حتى خارجها، كما أحاول التركيز على جملة رحلات الشيخ والحواضر العلمية التي تنقل بينها وأخذ من أعلامها، وعند بعضهم المناصب التي تقلَّدها.

ثم أورد جملة من تآليفه وتصانيفه، منوها على أماكن مخطوطاتها بأرقامها وأسماء مكتباتها في الداخل والخارج، محاولا التنبيه إن وصلتها يد التحقيق أم لا، وهل حققت كأعمال في الدراسات الأكاديمية أو غيرها، خاتما كل ذلك بتاريخ وفاته ومكانه.

وفي عنوان جاء تحت اسم: **صلته بالتفسير وعلومه**، أبرز علاقة الشيخ

الإمام بالتفسير إن تدريسا أو تأليفا، ناقلا لتحلية الأعلام له بأنه «مفسِّر»، ثم أورد كل من ذكر له مجلسا تدريسيا أكان تلميذا أو ناقلا، مشيرا بحسب المادة العلمية لما كان يلقيه في ذلك المجلس، قراءةً في تفسير مشتهر على عادتهم المعروفة آنذاك، أو تفسيرا من عنديته أم قراءة لتفسير ألَّفه هو.

ثم أذكر تصانيفه في التفسير أو علومه محصيا لها ذاكرا لأماكنها وأرقامها ومواطنها في مكتبات العالم، وضمن مبحث منهجه في التفسير، أقوم بدراسة منهجه التفسيري لمصنفه الذي وقع بين يدي من مخطوط أو مطبوع، متطرقا لجملة علوم القرآن التي طرقها المفسِّر في تفسيرِه ومنهجه في إيرادِها وموقفه منها، كعلمِ القراءات والنَّاسخ والمنسوخ والإسرائيليات والتفسير بالمأثور والتفسير الإشاري، ومدى اعتماده على اللغة والبلاغة والنحو وغيرها مما يطرح عادة في دراسة مناهج المفسرين في تفاسيرهم.

- **عدد تراجم أعلام التفسير في كل دولة:**

أحصيتُ في الجزء الأول من هاته الدراسة الممتدة من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية، ما مجموعه (38) عَلما من أعلام الجزائر في التفسير ممن خدموه تدريسا أو تأليفا، جاءت موزعة بحسب الدول المتعاقبة على أرض الجزائر كالتالي:

- في الدولة الرُّستُميّة أحصيت 03 أعلام.
- في الدولة العُبَيْدية الفاطميّة أحصيت عَلَمَيْن.
- في الدولة الحمّادية أحصيت عَلمين أيضا.
- في الدولة الموحّديّة أحصيت 04 أعلام.
- في الدولة الحَفْصية أحصيت 12 عَلَمًا.
- في الدولة الزِّيانيّة أحصيت 15 عَلَمًا.

منوّها في ختام ما تقدم إلى أن هذا العدد لا يمثل حقيقة الأعلام الجزائريين في هذا الفن النبيل الذي اعتنت به الحواضر العلمية الجزائرية، وأن سبب صعوبة الإحصاء الدقيق يرجع لقلة المصادر التي أرخت لتلك الفترات الزمنية، وبقاء كثير منها مخطوطا لم يفهرس بعد فضلا على أن يطبع. كما ننبه إلى عدم وجود أي عمل تفسيري تدريسا أو تأليفا زمن الأدارسة والأغالبة في أرض الجزائر، لذا لم أجعل لهم محورا مستقلا.

وهي فرصة أنتهزها لبث روح المسؤولية وتأجيجها في ضمائر طلبتنا الأعزاء لأجل الاعتناء بتراث أجدادهم وشيوخهم وأعلامهم وليسارعوا في ذلك، قبل أن تناله أيادي التجار والأجانب.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل وأن يبارك فيه، وأن يكون عونا للمهتمين بتراث علماء الجزائر في التفسير وفي غيره من العلوم والفنون.

والحمد لله رب العالمين.

خليل / برج بوعريريج

الجزائر

2018/01/04م

17 ربيع الثاني 1439هـ

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الأول:

مدخل لضبط المصطلحات

- الأهمية والغاية -

المحور الأول: مدخل لضبط المصطلحات، الأهمية والغاية[1]:

الناظر في كتب التراجم والسير، كذا الرحلات والطبقات والفهارس وغيرها، يلحظ وبجلاء الألقاب المدحية التي تُكال وتُصَفُّ في ترجمة العَلَم الواحد، من قولهم: المؤرخ، الفقيه، المفسِّر، المحدِّث، اللغوي، الفرضي، النحوي، الأديب، ... وغيرها من الألقاب التي يحار الباحث ـ المعاصر ـ في فهمها وإيجاد ضوابط محدِّدة لتلك التوصيفات التي يستفتح بها أهل التراجم تراجمهم في الغالب، فغدت آفة وظاهرة امتازت بها كتب التراجم والسير قديما، وسنة متبعة قلَّدها بعض المعاصرين الذي اعتنوا بعلم التراجم والسير، مع اختلافهم في إيرادها إقلالا وإكثارا.

وبين كونها ممارسات تزكوية مدحية خالصة أو ألقابا علمية موزونة ومضبوطة، تبقى الحاجة ماسة في الدراسات الأكاديمية المعاصرة لوضع ضوابط وتعريفات محدِّدة لكل لقب وصفة، وهو ما ينسحب بتمامه على التفسير وعلومه، وعلى التسمية بالمفسِّر.

وخروجا من دائرة المصطلحات الفضفاضة غير الدقيقة والمضبوطة، كان هذا المحور الذي يتطرق للألفاظ والمصطلحات المستخدمة في المقياس، مريدا ضبطها وفهمها وتحديدها، ليسهل على الطالب تصور تلك الألقاب ووضعها في ميزانها العلمي، ومنه تمييز وتفريق نوايا أصحابها في كتب التراجم والسير

(1) غالب المحور مقال منشور لي في مجلة «المعيار» بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد:43، سنة:2018.

بين ما تقدم من مقام التزكية أو مقام الأحقية العلمية، ومحاولة لإصلاح ما نراه من تكلف واضح في نسبة بعض الأعلام لغير تخصصاتهم إلا استكثارا ومفاخرة وليا للفنون ومصطلحاتها.

● **أولا: المُفسِّر:**

كان السبق والفضل ـ بما هو مشتهر الآن ـ في التنويه والكتابة في فن طبقات المفسرين للإمام السيوطي صاحب التصانيف الكثيرة البديعة بمؤلَّفه »طبقات المفسرين«، وعُدَّ كتابه هذا أوَّل تصنيف في هذا الباب وهذا الفن كما قرَّره الدكتور مساعد الطيار[1]، خاصة وأنه ألمح لذلك في مقدمته قائلا: «وبعد، فهذا المجموع فيه طبقات المفسرين، إذ لم أجد من اعتنى بإفرادهم كما اعتُني بإفراد المحدثين والفقهاء والنحاة وغيرهم»[2]، وهو تقرير لا يُسلَّم للإمام فيه ولا للناقلين له، إذا عُلم أن الإمام الأدنويه المتوفى سنة: 1095هـ جعل من مصادره ومراجعه التي اعتمد عليها في كتابه «طبقات المفسرين»، كتاب «مختصر طبقات المفسرين» للإمام البيضاوي المتوفى سنة: 685هـ، ولا يُعلم هل هو اختصار لمطولٍ في طبقات المفسرين كتبه أحد الأعلام واختصره البيضاوي، أم أن التأليف يحمل هذا العنوان، وهو ما لا يمكن الجزم به لفقد المخطوط، بل وقلة اشتهاره عند من ألَّف في هذا الفن.

ولعل الجامع بين كتب طبقات المفسرين الثلاث، للسيوطي والداودي والأدنويه، أنها كُتبُ تراجم لأشهر المفسرين وأعمالهم، إذ حوى كتاب السيوطي 136 ترجمة، وكتاب تلميذه الداودي 704 ترجمة، وكتاب الأدنويه ما يقارب تراجم الداودي، والذي اعتبره البعض ذيلا عليه، واختلفوا في طريقة ترتيب

(1) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:02، ت:1427هـ، ص:207.

(2) **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:01، ت:1396هـ. ص:21.

التراجم بين مؤلِّفٍ فيها مرتبٍ لها ألف بائيا، وآخر موزعٍ لها بالقرون جاعلٍ من المئة سنة طبقة لوحدها، والأقدم فالأقدم بدءا من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى آخر عهده كالإمام الأدنويه.

غير أن اللافت للانتباه أنهم اختلفوا كثيرا في مسمى «المفسِّر»، وما البون الكبير بين تراجم المفسرين على الرغم من تقارب سني الوفاة بينهم إلا دليلا على ذلك، كما أنهم لم يجعلوا في مقدمة كتبهم ـ الثلاث ـ ضوابط محدِّدة لمفهوم المفسِّر وتعريفه، وما حد دخول المفسِّر في الطبقة أو خروجه منها.

لذا اختلط الأمر بين ناقل للتفسير ومؤلِّف فيه ومدرِّس له، وصاحبِ حديث روى نتفا من تفسير الآيات القرآنية في مسنده وبين شيخ قرأ من التفاسير المشتهرة، وغير ذلك من التوسعة التي لم يجعل لها الأعلام ضابطا محددا في مسمى المفسِّر، خلافا لما وجدته من اهتمام بالغ بتعريف التفسير وعلومه والفرق بينه وبين التأويل وغيرها من المسائل التي أصبحت مشتهرة إن ذكر مصطلح التفسير.

وبتقسيم السيوطي للمفسرين إلى أربع طبقات[1] يظهر ما أشرتُ إليه آنفا من التداخل والاختلاط في مسمى «المفسِّر» إذ جعلهم أربعة أنواع فيقول: «واعلم أنهم أنواع:

---

(1) بدراسة كتب الطبقات الثلاث قام الدكتور مساعد الطيار بتقسيم طبقات المفسرين إلى أربع قال فيها: «ولو سبرت المفسرين المذكورين في كتب طبقات المفسرين، واطَّلعت على ما دوَّنوه من منجزاتهم في التفسير، لظهر لك أنَّهم لا يخرجون عن أربعة أنواع:
الأول: طبقة المجتهدين الأُوَل: من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، الذين دونت أقوالهم في كتب التفسير المسندة. **الثاني**: نَقَلَةُ التفسير: وهم جملة من المحدِّثين وغيرِهم ممن لم يكن لهم إلاَّ النقل لتفسير من سبقهم، ولم يكن لهم فيه أيَّ رأي واجتهاد. **الثالث**: المفسر الناقد: وهو الذي يجمع مرويات المفسرين ويرجح بينها، وهو صاحب رأي، لأنه يستعرض الأقوال المذكورة في الآية، ثمَّ يختار منها ما يراه راجحًا، فاختياره قولاً من الأقوال دون غيره رأيٌ واجتهادٌ منه، ولذا فهو من الذين لهم رأي في التفسير. **الرابع**: المفسر المتخيِّر قولاً واحدًا: وهو أن يعمد المفسر إلى أقوال التفسير فيختار منها قولاً دون غيره، ولا يتعرَّض لنقد ما سواه». أُنظر: «**مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**»، ص:215/210، بتصرف.

الأول: المفسرون من السَّلف والصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

الثاني: المفسرون من المحدثين، وهم الذين صنَّفوا التفاسير مسندةً، مورداً فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد، وهذان النوعان تراجمهم مذكورة في طبقات الفقهاء.

الثالث: بقية المفسرين من علماء أهل السنة، الذين ضموا إلى التفسير التأويل والكلام على معاني القرآن، وأحكامه وإعرابه وغير ذلك، وهو الذي الاعتناء به في هذا الزمان أكثر.

الرابع: من صنَّف تفسيراً من المبتدعة، كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم.

والذي يستحق أن يُسمى من هؤلاء، القسم الأول ثم الثاني، على أن الأكثر في هذا القسم نقلة، وأما الثالث فمؤولة، ولهذا يسمون كتبهم غالباً بالتأويل»[1].

قلتُ: قد جعل السيوطي من النَّقلة للتفاسير المسندة في كتب الحديث مفسِّرين، وهو بهذا يجعل من مسمى «المفسِّر» من كانت له مشاركة فيه ولو بنقل التفاسير من كتب الحديث، وهذا غير لازم فيما سأورده وأبحثه.

وقد تنوعت عبارات العلماء وتعددت في تحديد شروط المفسِّر وعدِّها، كما اختلفوا في مقدار الإلمام بها والإحاطة، ولعل من أوائل من عدَّ هذه العلوم الراغب الأصفهاني المتوفى سنة: 502هـ، فقد عقد لها مبحثا في تفسيره بعنوان: «بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسِّر»وجعلها عشرة علوم: وهي علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة[2].

وأظهر الإمام الكافيجي الخلاف في عدِّ تلك العلوم وانتصر لمذهب الجمهور

---

(1) **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص:21.

(2) **تفسير الراغب الأصفهاني**، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، القاهرة، ط:01، ت:1999م، ج:1، ص:39.

في مبحث العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر إذ يقول: «وهل تنحصر في عدد معين؟ فقال بعضهم: إنها تنحصر في خمسة عشر عِلما، وقال الآخر منهم: إنها تنحصر في أربعة وعشرين عِلما، ومنهم من قال: إنه لا تنحصر في عدد معين معلوم لنا، لكن الذي اختاره الجمهور وعليه العمل الآن هو الأول»[1].

وهو اختيار الإمام السيوطي[2] الذي لم يُجز لمن لم يكن جامعا للعلوم الخمسة عشر أن يُفسِّر القرآن أو يتصدى للكلام فيه وفي معانيه، وهذه العلوم باختصار هي:

الأول: اللغة. **الثاني**: النحو. **الثالث**: التصريف. **الرابع**: الاشتقاق. **الخامس**: المعاني. **السادس**: البيان. **السابع**: البديع. **الثامن**: علم القراءات. **التاسع**: أصول الدين. **العاشر**: أصول الفقه. **الحادي عشر**: أسباب النزول والقصص. **الثاني عشر**: الناسخ والمنسوخ. **الثالث عشر**: الفقه. **الرابع عشر**: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. **الخامس عشر**: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

ولم يجزم الإمام الزمخشري بعدد معين، غير أنه اشترط أن «لا يتصدّى منهم أحدٌ لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في عِلمين مختصين بالقرآن، وهما **علم المعاني** و**علم البيان**، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ»[3].

---

(1) **التيسير في قواعد علم التفسير**، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط:01، ت:1998م، ص:27.

(2) **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:01، ت: 1394هـ/1974م، ج:4، ص:215/213.

(3) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:03، ت:1407هـ، ج:01، ص:03.

وهو بهذا يؤكد حرصه على الإلمام والإحاطة بهذين الفنين من علم البلاغة مازجا في نصه ـ كما هم الآخرون ـ بين جملة العلوم الشرعية وعلوم الآلة.

ونفس الأهمية أولاها الزركشي لهذا الفن إذ جعله» أعظم أركان المفسِّر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك»[1].

ويبقى السؤال: ما المقدار والحد الذي ينبغي على المتصدي لهذا الفن بلوغ سقفه كي يتسنى له التفسير، والقول بكفاءته في ذلك؟ وما المقصود بالإحاطة والإلمام عند الزمخشري والزركشي وغيرهما؟ إذ قد بلغ عندهما أنه أعظم أركان المفسِّر، ونفس الأمر ينسحب على بقية العلوم والفنون والتي ليس بلازم الإحاطة بها، كما هو شأن علم البلاغة إن استثنيناه.

كما أن بروز المفسِّر في علم من العلوم كالفقه مثلا، يجعل تفسيره يصطبغ به حتما لازما، بل وحتى دون إدراك منه في بعض الحالات، ونفس الأمر في القراءات والإعراب وغيرها، ويبقى تحرير القول في هذه العلوم ومقدارها وحدِّها نسبيا لا يمكن الجزم به والفصل فيه.

وكل ما سبق إيراده يدخل ضمن ما أسميته **بشروط الأهلية العلمية للمفسِّر**، والتي هي القسم الأول من شروط أهلية المفسِّر.

ولعل هذه العنونة جاءت استجماعا لما وقعتُ عليه من توسعٍ كثير واختلافٍ كبير في ضبط هذه العلوم وعلاقتها بالمفسِّر في كتب من تطرق لها من الأعلام، فقد أطلق عليها طاش كبري زاده «شروطا للمفسِّر» وجعلها عِلمًا منفردا، إذ يقول: «علم معرفة شروط المفسِّر وآدابه»[2]، وسمَّاها الراغب الأصفهاني

---

(1) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:01، ت:1957، ج:1، ص:311.

(2) **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، طاش كبري زاده، تحقيق: اللجنة العلمية للدار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:1985م، ج:2، ص:535.

«الآلات التي يحتاج إليها المفسِّر»، كما سمَّاها أبو طالب الطنزي[1] «أدوات المفسِّر»[2]، واختار الكافيجي تسميتها بـ«العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر»[3] ووافقه السيوطي في تسميته، وذكر أنها «العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر»[4]، وهي نفس تسمية صاحب مخطوط «تفسير المباني» غير أنه لم يذكر لفظ العلوم إنما قال في الفصل السابع: «ما يحتاج إليه المفسِّر»[5]، وسمَّاها ابن زمنين في تفسيره بـ«خصال المفسِّر»[6] ينسب القول ليحيى بن سلام، إذ يقول: «قال يحيى: ولا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة»، وهو ما ذكره أيضا صاحب «تفسير المباني» حينما عدَّد ما يحتاج إليه المفسِّر بعشر خصال فقال: «يحتاج من تكلم في تفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى عشر خصال»[7]، وسمَّاها الشيخ طاهر بن عاشور بـ«علوم الاستمداد» عند حديثه في المقدمة الثانية من مقدمة تفسيره حول «استمداد علم التفسير للمفسِّر العربي»[8].

---

(1) كذا ذكره طاش كبري زاده، ولم أجد له أي ترجمة أو تصنيف، وغالب الظن أن اسمه وقع فيه تحريف، فالله أعلم.

(2) **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، طاش كبري زاده، ج:2، ص:536.

(3) **التيسير في قواعد علم التفسير**، محمد بن سليمان الكافيجي، ص:27.

(4) **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4، ص:213.

(5) مخطوط: **تفسير المباني**، لمجهول، لوحة رقم:10، منه قطعة في مكتبة الدولة ببرلين، تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الحجر برقم 1031، على موقع المكتبة في الأنترنت، ومنها استفدت، وبَحَث الدكتور غانم قدوري الحَمَد نسبة هذا الكتاب في بحث له نشره في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد بعنوان: «مؤلف التفسير المسمى: **كتاب المباني لنظم المعاني**» في عددين متتاليين هما العدد رقم 164 والعدد 165 سنة: 1404هـ، وقد ذكر في بحثه هذا أدلة ترجح نسبة هذا الكتاب ومقدمته المنشورة إلى الشيخ أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام المتوفى بعد سنة 425هـ.

(6) **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط:01، ت:1423هـ/2002م، ج:1، ص:114.

(7) مخطوط: **تفسير المباني**، لمجهول، لوحة: 64.

(8) **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ت:1984م، ج:1، ص:18.

أما عن القسم الثاني من شروط الأهلية فقد جعلته بعنوان: **شروط الأهلية التدينية**، ذلك أن غالب من تكلم في هاته المسألة من الأعلام في مصنفاتهم، تطرق لموضوع تدين المفسِّر وتقواه وأمانته وصلاحه ظاهرا وباطنا، وهي شروط «تدينية» تخص سيرته وأخلاقه والتي بها يصبح مؤهلا لخوض غمار التفسير، بل جعل الزركشي ذلك أصلا للوقوف على معاني القرآن وتدبره إذ يقول: «أصل الوقوف على معاني القرآن، التدبر والتفكر، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق، أو معتمدا على قول مفسِّر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعا إلى معقوله، وهذه كلها حجبٌ وموانع، وبعضها آكد من بعض، إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرا إلى قدرته، تاركا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئا من حوله وقوته، معظما للمتكلم مفتقرا إلى التفهم، بحال مستقيم وقلب سليم وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب وشهادة غيب الجواب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد...»[1].

وفي التراث التفسيري لعلماء الجزائر، وحول شروط الأهلية العلمية والتدينية للمفسِّر، لم أقف فيما ظهر لي من مخطوطات أو حتى مطبوعات، من خصَّ هذا الموضوع بتصنيفٍ منفرد أو ضمَّنه أحد تصانيفه، غير **عَلَمين اثنين**:

(1) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد الزركشي، ج:2، ص:180.

الأول: الإمام محمد بن علي السنوسي الجزائري[1] برسالته: «نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن»[2]، التي جاءت في: 24 لوحة، ومسطرتها 25، بخط نسخي دقيق، ذكر أنها حوت «مقدمة وخاتمة وثلاثة أبواب»[3]، أما المقدمة فقد جعلها لمعنى وتعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحا والفرق بينهما.

ثم ذكر في الباب الأول: شروط تعاطيه ـ التفسير ـ والتصدي له، وأورد الخلاف في حكم تفسير القرآن أصالة، وهل يجوز الخوض فيه أم لا؟ وأورد حجج كل فريق بأدلته، ليرجح القول بالجواز رادا على أدلة القائلين بالمنع مطلقا إلا ما جاء بنص نبوي، بعد أن توسع شرحا في أمر المحكم والمتشابه وتعريفهما وحكم تفسير آياتهما، مرجحا أيضا جواز تفسير المتشابه إن كان بسند عن النبي ﷺ قائلا: «وهو الصواب»[4].

ثم أورد شروط المفسِّر التي عبَّر عنها أنها اختيار جمهور العلماء، وأورد الشروط الخمسة عشر التي في «الإتقان» وبنصها، غير أنه كان يذكر نص كلام السيوطي موجزا له، ثم يعقبه بكلام أبي حيان شارحا به غالبا، ويذكر كلام الزمخشري أحيانا.

ففي الشرط الثامن ـ مثلا ـ يذكر شرط: علم القراءات، الذي شرحه السيوطي بالقول: «لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه

---

(1) الحسني الإدريسي، أبو عبد الله، مؤسس الطريقة السنوسية. ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل، تنقل في البلاد العربية، وفي سنة:1257هـ رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر وبنى «الزاوية البيضاء»، فعمت الدعوة السنوسية ليبيا، انتقل إلى زاوية الجغبوب سنة: 1273هـ فأقام بها إلى أن توفي فيها سنة 1276هـ. له: «المسائل العشر»، و«الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية» وغيرها. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:1، ص:179. و«**الأعلام**»ج:6، ص:299.

(2) نسخة الشيخ بوخبزة التطواني المغربي، على موقع: جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، رقم:08 من مخطوطات المكتبة:

832=http://www.maghrawi.net/?taraf=Makhtotat&op=geninfo&did

(3) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، محمد السنوسي، نسخة الشيخ بوخبزة التطواني، لوحة:01.

(4) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، محمد السنوسي، لوحة:02.

المحتملة على بعض»[1]، ثم يعقب عليه الإمام السنوسي مباشرة بكلام أبي حيان إذ يقول: «قال أبو حيان: «وقد صنَّف علماؤنا في ذلك كتبا لا تكاد تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن البَاذش[2]، وفي القراءات العشرة كتاب «المصباح» لأبي الكرم الشَّهرزوري[3]»[4]، ثم يضيف هو قائلا: «وأشهرها اليوم «النَّشر» لابن الجزري و«حرز الأماني» للشاطبي وشروحها كالجعبري»[5].

وعلى سائر الشروط الخمسة عشر سار الإمام السنوسي بهذا المنهج عموما، وكان يبرز علمه ويظهر شخصيته في مؤلَّفه هذا بتعليقات وإضافات متعددة، كما في الشرط الثالث عشر مثلا، عند شرط الفقه، إذ يقول: «لأنه بمعرفته يستفيد طريق الاجتهاد، ومن تصرُّف الفقهاء في الحوادث وكيفية بعضها على بعض وما اتفق عليه وما اختلف ليعرف الإجماع كي لا يخرقه، فإنه حرام إن كان مستنده نصا وإلا فخلاف»[6].

وبعد أن أتم ذكر شروط المفِّسر الخمسة عشر التي ذكرها الإمام السيوطي، عقَّب عليها بالقول: وقد ردَّها أبو حيان إلى سبعة أوجه» ثم ذكرها مرتَّبَةً،

---

(1) **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4، ص:215.

(2) أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش: عالم بالقراءات، أديب كان خطيب غرناطة، قرأ السبع على أبي الحسن بن كوثر، وقرأ عليه الحافظ محمد بن يوسف بن مسدي، توفي بعد: 630هـ وقيل سنة: 540هـ، له: «الإقناع في القراءات السبع». انظر: «**الأعلام**»، ج:01، ص:173، و«غاية النهاية في طبقات القراء»، ج:1، ص:83.

(3) المبارك بن الحسن بن أحمد الشَّهرزوري، أبو الكرم: عالم بالقراءات مجوّد لها، قال أبو محمد بن الخشاب: هو شيخ ثبت يقظ، صحيح السماع عارف بالقراءات، حسن الأداء لها سمعت منه بقراءتي عليه، صنّف «المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر» رواه من نحو خمسمائة طريق. توفي ببغداد سنة: 550هـ. انظر: «**الأعلام**»، ج:05، ص:270. و«**غاية النهاية**»، ج:02، ص:38.

(4) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، محمد السنوسي، لوحة:10.

(5) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، لوحة:10.

(6) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، لوحة:10.

ذاكرا لها بالأوجه لا بالشروط.

ثم عقَّب على هذا الحصر بالقول: «ثم اعلم أن ردَّه لهذه العلوم إلى هذه السبعة الأنواع أقرب إلى التحقيق، لأنها وإن كانت قريبا من خمسة عشر السابقة، لا توجد غالبا إلا في هذه الأنواع السبع، فإن التصريف الغالب عليه وجوده في كتب النحو، والاشتقاق قد يوجد مع التصريف فكانا من قبيل واحد»[1]، ثم راح يبرر ويرجح مقولة أبي حيان في هذا الحصر، وهو دليل على حضور شخصيته العلمية.

ثم انتقل الإمام السنوسي إلى الباب الثاني والذي جعله بعنوان: آدابه في حال إتمامه، وهي عنونة تدل على آداب ما بعد تمام الشروط واستكمالها والتي اصطلحتُ عليها بالأهلية العلمية، ومراده من هذا الباب آدابه في فن التفسير من حيث تقديم العلوم وتأخيرها، سواء في العمل بها أو حتى تحصيلها.

وضمَّن هذا الباب ما اصطلحتُ عليه بشروط الأهلية التدينية للمفسِّر، من صحة اعتقاد ولزوم سنة وتدين وتعبد وزهد وغيرها.

ثم انتقل إلى الباب الثالث، الذي جاء بعنوان: طبقات المفسرين، والذي تحدَّث فيه مطولا عن أربع طبقات باين فيها كل من سبقه في التفصيل في مسألة طبقات المفسرين كالسيوطي والزركشي والداودي وغيرهم، بل استدل على هذا التقسيم بحديث أفضلية القرون[2]، إذ يقول: «ثم إني أجعل ذلك على

---

(1) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، محمد السنوسي، لوحة:11.

(2) لحديث الخيرية والأفضلية طرق وروايات عدة، ويظهر أن الإمام السنوسي اعتمد رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**خير القرون القرن الذي أنا فيهم، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع لايعبأ الله بهم شيئا**»، لأن قول الإمام السنوسي: «المشار إليها بالثاني»، وقوله: «والمشار إليها بالثالث» دليل على اختياره لهذه الرواية. وهو في **حلية الأولياء** عن زيد بن وهب برقم:5263. وعلَّق عليه بالقول: غريب من حديث الأعمش، لم يروه عنه إلا إسحاق.

والحديث متفق عليه بلفظ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**». أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد

أربع طبقات:

الأولى: طبقة الصحابة المشار إليها بالقرن الأول.

الثانية: طبقة التابعين المشار إليها بالقرن الثاني.

الثالثة: طبقة تابعي التابعين المشار إليها بالثالث.

الرابعة: طبقة من جاء بعدهم إلى آخر الدهر»[1].

ثم شرع في تعريف كل طبقة وبيان أعلامها وطريقتها وبعض تصانيفها، كما تطرق لبعض المسائل الفرعية من حكم الأخذ بقول الصحابي، وحكمه حال التعارض مع آخر، ووصف في الطبقة الأخيرة الكثير من المفسرين وأعمالهم التفسيرية ومناهجهم أكانوا مبتدعة أو غير ذلك، فخرج الباب الثالث غنيا بمباحثه ثريا بلمساته العلمية الفريدة.

ثم ختمها بخاتمة خصَّها بتفصيل القول في تفاسير الصوفية، وأسلوبهم في التعاطي مع الآي القرآني الكريم، وبيَّن المذموم منها والممدوح، ومثَّل لبعضها مستدلا بأقوال العلماء وبعض أعلام الطرائق الصوفية كصاحب «الفتوحات» والإمام الشعراني وغيرهم، وقد دندن حول إبراز مفهوم الباطن والظاهر للآية القرآنية في تفاسيرهم مدافعا عن أسلوبهم مبررا له في بعض الأحيان، وذاما لبعض شطحاتهم وخزعبلاتهم في بعضها الآخر، مبينا علل سقوطهم فيها.

ويبقى هذا العمل للإمام السنوسي من أبرز وألمع ما أُلِّف في بابه في التراث التفسيري وعلومه عند علماء الجزائر، ولحد الساعة لم تظهر لنا نسخة ثانية يمكن اعتمادها في إخراج هذا الكنز المدفون لعالم المطبوع، وحتى تلك اللحظة فإنه عملٌ جدير بأن تُشدَّ الرحال لطلب نسخته الثانية ولا غرو.

على شهادة جور إذا أشهد، حديث:2530. ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث:4706.

(1) مخطوط: **نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن**، محمد السنوسي، لوحة:15.

أما عن العمل **الثاني** في التراث التفسيري لعلماء الجزائر، حول شروط الأهلية العلمية والتدينية للمفسِّر، فمخطوط: «عمن يتصدى لتفسير كلام الله» للشيخ إبراهيم حفَّار الإباضي[1]، وقد ذكر الشيخ يوسف بن بكير أن للشيخ رسالة مطولة في شروط المفسِّر[2]، ولعله لم يطلع عليها لذا لم يهتد لعنوانها الصحيح، خاصة أنه وَهِم في تسميتها بالرسالة المطولة، وهي لا تتعدى حدود 06 لوحات، ولعل الوهم كان بسبب تسمية المجموع الذي تضمن تلك اللوحات باسم الرسالة: «عمن يتصدى لتفسير كلام الله»، والمجموع عبارة عن فتاوى فقهية وعقدية وسلوكية متنوعة، كان من بينها تلك اللوحات التي أنا بصدد الحديث عنها.

وهاته اللوحات ذكر الشيخ أنها جواب عن سؤال حول «من يتصدى لتفسير كلام الله وحديث رسول الله، ويتعاطى جَلَّ غامضه، وهو صفر الكف من الدراية والرواية، ومن التشبَّع من روح المعقول والمنقول، اللذين هما الشرط الوحيد والأصل الفريد في الدنو من صناعة تفسير القرآن والحديث»[3].

وقد استفتح الشيخ رسالته بالتعريف والتفريق بين التفسير والتأويل، ثم تطرق لشروط المفسِّر، والتي نقلها بتمامها وحرفيا من كتاب: «الإتقان» للسيوطي، ولم تظهر فيها أي زيادة أو نقصان، فضلا عن تحليل أو تبيان.

---

(1) الشيخ إبراهيم بن بكير حفار، ولد في القرارة بميزاب عام 1890م، تتلمذ بمعهد القطب الشيخ اطفيَّش ببني يسجن، مكث فيه خمسة أعوام، وقد خصَّه القطب بدرس في غير الوقت العام للطلبة. انتقل إلى تونس وأخذ علم القراءات في جامع الزيتونة، وعند رجوعه من تونس اشتغل بالدعوة والتعليم، ساهم في إنشاء المعهد الجابري، وكان من أبرز الشيوخ به إلى أن توفي. له تآليف كثيرة، توفي سنة: 1954م. أُنظر: «**نهضة الجزائر الحديثة**»، ج:2، ص:145/147. و«**تاريخ بني ميزاب**»، ص:274.

(2) **تاريخ بني ميزاب**، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المطبعة العربية، الجزائر، ط:3، ت:2014م، ص:275.

(3) مخطوط: **عمن يتصدى لتفسير كلام الله**، الشيخ إبراهيم حفار، ضمن مجموع لفتاوى الشيخ، من الصفحة:50 إلى 56. نسخة مكتبة الحاج أسعيد محمد بن أيوب، غرداية، دون ترقيم، ووجب التنبيه لفضل الأستاذ والشيخ: بشير بن موسى الحاج موسى، الذي صوَّر لي النسخة، وكان عونا لي ومرشدا في رحلتي حول مخطوطات التفسير بغرداية، فجزاه الله خيرا، وشكر له حسن أدبه وطيب أخلاقه.

ثم انتقل للأخذ عن الغزالي من إحيائه ثم أبي حيان من تفسيره ثم الزركشي من برهانه، فكانت الرسالة من بدايتها إلى نهايتها تركيبا ولصقا للكلام، وختمها بنصيحة ـ زهدية ـ تحذيرية من الخوض في التفسير بغير علم، وعن التفسير بالرأي المذموم شرعا.

وهي بهذا الوصف لم تكن ذات فائدة علمية أو بصمة تجديدية في هذا الموضوع من شروط المفسِّر، بل كان ناقلا لا غير، مُباينا بمنهجه هذا الإمام السنوسي في رسالته: «نزهة الجنان» مباينة تامة.

ويهدف كل ما تم بحثه آنفا، إلى إيجاد أسلوب وطريقة لكيفية التعامل مع الألقاب المدحية المتناثرة في تراث الأمة التراجمي عموما والتراث الجزائري خصوصا، والذي حوى في ترجمة العَلَم الواحد

عشرات الألقاب كالمؤرخ والنحوي والمحدث والمفسِّر واللغوي والفقيه وغيرها، وهي فنون وعلوم متباينة لا يستطيع الباحث «المعاصر» تحديد تخصص العَلَم الذي يبحث فيه أو عنه، ونظرة في كتاب «البستان» لابن مريم، أو «تعريف الخلف برجال السلف» للحفناوي، أو «عنوان الدراية» للغبريني وغيرها تنبئك بصدق الملاحظة.

وإن كان تبرير ذلك عدم الحاجة إليه زمانهم، ونمطية التلقين والتلقي قديما، وشيوع منهج الإلمام بالعلوم والأخذ منها والتكلم فيها، فإنه بات مطلبا جديا للباحث المعاصر أن يفرِّق بين تخصص وتخصص وفنٍّ وفنّ، وما يغلب على الشخصية التي يبحث فيها أو العَلَم الذي يتناوله بالدراسة، إذ البروز والظهور العلمي العام لا يلزمُ منه البروز في عِلم معيَّن من العلوم.

- **ومنه فإن ضوابط تسمية المفسِّر في دراستي هاته، أربعة ضوابط هي كالآتي:**

الضابط الأول: **(الأهلية)**، وهي الأهلية التامة للمفسّر للخوض في الكلام عن مراد الله تعالى في قرآنه الكريم، بعد أن استوفى نصاب شروط المفسِّر

العلمية والتدينية التي طُرقت سابقا، بقدرٍ من الإحاطة والإلمام الكبيرين.

وقد عرَّف الدكتور حسين الحربي المفسِّر بالقول: «المفسِّر من له أهلية تامة، يَعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته قدر الطاقة، وراضَ نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جملا كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عمليا بتعليم أو تأليف»[1]، كما عرّفه الدكتور مساعد الطيار بالقول: «فظهر لي أن يكون تعريف المفسِّر: من كان له رأي في التفسير، وكان متصديا له»[2]، وتعريف الدكتور الطيار يحتاج لكثير من الضوابط، وفيه نوع استسهال في دخول كل من له رأي زمرة المفسرين وهذا ليس بلازم، إذ كثير من أهل الحديث لهم رأي وآراء في التفسير ولا يمكن اعتبارهم مفسرين.

وتعريف المفسِّر ـ فيما أرى ـ هو: صاحب الأهلية التامة والكاملة للحديث عن مراد الله تعالى في قرآنه الكريم بتفسيرٍ أو تأويلٍ، المستوفي الشروط العلمية والتدينية، وصاحب صنعةٍ تفسيرية تدريسا أو تأليفا، تُظهر بصمته وشخصيته التفسيرية.

ويبقى ضابط وحدُّ استيفاء الشروط العلمية والتدينية مرهونا بمدى جدِّية التفسير تأليفا أو تدريسا ومدى ظهور شخصيته التفسيرية فيه وقوة ترجيحاته وبراهينها، والتي تدخل في عموم «جودة ونوعية تفسيره».

الضابط الثاني: (التأليف فيه): ولا يُشترط في هذا الضابط تفسيرُ كامل القرآن، بل التفسير الآيي أو السوري أو الكلي سواء، شريطة أن يكون تأليفا تفسيريا بمقاييس أهل التفسير وشروطهم، وإن كان بالعامية، باعتبارها أداة توصيل وأسلوب تواصل بين المفسِّر والمتلقي، كصنيع الشيخ المحجوب[3]

(1) **قواعد الترجيح عند المفسرين**، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط:01، ت:1996م، ج:01، ص:33.

(2) **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، مساعد بن سليمان الطيار، ص:215.

(3) أحد أعلام الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري، الذين خدموا التفسير تأليفا، وكان تفسيره بالعامية،

في تفسيره، وسواءً كان التأليف نثرا أو نظما، في التفسير أو في أحد مباحثه وعلومه وفنونه[1].

الضابط الثالث: (التدريس فيه)، بعقد الحلقات والمجالس العامة أو الخاصة في المساجد أو الزوايا أو المكتبات لتدريس هذا الفن أو علومه، شريطة ظهور شخصيته في دروسه التفسيرية، إذ التلاوة للتفسير وقراءته فقط ليس تفسيرا ولا مساهمة منه في علم التفسير، وبالرغم من صعوبة تحرير هذا القيد لغياب المادة العلمية والتاريخية التي نثبت من خلالها هذا الأمر أو ننفيه، إلا أنه اعتُمد كضابط قد يوجد عند مفسِّر دون آخر بحسب المادة العلمية الموجودة، مع ضرورة التنويه إلى ندرة المصادر التي تحدثت عن تفاصيل الدروس التفسيرية للأعلام الجزائريين.

الضابط الرابع: (شهادة عَلَمين اثنين من الأعلام)، أي بأن يشهد له عَلَمان اثنان من الأعلام بالتضلع في التفسير وقدرته في هذا الفن، للخروج من آفة الألقاب المدحية التي كانت تكال وتنسب للأعلام دون ضابط أو روية، ولفك إشكالية جملة: العَلَم المشارك في الفنون، وهي «الصفة» التي ما خلت منها ترجمة غالبا، خاصة قولهم: مشارك في العلوم، وهي جملة مُشْتَبَهة تحمل دلالاتٍ كثيرة، لا يمكن من خلالها إثبات تضلع العَلَم في التفسير.

لذا فإني أخرجت الكثير من الأعلام الذين أُشِير لهم في كتب التراجم على أن لهم مشاركة في التفسير، أو وصفوا بالمفسرين دون دليل على ذلك، إلا تزكية وألقابا مدحية كيلت لهم.

ومن أمثلة ذلك:

- الإمام علي بن موسى أبو الحسن المطغري المتوفى سنة: 951هـ، إذ

وسنتطرق له بالشرح والبيان في موضعه.

(1) إن كان العمل في أحد علوم التفسير أو مباحثه، اشترطت أن يكون قد أشير إليه بأنه من المفسرين.

لم أجد في ترجمته ما يشير إلى كونه متخصصا في التفسير أو حتى مشاركا فيه، لا تدريسا ولا تأليفا، لذا فقد أغرب الدكتور عادل نويهض حينما قال في ترجمته: «المطغري، أبو الحسن فقيه مالكي من كبارهم، له مشاركة في علوم التفسير والعربية والحساب والفرائض»[1].

قلت: ولم يشر إلى هذه المشاركة كلُّ من ترجم له، كصاحب «نيل الابتهاج» و«شجرة النور» و«تعريف الخلف» و«دوحة الناشر» وغيرهم، وغاية ما وجدتُ في ترجمته أنه «قارئ دروسه ـ أي ابن غازي[2] ـ في «المدونة» و«الموطأ» و«العمدة» والتفسير وخليل والعربية»[3]، وليس هذا بدليل على مشاركة الرجل في التفسير أو علومه.

- محمد شقرون الوجديجي التلمساني أبو عبد الله المتوفى سنة: 983هـ، الذي أشار له ابن مريم في «البستان» على أنه: «مشارك في فنون عديدة منها علم التفسير»[4] ولم أجد غيره أشار لهذه المشاركة في علم التفسير فضلا عن وصفه بالمفسِّر، وهو بهذا يحتاج لشهادة عَلَمٍ ثان ليدخل في زمرة من انتقيته من أعلام التفسير الجزائريين، كما أن كونه تلميذ الإمام المفسِّر النوازلي أبو مروان عبد الملك البرجي الأندلسي[5]، ليس بدليل على أنه مارس التفسير

(1) **معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02، ت:1980م، ص:305.

(2) محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، أبو عبد الله، مؤرخ حاسب فقيه، من المالكية، من بني عثمان وهي قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون، ولد بها وتفقه بها وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، استقر بفاس وتوفي بها سنة:919هـ. له تآليف منها: «الروض الهتون في أخبار مكناسة». انظر: «**الأعلام**»، ج:05، ص:336. «**فهرس الفهارس**»، ج:01، ص:288.

(3) ذكرها له صاحب «**نيل الابتهاج**» (305/1)، ونقلها عنه بتمامه صاحب «**تعريف الخلف**» (280/2).

(4) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:2014م، ص:448.

(5) جاء في ترجمته في «**دوحة الناشر**»: الشيخ الفقيه الراوية خاتمة العلماء التونسيين أبو عمران عبد الملك البرجي الأندلسي، أحد أشياخ شيخنا أبي عبد الله بن هبة الله، ورد على تلمسان وبها استقر إلى أن توفي

كما وَهِم بعضهم فوصفه بالمشارك في علم التفسير.

- أبو الحسن الغربي القسنطيني[1] المتوفى ما بعد 988هـ، ويُستدل به هنا في عدم أهليته للتفسير وعدم استيفاء شرط الأهلية العلمية، وقد ذكره الفكون في «منشور الهداية» وترجم لوالده أبو الفضل، ثم قال: «وأما ولده فتصدر للإفتاء بالمدينة المذكورة زمن الجد عبد الكريم ودرَّس بها، وذُكر أنه تصدى للتفسير، وكان الغالب عليه فن الحساب والتعديل، وله مخالطة بالمنطق، وأخبرني جمع كثير ممن يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا شهرة أسلافه أورثته المنصب المذكور»[2].

- محمد بن سعيد قدورة، أبو عبد الله المتوفى سنة: 1107هـ، فبالرغم من شهرته التي فاقت الآفاق، إلا أني لم أجد من وصفه بالمفسِّر غير ابن المفتي[3] في تقييداته إذ يقول: «العالم الفقيه القدير المفسِّر المحدِّث»[4]، ولم يذكر غيره ممن ترجم له أنه من المفسرين، وعلى الرغم من أنه كان شيخ ابن زاكور

في صدر العشرة الرابعة، كان جليل القدر كبير الشأن رَحِمَهُ اللَّهُ». انظر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط:02، ت:1977م، ص:133.

(1) لم أجد له ترجمة، ولم يُذكر إلا في كتاب «**منشور الهداية**» للفكون وبإيجاز، كما لم أهتد لاسمه الكامل.

(2) **منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية**، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1987م، ص:56.

(3) قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بدراسة وافية عن ابن المفتي وكتابه **التقييدات**، انظرها في «**تاريخ الجزائر الثقافي**»، ج:2، ص:366.

(4) **تقييدات ابن المفتي**، ابن المفتي حسين بن رجب، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط:1، ت:2009م، ص:98.

الفاسي[1] وذكره مطولا في رحلته، وأورد إجازته له في «نشر أزاهر البستان»[2] إلا أنه لم يذكر أي صلة له بالتفسير أو علومه.

- محمد بن عبد الله بن أيوب، المنور التلمساني، أبوعبد الله، المتوفى سنة: 1173هـ، وصفه الورثيلاني في رحلته بالقول: «العالم المؤمل، الفقيه المفسِّر»[3]، ولم أجد غيره ممن ترجم له أو ذكره بالاشتغال بالتفسير أو علومه، وقد ذكره الإمام الكتاني في فهرسته[4] ولم يذكر أي صلة له بالتفسير وعلومه على كثرة إيراده له في كتابه، وقد غاب هذا العَلَم عن كتب التراجم المشهورة.

● **ثانيا: الجزائري:**

المقياس المقرر يُدرِّس أعلام التفسير الجزائريين، وأعمالهم التفسيرية تأليفا وتدريسا أو جمعا بينهما في الحواضر العلمية المتناثرة في ربوع أرض الجزائر، كحاضرة بجاية وقسنطينة ومازونة وتلمسان وتوات وغيرها، فبات أمرا ضروريا الحديث والتنبيه في كون العَلَم من أعلام الجزائر إلى ثلاثة أمور رئيسة مهمة:

الأول: أنه يشترط في العَلَم أن يكون جزائري النَّسب والأصل، وإن لم يكن من مواليدها كالإمام عبد الرحمن المنجري[5] المتوفى سنة: 1179هـ، والذي

(1) محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد، ابن زاكور الفاسي، أبو عبد الله: أديب فاس في عصره، مولده ووفاته فيها، زار الجزائر وأخذ عن أعلامها كمحمد سعيد قدورة وغيرهم، من كتبه «المعرّب المبين بما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين» و«إيضاح المبهم من لامية العجم» وغيرها، توفي سنة:1120هـ. انظر: «**فهرس الفهارس**»، ج:1، ص:185. «**نشر أزهار البستان**»، ص:13.

(2) **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، ابن زاكور الفاسي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ، ت:2011م، ص:69.

(3) **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، الحسين بن محمد الورثيلاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ط:01، ت:2008م، ج:1، ص:361.

(4) **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت:1982م، ج:1، ص:121.

(5) أحد أعلام التفسير الجزائريين في القرن الثاني عشر الهجري، ويتطرق له في مبحثه.

سكن فاس ووُلد بها، والإمام محمد الخضر حسين المتوفى سنة: 1377هـ، الذي سكن تونس ووُلد بها أيضا.

الثاني: لم أجعل من الوفاة في أرض الجزائر والمكث فيها مطولا دليلا على «جزائرية العَلَم»، فالإمام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي[1] المتوفى سنة: 963هـ صاحب تفسير «رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن»[2]، طرابلسي الأصل والنَّسب نشأ بأرض ليبيا، ثم بعد زمن طويل التحق بالحاضرة الجزائرية وأقام بها، فلم أعتد به كعَلَم من أعلام الجزائر وإن طال مقامه بها وكانت وفاته فيها.

الثالث: أن ولادة العَلَم في أرض الجزائر ونشأته فيها لسنوات وتحصيله العلمي والثقافي من حواضر الجزائر وعلمائها، مع تيقن نسبه وأصله غير الجزائري، يدخله في زمرة وثلة السادة أعلام الجزائر من المفسرين، كمحمد بن سعيد قدورة، أبو عبد الله المتوفى سنة: 1107هـ، التونسي الأصل، والجزائري المولد والنشأة والتعلم والتعليم.

---

(1) الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، فقيه الجزائر في عصره، مفسر، محدث من كبار العلماء. ولد في قرية قرقارش من قرى طرابلس الغرب عاش بالجزائر وولي الخطابة بها، وفي سنة 959هـ دخل المغرب الأقصى سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني، فزار فاس ومراكش. مات بالجزائر العاصمة وخلف خزانة من كتب العلم. له: «رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس» و«شرح صلاة ابن مشيش». انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:1، ص:132. «**شجرة النور الزكية**»، ج:1، ص:411.

(2) حُقق كرسالة دكتوراه للطالب: إسماعيل إسماعيل الربه، سنة:1996، بجامعة الأزهر الشريف، ونوقشت مجزّأة بين مجموعة من الطلبة كرسائل ماجستير بجامعة الأزهر أيضا وهم:

1. **سورة المؤمنون والنور والفرقان**، أبو الفتوح عبد ربه إبراهيم، سنة:2002.
2. **سورة الأحزاب وفاطر وسبأ ويس**، رمزي محمد إبراهيم، سنة:2003.
3. **سورتي المائدة والأنعام**، جودة محمد أبو اليزيد المهدي، سنة:1995.
4. **سورة يوسف إلى الحجر**، محمد طه دياب علام، سنة:2003.
5. **سورة الذاريات إلى الحشر**، محمود أحمد غلوش، سنة:2003.

● **ملاحظات هامة:**

1. قد ترد بعض أسماء الأعلام الذين لم يدخلوا في ضابط شهادة علمين اثنين، وهو إيراد للبيان وليس للجزم بأنه من المفسرين، ولأنه قد نخالف في هذا الضابط.

2. يدخل في التفسير علومه كلها فروعا وأفنانا، كعلم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والغريب وغيرها، وما كان فيه من تدريسٍ في الجوامع والمساجد والمدارس العامة والخاصة، وتأليفٍ أكان نظما أو تفسيرا كاملا أو سوريا أو آييا، أو جمعا بينهما تدريسا وتأليفا.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الثاني:

أعلام الجزائر في التفسير

من كتب البيليوغرافيا

والتراجم والسير والطبقات

المحور الثاني: أعلام الجزائر في التفسير من كتب البليوغرافيا والتراجم والسير والطبقات:

من خصائص الحضارة العربية الإسلامية، الترجمةُ للأعلام والمشاهير في كل الفنون والعلوم، وقد أُلِّفت الكثير من التراجم والسير والطبقات بين إيجاز وتطويل، وتنوعت الكتابة في ذلك بين تراجم متعلقة بمكان معين، وتراجم خاصة بمذهب فقهي معيّن، وأخرى متعلقة بفنّ معيّن، وتراجم خاصة بشخصية معيّنة، وتآليف تَرجم فيها العَلم لحياته ورحلاته وتآليفه، وأخرى بحسب القرون والدول وغيرها من صنوف وأنواع التصانيف التراجمية التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية قديما وحديثا.

وأعلام الجزائر في علم التفسير وغيرها من الفنون، مبثوثة تراجمهم وسيرهم في تلك التصانيف والمؤلفات التي ـ وللأسف ـ لازال غالبها في عداد المخطوطات التي لم تخرج لعالم الطباعة بعد، وحبيسة رفوف الزوايا والمكتبات العامة والخاصة، وهي بهذا التوصيف تحتاج الجهد الكبير ودقة التنقيب للعثور عليها وإيجادها، تعريفا بهم وبتراثهم وجهودهم، وإكراما وبرا من الخلف بسلفهم.

تجدر الإشارة إلى أن كتاب «**أخبار الأئمة الرستميين**» **لابن الصغير**، الذي أُلِّف حوالي سنة 290هـ، يعتبر أول ما وصل إلينا من كتب التراجم والسير الخاصة بأعلام الجزائر، فقد اعتبره مكتشفه المستشرق الفرنسي موتيلانسكي أقدم وثيقة في التأريخ للأئمة الرستميين، ونَشر الكتاب ـ ناقصا غير مكتمل

لفقد بعض أجزائه ـ ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر العاصمة سنة: 1905م، وأعاد تحقيقه والتعليق عليه الأستاذ إبراهيم بحاز والدكتور محمد ناصر، وطبع بدار الغرب الإسلامي ببيروت سنة: 1986م.

كما يعتبر كتاب «**السيرة وأخبار الأئمة**» **لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت بعد: 474هـ)**، ثاني الأعمال التي اهتمت بالترجمة لشيوخ أهل المغرب وأعلام الدولة الرستمية خصوصا، وقد نُشر أول مرة باللغة العربية وتمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية من طرف المستشرق الفرنسي «إيميل ماسكراي»[1] سنة: 1878م، وحققه ونشره سنة 1985م الدكتور عبد الرحمن أيوب كرسالة أكاديمية، بعد حصوله على نسخة ثانية من المخطوط، وصدر عن الدار التونسية للنشر.

وللبحث عن أعلام الجزائر في التفسير ـ خاصة ـ وفي بقية الفنون والعلوم، قسَّمنا التراجم والسير والطبقات وغيرها، من حيث التصنيف والتأليف إلى قسمين:

- **أولا: تصانيف جزائرية:**

لا يمكننا الحكم على حجم التصانيف التراجمية في التراث الخاص بعلماء الجزائر التي ألَّفها علماء جزائريون، ولا الحكم على أسلوبهم ومنهجهم في كتابتها، خاصة ما كان متعلقا بعلم التفسير وعلومه تحديدا، إذ المطبوع منها قليل جدا، وغالبها لازال مخطوطا متخفيا لم يتم فهرسته فضلا عن تحقيقه وإخراجه.

وقد تراوحت التصانيف الجزائرية الببليوغرافية بين كتب تراجم وسير وطبقات وفهارس ومشيخات ورحلات، وكلها مظان لسير وتراجم علماء الجزائر وآثارهم التفسيرية، والتي يتم التنويه فيها إلى آثار العَلم تأليفا أو تدريسا أو

(1) من أبرز المستشرقين اعتناءً بتاريخ البربر في الجزائر.

جمعا بينهما، ومن أهم التصانيف الجزائرية البيليوغرافية[1] المطبوعة[2] ما يلي:

(1) البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان[3]، للإمام ابن مريم المْلِيتي[4] التلمساني (كان حيا 1025هـ):

ذكر فيه صاحبه علماء وصلحاء وأولياء مدينة تلمسان وضواحيها، مرتبا التراجم أبجديا مبتدئا باسم أحمد، وقد أتت مطولة في حين ومقتضبة في أحايين كثيرة، ولم يلتزم بقيدِ كون صاحب الترجمة من أهل تلمسان مولدا أو استقرارا كما ذكر في مقدمته، فقد أكثر من ذكر بعض الصلحاء والعلماء غير التلمسانيين معلِّلا ذلك بالقول: «أذكره تبركا به»، كصنيعه مع يوسف بن عمر الأنفاسي، وخليل صاحب «المختصر»، ويوسف بن محمد المعروف بابن النحوي وغيرهم.

حوى الكتاب (182) ترجمة، ولم يلتزم بفترة زمنية محددة، وقد كان يستخدم اللغة العامية في بعض التراجم، وقد صرح ابن مريم أنه انتخبه من مجموعة من التصانيف السالفة، كـ«نيل الابتهاج بتطريز الديباج»لأحمد بابا التنبكتي، و«بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد» لأبي زكريا يحي بن خلدون وغيرها.

وقد صدر الكتاب باعتناء الشيخ ابن أبي شنب، وطبع بالمطبعة الثعالبية سنة: 1908م، وأعاد نشره طالب عبد الرحمن سنة 1986م، وقد ترجمه المستشرق الفرنسي بروفنزالي إلى اللغة الفرنسية ونشره سنة 1910م.

---

(1) سنورد مجموعة من أهم التصانيف البيليوغرافية الجزائرية، يتم التركيز على العشرة الأولى منها لأهميتها وشموليتها واشتهارها، ولا يعني الاستغناء عن بقية التآليف.

(2) تجدر الإشارة إلى أنه لم يتطرق للمخطوط منها.

(3) في النسخة التي اعتنى بها الدكتور ابن أبي شنب جاء العنوان بتقديم الأولياء على العلماء، خلافا لما أثبته من النسخة التي اعتنى بها الدكتور عبد القادر بوباية، وقد صرح ابن مريم في مقدمة كتابه بالعنوان الذي أثبتّه.

(4) قبيلة مليتة بضواحي تلمسان ذات أصول ليبية، ويحسن التنويه هنا أن جزيرة مالطا كانت تسمى قديما بجزيرة مليتة، يبحث.

(2) تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي (ت:1360هـ/ 1942م):

أحصى فيه مؤلفه (420) عَلما، ترجمةُ غالبهم من علماء وصلحاء وأولياء الجزائر، ذكر أنه تأثر بكتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة الذي قرأه مرات ومرات، فحاول النسيج على منواله، وقد قسَّم الحفناوي كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: خصصه لترجمة الأعلام الذين وجد أسمائهم منقوشة في قباب المدرسة الثعالبية[1]، وعددهم (50) عَلَمًا، وأضاف لهم عَلما واحدا فقط.

القسم الثاني: خصَّصه لتراجم علماء القطر الجزائري وبقية الأقطار كالسودان والمغرب وتونس والأندلس وبعض بلاد المشارقة، وبلغ عددهم (369) عَلما، ولم يقتصر على السلف فقط، بل ترجم حتى لبعض الأعلام في زمنه.

امتازت تراجمه بالنقل عن التنبكتي صاحب«نيل الابتهاج» وأشار في مقدمته أنه أغفل من تم ذكرهم في «البستان» لابن مريم و«عنوان الدراية» للغبريني، غير أنه لم يلتزم به مطلقا، وجاءت تراجمه مطولة في حين ومقتضبة في أحايين أخرى.

صدرت الطبعة الأولى من الجزء الأول في حياة المؤلف عن مطبعة بيير فونتانة الشرقية بالجزائر سنة: 1906م، وعن نفس المطبعة صدر الجزء الثاني سنة 1908م، ثم توالت طبعاته بالديار المشارقية، حتى طبع سنة 2007م في دار موفم بالجزائر، وطبع طبعة فاخرة ومحققة بعناية بالغة مع قسم دراسي ضخم رصين في جزء منفرد بدار كردادة بالجزائر أيضا سنة: 2012م، بتحقيق الدكتور خير الدين شترة في مجلدين ضخمين، وهي الطبعة التي ينصح بها.

(1) أشرف الحاكم العام شارل جونار على فتح المدرسة الثعالبية سنة:1904م، بجوار مقام الإمام المفسِّر عبد الرحمن الثعالبي، ودرَّس فيها كثير من أعلام الجزائر.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، الدكتور أبو القاسم سعد الله[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: 2013م):**

لا نبالغ إن حكمنا على هذا الكتاب الموسوعي أنه من أضخم وأدق الأعمال العلمية التاريخية ـ زماننا ـ حول التراث الثقافي والعلمي والفكري بأرض الجزائر، وهو تصنيف نال شهرة واسعة لموسوعية صاحبه وإتقانه فن التأريخ بأسلوب الشرح والبيان وحسن الاستدلال، اعتمادا على كثير مما هو في عداد المخطوطات، داخل الجزائر أو خارجها، في المكتبات العالمية حتى الأمريكية منها، وحَريٌّ بالباحث عن تاريخ الجزائر وحركتها الثقافية والعلمية أن يُعنى بهذا الكتاب اقتناءا واهتماما، ويكفي أن صاحبه أهدى عمله الموسوعي هذا «لجيل ما بعد الثورة ... الذين سينشرون غدا كنوز الثقافة العربية الإسلامية لبلادهم ويثرونها بإنتاجهم»[2].

جعل صاحبه الجزأين الأوليين حول الوجود العثماني بأرض الجزائر، دارسا للأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك، وكان التأكيد منه على الحركة العلمية الثقافية، لذا فقد جاء كتابه غنيا بالتراجم وأسماء الأعلام الجزائريين في غالب الفنون، وكان لعلم التفسير نصيبٌ منه، فقد عقد له مبحثا خاصا أتى فيه على كل من كانت له مساهمةٌ فيه تدريسا أو تأليفا في الحواضر العلمية كبجاية وتلمسان وقسنطينة وتوات ومازونة والجزائر وغيرها، منوِّها بأسماء المساجد والجوامع والزوايا والكتاتيب التي كانت تقام فيها الحلقات التفسيرية، وعلى مواضع المخطوطات التفسيرية في المكتبات الخاصة والعامة، وحتى في المكتبات العالمية.

وجعل مؤلفه باقي الأجزاء حول الوجود الفرنسي بأرض الجزائر، دارسا

---

(1) كتب عنه الشيخ البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مزكيا: «مشغوفٌ إلى حد الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور». انظر تصديره لكتاب: **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، ط:01، ت:1960م.

(2) **تاريخ الجزائر الثقافي**، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت:2011، ج:01، ص:05.

له بنفس طريقته الأولى مع الوجود العثماني، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، مركزا على خط سير الحركة العلمية والفكرية والثقافية وإنتاجها آنذاك، منوِّها بالحواضر العلمية ونتاجها الفكري مرشدا لمخطوطات ومطبوعات أعلام الجزائر في التفسير وفي غيرها من العلوم والفنون.

طُبع الكتاب في (09) مجلدات بدار الغرب الإسلامي ببيروت سنة: 1998م، وأعيد طبعه طبعة خاصة ضمن سلسلة «مجموعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله» في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011م، في (10) مجلدات دار عالم المعارف بالجزائر، جُعل المجلد الأخير فهرسا وكشافا للكتاب، وهي الطبعة التي ننصح بها.

(4) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أحمد بن أحمد، أبو العباس الغبريني(ت: 714هـ):

يعتبر كتاب «عنوان الدراية» من أقدم كتب التراجم للأعلام الجزائريين، الذي أرَّخ فيه صاحبهلعصرين مهمين هما: الموحدي والحفصي بحاضرة بجاية العتيقة، وقد ترجم لمشاهير علماء المائة السابعة سواء من علماء بجاية أو الوافدين عليها، فحوى كتابه (149) ترجمة، جاءت غالبها مطولة جدا، مبرزا حياة المترجم له وشيوخه وتلامذته ثم مؤلفاته فوفاته، وقد انتهى منه سنة: 699هـ.

نشر هذا الكتاب لأول مرة في مدينة الجزائر سنة: 1910م، بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب، ثم أعاد تحقيقه الأستاذ رابح بونار وطبع في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، كما قامبتحقيقه الأستاذ عادل نويهض سنة: 1979م، وطبع بدار الآفاق الجديدة، ببيروت.

(5) أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الدكتور يحيى بوعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: 2007م):

أشار صاحبه في المقدمة أن عمله هذا جمعٌ «بين عمل الغبريني وابن مريم

وابن صعد والحفناوي وآخرين»[1]، فكانت تراجمه تعد بالمئات، أحصى بها مجموعة كبيرة من تراجم وآثار علماء الجزائر، اتسمت غالبها بالطول، خاصة أنه ذكر الآثار والرحلات والمؤلفات، وتداخلت التراجم بالتأريخ لفترة المؤلف والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية عموما، والتراجم المنتقاة كانت لأعلام من الأقدمين، كما جاءت لأعلام من المحْدثين الذين نبَّه إلى أن بعضهم كتب ترجمة نفسه بنفسه ثم أوردها كاملة أو بعضها، وبدأ كتابه بالتأريخ لدخول الإسلام لبلاد المغرب العربي والمراكز العلمية الحضارية فيها.

وقد طبع الكتاب طبعة خاصةبدار البصائر بالجزائر، في مجلد واحد حوى قسمين سنة: 2009م، ضمن مجموعة: آثار الدكتور يحيى بوعزيز، في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب بدعم من وزارة الثقافة.

(6) تراجم علماء الجزائر ـ علماء تلمسان وتوات ـ، الدكتور عبد الحق حميش، الأستاذ محفوظ بوكراع بن ساعد:

جاء الكتاب في قسمين، قسم تضمن تراجم علماء حاضرة تلمسان اعتنى به الدكتور عبد الحق حميش، أورد فيه تراجم (300) عالمٍ ومصلحٍ ومفكرٍ، وقسَّمه بدوره لفصلين، الأول: حول جغرافية تلمسان وتاريخها، والثاني: في أعلامها.

وقِسم لعلماء حاضرة توات اعتنى به الأستاذ محفوظ، والذي أحصى فيه (206) ترجمة، اشتملت على اسم العَلم ونسبه وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووقفات مهمة في حياته وتاريخ ومكان الوفاة، بهذا الترتيب والنسق عموما.

وقد طبع الكتاب بدار زمورة بالجزائر، في مجلد واحد ضمن سلسلة الكتب التي طبعت بعاصمة الثقافة الإسلامية 2011م.

---

(1) **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت: 2009م، ج: 01، ص: 07.

(7) أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، الأستاذ: محمد بسكر:

والكتاب حوى تراجم ثلة من علماء وصلحاء ومفكري الجزائر، »يمتد حيزها الزمني من غرَّة القرن العاشر الهجري إلى مطلع القرن الخامس عشر«[1]، وغالب الأعلام من العصر الحديث، وقد ضَمَّن فيه أكثر من (3560) عنوانا بين مخطوط ومطبوع، كما تفاوت حجم التراجم بحسب العَلم، مع وضع صورة شخصية له، وقد أحصى المؤلف حوالي (360) ترجمة، مبرزا أهم محطاته الحياتية وأعماله ومؤلفاته بين مخطوط ومطبوع.

طبع الكتاب بدار كردادة في مجلدين، ضمن سلسلة الكتب المطبوعة بعاصمة الثقافة الإسلامية 2013م.

(8) النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر ومناقب، محمد بن أحمد، المشهور بابن صعد التلمساني (ت: 901هـ):

ذكر صاحبه أنه ألَّفه بطلب من السلطان الزياني أبو عبد الله المتوكل، وقد استفتحه بمن اسمه إبراهيم فأحمد مرتبا إياه ترتيبا أبجديا، ولم يقتصر فيه على أعلام الجزائر بل كل أعلام المشرق والمغرب من السلف والخلف خاصة أهل التصوف منهم، وهو مطبوع بدار صادر سنة: 2011م، بتحقيق الدكتور: محمد أحمد الديباجي.

وله أيضا «**روضة النَّسرين في مناقب الأربعة المتأخرين**»، وهي تراجم مطولة لأربعة من الأعلام هم: محمد بن عمر الهواري، الحسن أبركان، إبراهيم التازي، أحمد الغماري، وهي تراجم مستخلصة من كتابه الأول، وقد طُبع بتحقيق الدكتور يحيى بوعزيز، بمطبعة منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار

(1) **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة**، محمد بسكر، دار كردادة، الجزائر، ط.خ، ت:2013م، ج:01، ص:10.

بالجزائر، سنة 2002م.

(9) إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش، الغوثي بن حمدان:

كتاب «إرشاد الحائر» في مجلدين ضخمين، حوى كل مجلد قسمين، أوردا فيهما ترجمةً لـ(217) شخصية علمية فكرية دينية ثورية، اتسمت التراجم بالطول والإسهاب، وجاءت مرتبة ترتيبا تاريخيا من الفتح العربي الإسلامي إلى عصرنا، واشتملت على محطات طويلة في حياة المترجم لهم، وعلى ذكر أسماء الشيوخ والتلاميذ والمؤلفات والوقوف عند بعض الأشعار والمواعظ مع إيرادها نصا.

وقد قسَّم المؤلفان الكتاب إلى قسمين اثنين: **الأول** بدوره إلى جزأين:

الأول: تراجم العصر القديم، والثاني: تراجم العصر الذهبي.

و**الثاني** بدوره إلى جزأين أيضا:

الأول: عصر الانحطاط، والثاني: العصر الحديث.

طبع الكتاب بدار البصائر بالجزائر في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م.

(10) الإعلام بأعلام الجزائر من كتاب الأعلام، عبد الغاني عيساوي:

عمد فيه صاحبه إلى كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي (ت:1976م) وانتقى منه أعلام الجزائر بضوابط وشروط قدَّمها في مقدمة الكتاب، فأورد (213) ترجمة، إضافة إلى عشرات الأعلام المضافة من الذيول والتتمات التي صنِّفت على كتاب «الأعلام» وهي:

«إتمام الأعلام» لنزار إباضة، و«ذيل الأعلام» لأحمد العلاونة، و«تتمة الأعلام»، لمحمد خير رمضان يوسف، و«المستدرك على تتمة الأعلام» له أيضا.

وقد نقل تراجمه بتمامها وبهوامشها من كتاب «الأعلام» دون زيادة أو

نقصان، مع الصورة الشخصية لبعض الأعلام وبعض خطوطهم ولوحات من مخطوطاتهم كما أوردها الزركلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وطبع الكتاب بدار أوراق ثقافية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2016م.

(11) منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني (ت: 1073هـ):

ذكر صاحبه أنه رتبه على ثلاثة فصول، **الأول** لتراجم «من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم، ومن قبل زمنهم ممن نُقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا»، و**الثاني** «في المتشبّهين بالعلماء»، و**الثالث** «في المبتدعة الدجاجلة الكذَّابين»[1]، فبلغت تراجمه (75) ترجمة، وبإضافة من ترجم لهم ضمنيا أو استطرادا تصل حد (90) ترجمة.

اتسمت تراجمه بالطول والاسهاب في إيراد مشاجراته وخصوماته مع الآخرين، وغالبها تراجم أهل زمانه وشيوخهم في الحواضر العلمية المتناثرة في ربوع أرض الجزائر.

وقد طبع الكتاب باعتناء وتحقيق الدكتور أبي القاسم سعد الله، عن دار الغرب الإسلامي ببيروت لصاحبها الحبيب اللمسي سنة: 1987م.

(12) معجم الصَّفوة، سير وتراجم لعلماء وأعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف، الثقافة والأدب، العلم والجهاد، الإصلاح والسياسة، للأستاذ عبد القادر موهوبي السائحي الحسني:

غالبتراجم الكتابفي شيوخ الطرق الصوفية ـ إلا ما ندر ـ بمنطقة ورقلة وضواحيها، حوى الكتاب تراجم (42) شخصية مرتبا إياهم بحسب سني الوفاة

(1) **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1987م، ص:33-34.

أو تاريخ الميلاد إن خفي الأول[1]، اشترط فيه صاحبه الانتقاء بدءً من القرن 04هـ، ولم يكن ملتزما بذلك، فأول ترجمة استفتح بها كانت للشيخ محمد بن بكر أبو عبد الله المتوفى سنة: 440هـ، وجاءت تراجمه مطولة جدا، مع وضع الصورة الشخصية لأصحاب التراجم من المعاصرين، والكتاب يستفاد منه في أسماء الزوايا والحواضر الصحراوية.

وقد طبع الكتاب بدار تين وزيتون الجزائر في مجلدين متوسطين، سنة: 2012م.

وهذه قائمة بمجموعة من أهم كتب الببليوغرافيا والتراجم والسير التي يقصدها الباحث للبحث والاستزادة:

(13) إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فُلاَّن في جنوب الجزائر، الشيخ محمد عبد القادر باي بلعالم (ت: 2009م).

(14) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أبو العباس أحمد المقري (ت: 1041هـ).

(15) روض الآس العطر الأنفاس بذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أبو العباس أحمد المقري (ت: 1041هـ).

(16) الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، الشيخ محمد عبد القادر باي بلعالم (ت: 2009م).

(17) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، أبو راس الناصري (ت: 1238هـ).

(18) الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، لابن قنفذ القسنطيني (ت: 810هـ).

(19) معجم أعلام بسكرة، عبد الحليم صيد.

---

(1) **معجم الصَّفوة**، عبد القادر السائحي، دار تين وزيتون، الجزائر، دط، ت: 2012م، ج: 01، ص: 13.

(20) المفسرون الجزائريون عبر القرون، محمد مختار إسكندر الحنفي.

(21) رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي، أبو القاسم سعد الله (ت: 2013م).

(22) معجم أعلام الإباضية، محمد بن موسى باباعمي وآخرون.

- **ثانيا: تصانيف لأعلام غير جزائريين:**

كثيرة هي تراجم وسير أعلام الجزائر في كتب الببليوغرافيا والتراجم المشارقية والمغاربية، وقد أشادوا بفضلهم وعلمهم ومقامهم ونبَّهوا على أهم مصنفاتهم وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، وعلى دورهم في التأسيس لبعض العلوم في الحواضر العلمية الكبرى كالأزهر الشريف والزيتونة والقيروان وبلاد الشام والقرويين والأندلس وغيرها، حتى عاد الفضل لهم في معرفة كثير من أعلامنا وشيوخنا الجزائريين، إن في علم التفسير خاصة أو بقية العلوم عامة.

ومن أهم كتب التراجم والسير والفهارس والطبقات التي نُسجت فيها تراجموسير علماء الجزائر وكانت مزدانة بها، نجد ما يلي:

(1) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الأستاذ عادل نويهض:

ترجم فيه صاحبه لـ(856) عَلَمًا من أعلام وشيوخ وصلحاء ورجالات الجزائر، (26) منها كانت في المستدرك الذي ألحقه بآخر الكتاب، رتبه بحسب اسم الشهرة ترتيبا أبجديا، وكان يقتضب في بعضها ويتوسع في أخرى بحسب المصادر والمراجع التي تلقف منها الترجمة، وقد علّق على المستدرك بالقول: «تراجم سقطت من الكتاب أثناء الطبع وبعض التصحيحات الضرورية»[1]، اهتم بذكر مصنفات وآثار العَلم المترجم له.

طبع الكتاب طبعته الثانية سنة: 1980م في مجلد واحد، بمطبعة مؤسسة

(1) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط:02، ت:1981م، ص:359.

نويهض الثقافية ببيروت لبنان، وجعل المؤلف في آخر الكتاب فهرسا كشافا للأعمال العلمية منسوبة لأصحابها، وفهرسا للمصادر والمراجع يستفاد منه كثيرا.

(2) الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت: 1976م):

من أشمل المعجمات الحديثة، لأنه يترجم لجميع العصور من البارزين في كل علم وفن، وخلفاء وأمراء وملوك وقادة، وكذلك للمستعربين والمستشرقين الذين شاركوا بمؤلفاتهم وجهودهم في خدمة العربية تحقيقا ودرسا، وبلغ عدد المترجَمين في طبعته الأخيرة نحو (12) ألف ترجمة.

وتراجمه عموما غير مطولة، وفي تراجمه يتناول حياة المترجَم له وذكر مصنفاته ويشير إليها بـ«م» إن كانت مطبوعة، وبـ«خ» إن كانت مخطوطة، وألحق تراجمه بنماذج من خطوط العلماء وصورهم.

رتب المترجَمين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وفق الحروف الهجائية، وحيث تتوافق الأسماء والآباء رتبهم وفق وفاتهم الأقدم فالقديم فالأحدث[1].

طبع الكتاب طبعته 15، سنة 2002م في (08) مجلدات، صدرت عن دار العلم للملايين في بيروت، وعلى الكتاب ـ لأهميته ـ ذيول واستدراكات وتتمات مهمة ومفيدة متنوعة.

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لكاتب جلبي المشهور بحاجي خليفة (ت: 1067هـ):

يعدُّ الكتاب أوسع كتاب ببليوغرافي كتب باللغة العربية، صرف المؤلف

(1) بتصرف من رسالة مخطوطة بعنوان «**مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها**» للأستاذ الفاضل: عصام الشنطي، مدير معهد المخطوطات بالقاهرة سابقا، وقد تشرفت بالتتلمذ على يديه في المعهد – رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعل الفردوس الأعلى مثواه –، لوحة: 14-15.

في وضعه عشرين عاما، توفي عنه ولم يبيضه، ووصل فيه إلى حرف الدال، فاعتُني به من بعده، رتبَّه وفق عناوين الكتب معتدا بالحرف الأول فالثاني فالثالث، وأدخل فيه التعريف بالعلوم في مواضعها من الحروف، فعلم النحو مثلا في النون، وعلم الفقه في الفاء، وعلم الحديث في الحاء، ويبلغ عدد العلوم التي ذكرها ما يزيد على مئتين، واحتوى على نحو (15000) خمسة عشر ألفا من أسماء الكتب وأدخل فيها كتبا بالتركية والفارسية، واحتوى على (10000) عشرة آلاف مُؤلِّف[1].

اعتنى به المستشرقون لأهميته وثرائه، وقاموا بتحقيقه وإخراجه ثم ترجمته للغات العالم منها الفرنسية، وطبعاته مشهورة متوفرة.

(4) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات[2]، محمد عبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ):

ذكر صاحبه ـ وهو في معرض الحديث عن شيوخه وإجازاته ـ أنه روى وترجم للعشرات من أعلام وشيوخ الجزائر من «تلمسان ومازونة ومعسكر ومستغانم والبليدة والمدية والجزائر وبوسعادة وبرج بوعريريج وقسمطينة وتونس والقيروان... وهذه أسماء غالب من رويتُ عنه في كتابي هذا مرتبة على حروف المعجم أيضا»[3]، وهو كتاب جامع موسوعي جاء حافلا بالفهارس والإجازات والتراجم للأعلام في كل الفنون بما فيها علم التفسير، مهتما بإيراد

(1) رسالة مخطوطة بعنوان «**مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها**» للأستاذ الفاضل: عصام الشنطي، لوحة: 18-19.

(2) قيمة الكتاب تعرف من قوله: «فرحلت لأقاصي البلدان وشاسع الأطراف والسكان، من حجاز ومصر وشام وتونس والجزائر وبلاد المغرب الأقصى حواضره وبواديه، وكاتبت أهل الجهات البعيدة كالعراق واليمن والهند واصطنبول وصحراء أفريقية شنجيط وغيره رغبه في الاستكثار، فحصل لي من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد من أهل جيلنا وأقراننا»، أُنظر: **فهرس الفهارس**، محمد الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02، ت: 1982، ج: 01، ص: 50.

(3) نفس المرجع، ج: 01، ص: 58.

مصنفات وآثار الأعلام المخطوطة، وأماكنها في المكتبات. نُشر الكتاب سنة 1982م في مجلدين، بتحقيق إحسان عباس عن دار الغرب الإسلامي ببيروت.

(5) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة الدمشقي (ت: 1987م):

ترجم فيه صاحبه للأعلام المشاهير ممن دوَّنوا وصنَّفوا وتركوا آثارا علمية فكرية، بمن فيهم الشعراء والرواة وغيرهم، وذلك منذ بدء زمن التدوين إلى عصره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبلغت تراجمه نحو (20) ألف ترجمة، يقول في أسلوب تأليفه للكتاب: «بدأت بذكر اسم المترجم، وشهرته، وبجانبه ولادته، ووفاته، أو الزمن الذي كان حيا فيه، بالتاريخ الهجري والميلادي، ثم نسبته، وكنيته، ولقبه، ثم اختصاصه في العلم»[1]، فقد رتَّب تراجمه على الأسماء والآباء والأجداد أبجديا.

تميزت تراجمه بالإيجاز الشديد، يلحق بها ذكر مؤلفات العَلم وكان يكتفي بذكر خمسة تآليف للمكثر منهم، ويهتم باستيعاب مصادر الترجمة ومراجعها ويحاول استقصاءها، وهذا من أنفس ما في الكتاب.

طُبع هذا المعجم بدار مؤسسة الرسالة ببيروت في (04) مجلدات، سنة: 1993م، وأعيد طبعه بمستدركه الذي ألفه صاحبه في مجلدٍ واحدٍ بعد مضي 20 سنة، أضاف فيها العديد من الأعلام والأعمال مصححا بعض الأخطاء والأوهام.

(6) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي، (ت: 764هـ):

جمع فيه صاحبه ما ذكره ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» و«طبقات الأدباء» لياقوت الحموي، وزاد عليهما، وقد ترجم لنحو (14) ألفا من الأعلام والأعيان والمشاهير من الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والقراء والمحدثين والفقهاء والعلماء والأولياء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وغيرهم.

(1) **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج: 01، ص: 03.

رتَّبه على حروف المعجم من الألف إلى الياء، لكنه ابتدأ قبل الألف بسيرة مختصرة للرسول ﷺ، وأتبعها بتراجم المحمَّدِين.

نشرته جمعية المستشرقين الألمان وصدر الجزء الأول منه بتحقيق هلموت ريتر سنة 1962م، وتوالت الأجزاء بعد ذلك، وطبع سنة: 2000م بدار إحياء التراث العربي ببيروت، باعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، في (29) مجلدا.

(7) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد مخلوف (ت: 1360هـ).

(8) **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، الأستاذ عادل نويهض.

(9) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم ابن فرحون المالكي (ت: 799هـ).

(10) **الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام**، العباس بن إبراهيم السملالي (ت: 1378هـ).

(11) **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل باشا البغدادي (ت: 1339هـ/1920م).

(12) **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، لأبي نصر علي بن ماكولا (ت: 475هـ).

(13) **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي**، أوجين فايست، ترجمة: صالح نور (ت: 1995م).

(14) **التشوف إلى رجال التصوف**، أبو يعقوب يوسف بن الزيات (ت: 617هـ).

(15) **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، محمد الأمين المحبي(ت: 1111هـ).

(16) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، محمد بابا التنبكتي (ت: 1036هـ).

(17) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الشفشاوني (ت: 986هـ).

(18) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل أبو الفضل الحسيني (ت: 1206هـ).

(19) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، أبو عبد الله محمد الكتاني (ت: 1345هـ).

(20) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ).

(21) طبقات علماء إفريقية، محمد بن تميم الإفريقي، محمد بن أحمد أبو العرب القيرواني (ت: 333هـ).

(22) طبقات الحضيكي، لمحمد الحضيكي (ت: 1189هـ).

(23) فهرس ابن منجور الفاسي، أبو العباس أحمد ابن منجور (ت: 995هـ).

(24) فهرس ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد ابن خير الإشبيلي (ت: 575هـ).

(25) الكواكب السايرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد الغزي (ت: 1061هـ).

(26) نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي (ت: 1120هـ).

(27) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري (ت: 1187هـ).

(28) كتب طبقات المفسرين الثلاث، السيوطي (ت: 911هـ) والأدنه وي (ت: ق11هـ)، والداودي (ت: 945هـ).

- **ملاحظات هامة:**

1. من أهم الكتب التي يمكن البحث فيها عن أعلام الجزائر في التفسير أو في غيرها من العلوم، كتب الرحلات، خاصة تلك التي لاقت انتشارا واسعا

وشهرة كبيرة بعد طبعها، كرحلة ابن حمادوش (ت:1197هـ تقريبا) المسماة «لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال»، ورحلة عبد الله العياشي (ت:1090هـ) المسماة «ماء الموائد» والمشتهرة بالرحلة العياشية، و«نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار» للحسين الورثيلاني (ت:1193هـ)، فكثير من أعلام التفسير عرفوا من خلال كتب الرحلات، كالإمام المنور التلمساني وغيره.

2. لا يمكن اعتماد كتب تراجم المعاصرين ككتاب «الأعلام» للزركلي و«معجم المؤلفين»لكحالة مصدرا للمعلومة منفردا، بل إنكثيرا من الجامعات المشارقية لا تقبل الاعتماد عليهم بصفة خاصة، ذلك أنهم نقلة، وأن الواجب في الدراسات الأكاديمية الاعتماد على المصادر الأولى في كتب التراجم والسير، ومنه ننبه إلى أن مثل تلك الكتب يستفاد منها خاصة في الهوامش التي توضع تحت كل ترجمة، وضبط سنوات الوفيات وضبط أسماء الأعلام، إذ نوَّهوا لأهميتها وحاولوا جاهدين ضبطها وتمحيصها.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الثالث:

حركة التفسير في الجزائر

زمن الفتح الإسلامي

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الثالث: حركة التفسير في الجزائر زمن الفتح الإسلامي:

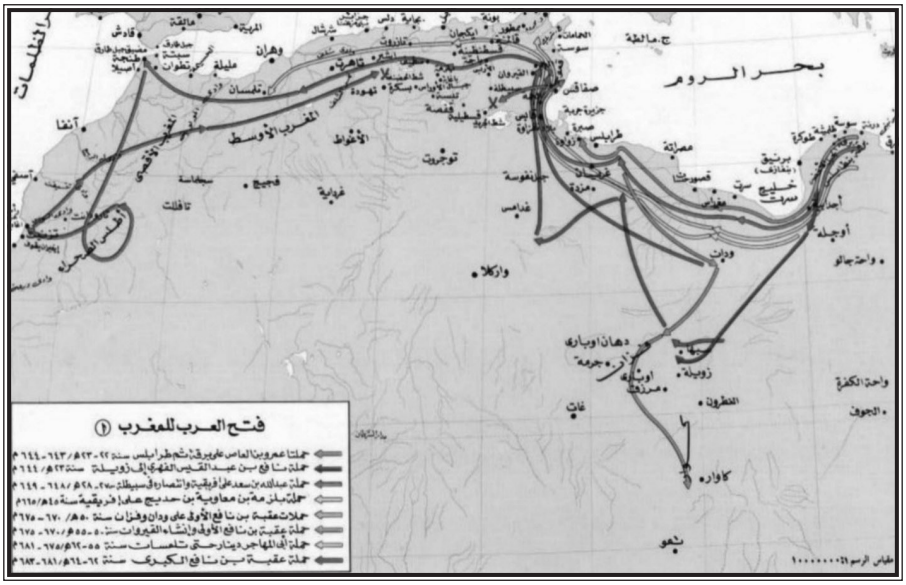

لا ينفك الحديث عن حركة التفسير ببلاد الجزائر أوائل عهدها، عن الحديث عن الفتح الإسلامي[1] لهذه الديار، والبعثات العلمية التي أُرسلت تباعا من طرف خلفاء المسلمين الفاتحين، صحابة[2] كانوا أم تابعين، ودخول القرآن

(1) لأجل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، أُنظر: «**البيان المغرب**» لابن عذاري، «**الموجز في تاريخ الجزائر**» يحيى بوعزيز، «**المختصر في تاريخ الجزائر**» صالح فركوس، «**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**» مبارك الميلي، «**المغرب في حلي المغرب**» لابن سعيد المغربي، «**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**» لعبد الواحد المراكشي، «**فتوح مصر والمغرب**» لأبي القاسم المصري، وغيرها كثير.

(2) ذكر أبو زيد الدباغ في **معالمه**، أن عدد الصحابة الذين فتحوا بلاد المغرب العربي، مع عبد الله بن أبي السرح أو غيره ثلاثون صحابيا، ثم أردفها «باثني عشر من صغارهم ممن ولد على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وبعضهم رآه ولم يسمع منه». أُنظر: «**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**» مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02،

الكريم وافتتاح عهد الكتاتيب لتعليم القرآن للمسلمين الجدد وأبنائهم.

والناظر في السرد التاريخي للفتح الإسلامي ببلاد المغرب العربي، يلحظ وبجلاء أثر صنيع عقبة بن نافع بعد استتباب الأمر له، **بخطه لمدينة القيروان سنة: 50هـ**، وبناء مسجدها الكبير الذي كان له البصمة العظيمة والبالغة في بث روح الإسلام الحق، وتعاليمه الطاهرة وتثبيتها بعد تكرر الردة والتمرد من أهل تلك البلاد، فغدا مرتكزا حقيقيا لنشر وبث العلوم الشرعية بين أوساط الناس، ومحاولة جادة لترسيخ القيم الإسلامية بنشر العلم والدعوة في أوساط مرتاديه الجدد.

ومما زاد في نشاط الحركة العلمية في ربوع القيروان كونها **العاصمة السياسية** لدولة المغرب العربي، وهو ما ألبسها ثوب المهابة والاحترام **وجعل منها قبلة للعلماء والصلحاء والأدباء والفقهاء.**

كما أن اعتبارها البلد الذي أسَّسه صحابة رسول الله ﷺ، وآخر ما دخلوه من بلاد المغرب، هيأها لدور الريادة العلمية والثقافية في إفريقية حيث غدت «منبع الولاية والعلوم، وهي لأهل المغرب أصل كل خير، والبلاد كلها عيال عليها، فما من غصن من البلاد المغربية إلا منها علا، ولا فرع في جميع نواحيها إلا عليها ابتنى، كيف لا ومنها خرجت علوم المذهب، وإلى أئمتها كل علم ينسب ولا ينكر هذا خاصٌ ولا عام، ولا يزاحمها في هذا الفضل أحد على طول الأمد والأيام»[1].

ت:1968م، ج:01، ص:160-161.

قلت: وهو غريب إن صحت رواية أن جيش ابن أبي السرح فاق العشرين أَلفا، وأن أكثرهم من الصحابة، يقول أبو العرب: «ومضى من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، من المهاجرين ناس كثير». أُنظر: **طبقات علماء إفريقية**، أبو العرب المغربي الإفريقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص:15.

(1) معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، دار الأندلس الجديدة، مصر، ط:01، ت:2008م، ص:416-417.

وخُطة تأسيس المساجد[1] في الحضارة الإسلامية هي خطة محكمة، القصد منها استحداث مركز روحي ثقيل يكون ممهدا للعلم والتعليم، ومنطلقا روحيا يربط المتعلم بأصله الديني الإسلامي قبل أي شيء، ويجعل منه ومن رواده **نقلة للعلم الشريف إلى أهليهم وأقاربهم**، فمن المسجد انطلقت الدعوة بين أهالي المغرب، وأقبل الناس عليه لتلقي العلوم الإسلامية والرجوع إلى أهلهم بعد ذلك لتلقينهم إياها، هذا بالإضافة إلى أولئك المعلمين العرب أو البربر الذين كانت ترسلهم الدولة إلى الأقاليم المختلفة لتعليم الناس بعد أن يكونوا قد تكونوا في العاصمة، **لذا انتشرت الكتاتيب في القيروان** مع بدايات الفتح الإسلامي. وأقدم نص تاريخي يثبت وجود الكتاتيب في القيروان ما رُوي عن غياث بن أبي شبيب[2] أنه قال: «كان سفيان بن وهب[3] صاحب رسول الله ﷺ يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه»[4]، وكان سفيان بن وهب قد دخل القيروان أول أمره سنة: 60هـ أي بعد الانتهاء من تأسيس القيروان بخمس سنوات، وهو دليل على ظهور الكتاتيب في تلك المرحلة المتقدمة.

---

(1) معظم الدارسين لتاريخ القيروان يجعلون مسجد القيروان أول منابع العلم والتعليم في إفريقية، خلافا لأبي زيد الدباغ الذي ذكر أن «مسجد الأنصار» هو أول المساجد القيروانية، وأنه وُضِع واختُط قبل القيروان بسنوات، وذكره أولا في مساجد القيروان السبعة القديمة الفاضلة، وأنه أولها في الفضل والوضع. أُنظر: «**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**» أبو زيد الدباغ، ج:01، ص:27.

(2) لم أجد له ترجمة.

(3) سفيان بن وهب الخولانيّ أبو أيمن قال أبو حاتم: له صحبة، وقال ابن يونس: وفد على النبي ﷺ، وشهد فتح مصر، وولي إمرة إفريقية في زمن عبد العزيز بن مروان، ومات سنة اثنتين وثمانين. وروى عن عمر والزّبير وغيرهما. روى عنه بكر بن سوادة وعبد اللّه بن المغيرة وأبو الخير، وأبو عشّانة وغيرهم. وله في مسند أحمد حديث، وقال ابن حبّان: من زعم أنّ له صحبة فقد وهم، أورد الذهبي تاريخ وفاته سنة:91هـ. أُنظر: «**الإصابة في تمييز الصحابة**»، 110/3. «**سير أعلام النبلاء**»، 452/3-453.

(4) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط:01، ت:1992م، ج:02، ص:631. ولم تذكر «الكتاتيب» في الروايات المشتهرة إلا ما كان منها في «**الاستيعاب**» لابن عبد البر، و«**معرفة الصحابة**» لابن منده، ص:770.

كما أن الفاتح عقبة بن نافع قد أولى اهتماما بالغا بالقرآن الكريم من خلال وصاياه لأبنائه فقد» أوصى أولاده بأن لا يقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة، ولا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن»[1]، وترك ـ حين أراد العودة لبلاد المشرق ـ جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين، وجعل **على رأسهم شاكر بن عبد الله الأزدي**[2] **صاحب الرباط المشهور**[3]، **ويمكن اعتباره أول شخصية جزائرية تظهر في علم القرآن وتحفيظه.**

وهي حركة شبيهة بالبعثة العلمية والتي **يمكن اعتبارها أول بعثة علمية** أسندت لكبار التابعين في تلك المرحلة، ركزت على تعليم الأصلين من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، **وقد أعقبتها ثلاث بعثات علمية كبيرة:**

• **الأولى**: وهي التي استبقاها **حسَّان بن النعمان** الغساني في حربه الثانية التي قَتَلَ فيها الكاهنة في شهر رمضان من سنة: 82هـ، والتي بها ضمن ولاء البربر وعدم نقضهم للعهد معه، فأراد تثبيت ملكه وتوطين دعائم الإسلام فيهم بترك بعثة علمية تنشر فيهم المفاهيم الصحيحة، فلم يغادرهم حتى حسن إسلامهم، ومصدر هذه البعثة هو نص عبيد الله بن صالح الذي يقول عنها: «ووَلِي أولاد الكاهنة يفرن وبزديان كل واحد منهم على ستة آلاف، وترك **معهم ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين** يعلمون لهم القرآن وشرائع دينهم، فرجع حسان إلى القيروان وذلك سنة اثنتين وثمانين من الهجرة»[4]، وهي بعثة علمية كان عدد

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، ت:2003م، ج:02، ص:118.

(2) شاكر بن عبد الله الأزدي من قبيلة أولاد زيد من مواليد منطقة ياشير شرق الجزائر، أتي برفقة عقبة بن نافع الفهري من الجزائر لما جاء إلى المغرب فاتحا بعدما تم الفتح الإسلامي للجزائر في القرن الأول من الهجرة، ومكث في بلاد آسفي غرب المغرب الأقصى. انظر «**البيان المغرب**»، ج:1، ص:42.

(3) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط:03، ت:1983. ج:01، ص:42.

(4) مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، نشره في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، ط:2، ت:1954م، ص:223.

شيوخها معلوما، بل وحتى وظيفتهم المنوطة، والتي كان مكانها أرض المغرب الأوسط «الجزائر» التي سكنتها الكاهنة، واختلف المؤرخون في ضبط مكانها بالتحديد، فذكر ابن خلدون أن تلك المنطقة هي جبل أوراس[1].

• **الثانية**: وهي البعثة التي بثَّها القائد **موسى بن نصير** حين انتهائه من فتح بلاد طنجة من المغرب الأقصى سنة: 92هـ، والتي يقول فيها ابن عذاري: «ولما حمل أبو مدرك زرعة بن أبي زرعة رهائن المصامدة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى إفريقية والمغرب، وكانوا على طنجة وجعل عليهم مولاه طارقاً، ودخل بهم جزيرة الأندلس وترك موسى بن نصير **سبعة عشر رجلاً** من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام»[2]، وهي بعثة معلومة الهدف، غير أن تعداد العلماء المتروكين من قبل القائد قد اختلف فيه، فالرقيق القيرواني يخبر أن عددهم «سبعة وعشرين رجلا من العرب»[3]، وأن إسلامهم قد حسن كثيرا، وفي نص عبيد الله بن صالح موافقة لرأي ابن عذاري حيث يقول: «وولى عليهم طارق بن زياد، ورجع إلى إفريقية، وترك معهم **سبعة عشر رجلا** من العرب يعلمون لهم القرآن وشرائع الإسلام، وتم إسلام أهل المغرب الأقصى فأسلموا كلهم إسلاما صحيحا الذي كانوا عليه اليوم، وذلك قريبا من سنة: 90 من الهجرة»[4].

وأيا كان العدد فإنهم اتفقوا على حسن إسلام البربر بعد تلك البعثة، والملحظ هنا أنها بعثة تركت ببلاد المغرب الأقصى «المغرب اليوم».

• **الثالثة**: وهي بعثة **الخليفة عمر بن عبد العزيز**، المشتهرة في تاريخ

(1) **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ابن خلدون الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2، ت:1988م، ج:4، ص:239.

(2) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري المراكشي، ج:01، ص:42.

(3) **تاريخ إفريقية والمغرب**، الرقيق القيرواني، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، تونس، ط:1، ت:1994م، ص:52.

(4) **مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب**، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، ص:224.

المغرب العربي، والتي كان قوامها **عشرة ـ وقيل تسعة ـ من أفاضل التابعين وأعلمهم**، واشتُهرت هذه البعثة بين المؤرخين لما لها من أثر وصيتبين أوساط بلاد البربر وإفريقية، ولأنها أكبر البعثات ترسيخا للإسلام وتعميما لانتشاره وتفقها لفروعه وأصوله، وهؤلاء العشرة المباركون هم:

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الإفريقي الحبلي[1].
- إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري المعروف بتاجر الله[2].
- عبد الرحمن بن رافع التنوخي[3].
- أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمر الرُّعيني ثم القتباني[4].
- طلق بن جعبان الفارسي[5].

---

(1) عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي أبو عبد الرحمن، دخل القيروان في زمن مبكر، ولعل ذلك كان مع موسى بن نصير سنة 86هـ لأنه شهد فتح الأندلس، ثم عاد إلى القيروان وسكنها وبنى بها داراً ومسجداً ثم عين ضمن أفراد البعثة العلمية إلا أن وفاته كانت سنة 100هـ، أي بعد سنة واحدة من التكليف الرسمي، أجمع النقاد على توثيقه. أُنظر «**تهذيب التهذيب**»، ج:6، ص:81-82. «**معالم الإيمان**» للدباغ، ج:1، ص:180.

(2) إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري مولى لهم، المعروف بتاجر الله، روى عن ابن عباس وابن عمر، وروى عنه من أهل إفريقية: بر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير، وبنى المسجد الكبير المعروف بجامع الزيتونة، سنة:91هـ، وكان يصلي به ويعمره، ولم يزل مقيما بالقيروان حتى حضرته نية في الجهاد، فخرج في مركب فغرق في البحر فمات وهو معانق للمصحف، وذلك سنة:107هـ. انظر: «**معالم الإيمان**» للدباغ، ج:1، ص:191-192.

(3) عبد الرحمن بن رافع التنوخي أبو الجهم، دخل القيروان في وقت مبكر سنة:80هـ، وهو أجلّ قضاتها، وذلك على عهد حسان بن النعمان واستمر يبث فيها العلم ما يقارب ثلاثاً وثلاثين سنة، حدَّث عنه من القرويين: عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وعبد الله بن زحر الكناني، وغيرهم، وهو أول من ولي قضاء القيروان وتوفي بها سنة:113هـ. أُنظر: «**معالم الإيمان**» للدباغ، ج:1، ص:198.

(4) جُعثلُ بن عاهان الرُّعيني القتباني، أبو سعيد، عدَّه أبو العرب وابن حجر وغيرها في التابعين، تولى قضاء الجند بالقيروان وبث فيها علماً كثيراً لمدة زادت عن خمسة عشر عاماً، وروى عنه من أهل القيروان عبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، وبكر بن سوادة وهو زميله في البعثة العلمية، وثّقه أكثر النقاد، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 115هـ. انظر: «**تهذيب التهذيب**»، ج:2، ص:79.

(5) طلق بن جعبان الفارسي، وقيل: جابان والصواب الأول كما في «الإكمال»، تابعي، لقي عمر وسأله، وأكثر

- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي[1].
- حبان بن أبي جبلة[2].
- بكر بن سوادة الجذامي[3].
- إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي[4].
- موهب بن حي المعافري[5].

روايته عن التابعين كان فقيهاً عالماً، وروى عنه من أهل القيروان: موسى بن علي، وعبد الرحمن ابن أنعم، وروى عنه من أهل مصر: يزيد بن أبي أيوب، ولم يذكروا مدة إقامته بها ولا تاريخ وفاته. انظر «**الإكمال**» لابن ماكولا، ج:2، ص:108. «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:215.

(1) سعد بن مسعود التجيبي، أبو مسعود، يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو الدرداء، سكن القيروان وبث في الشمال الإفريقي علماً كثيراً، وكان شديداً على الأمراء، روى عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبد الرحمن بن زياد، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدباغ أنه توفي بالقيروان بعد أن بث فيها علماً كثيراً، ولم يذكر تاريخ وفاته. أُنظر «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:184.

(2) حبان بن جبلة القرشي مولاهم، **أدخَل في الشمال الإفريقي حديث جملة من الصحابة، وبقي يبث العلم في القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة**، انتفع به أهلها، وروى عنه كثيرٌ منهم، كعبد الرحمن بن زياد، وعبيد الله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح وغيرهم، وهو عند النقّاد ثقة في حديثه، توفي سنة:125هـ وقيل 122هـ بالقيروان. أُنظر: «**معالم الإيمان**» للدباغ، ج:1، ص:209.

(3) بكر بن سوادة الجذامي، أقام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة محدثاً ومفتياً، وفقيهاً وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل على القيروان حديث عدد من الصحابة، وروى عنه كثير من أهل القيروان، وكان ثقة في حديثه، وعِدادُه في المصريين رغم طول مُكْثِه بالقيروان ووفاته بها سنة:128هـ. أُنظر: «**مدرسة الحديث بالقيروان**»، ج:2، ص:14-22. «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:211.

(4) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ولّاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة:100هـ، فكان خير أمير، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم. ومكث في القيروان معلماً للناس ناشراً للسّنّة، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة:131هـ. انظر: «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:203.

(5) موهب بن حي المعافري، غزا إفريقية قديماً، لأنه سأل ابن عباس المتوفى سنة 68هـ عن آنية أهل المغرب كما في «**الرياض**» و«**المعالم**»، وهو من أفراد بعثة عمر، وقد سكن القيروان، وبث فيها علماً كثيراً وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلى القيروان حديث ابن عباس وغيره، وروى عنه من أهل القيروان كثير، ولم تظهر المصادر حاله من حيث التعديل والجرح. أُنظر: «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:213.

- واختلف في عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني[1].

وهي بعثة منتقاة على أساسٍ من التقوى والصلاح والعلم، فنحن «إذا تأملنا في هذا العقد الثمين، تبين لنا أن فرائده قد جُمِعت من أنساب مختلفة، من المهاجرين والأنصار والعدنانية والقحطانية ومن القريح والموالي ومن العرب، فلم يجمعهم إلا وصف الفقه في الدين»[2].

وقد كان لهذه البعثة التعليمية العلمية، أثرٌ كبيرٌ في تفقيه أهل المغرب أمر دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم، بأن استوطنوا تلك الديار، حيث «اختط كل واحد منهم دارا لسكناه وبنى مسجدا بحذائها لعبادته ومجالسه، واتخذ بقربه كُتَّابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية لصغار أطفال البلد، وأشاعوا الرشد وعلموا الحلال والحرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمواساة، **فكان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة الكريمة**»[3].

ثم توافد الكثيرون على بلاد المغرب والقيروان، ولم يقتصر الأمر على البعثات الرسمية من الولاة فقط، بل أصبح قصدها لأجل الجهاد ومساعدة أهلها على البقاء على دينهم وتثبيتهم عليه مظهرا دينيًّا تدعو له الأخوة الإسلامية، خاصة بعد أن نالت قضية البربر اهتماما واسعا في دوائر الخلافة وأروقتها ببلاد الشام، وظهرت الفرق الإسلامية بها كالخوارج وغيرهم، فهذا أبو عبد الله علي بن رباح اللخمي[4] الذي قدم المغرب غازيا مجاهدا، وسكن القيروان واختط

(1) عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني، كان مقيماً في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبد العزيز بمدة طويلة معروفاً لدى أهلها مشهوراً بينهم بالعدالة والتقى، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء القيروان سنة:99هـ، فاستمر في منصبه إلى أن استقال منه سنة 123هـ، ذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه المصنفون بالفضل والعلم والدين. توفي بعد:123هـ. انظر: «**معالم الإيمان**»، ج:1، ص:210-211.

(2) **أعلام الفكر الإسلامي**، محمد الفاضل ابن عاشور، ص:13.

(3) نفس المرجع، ص:10.

(4) علي بن رباح بن قصير بن القشيب اللخمي أبو عبد الله ويقال أبو موسى، روى عن جماعة من الصحابة، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل مصر، قال كان ثقة ولد بالمغرب وكان له من عبد العزيز منزلة ثم عتب عليه

بها دار ومسجدا صغيرا، فانتفع به أهل القيروان انتفاعا عظيما وتزودوا من علمه كثيرا، خاصة أنه روى حديث رسول الله ﷺ عن ثلة كبيرة من الصحابة الكرام.

وبدخول القرآن الكريم لتلك الديار، وتدريس علومه من قبل أولئك العلماء والفقهاء، دخل علم التفسير لزاما وأصبح يُدرَّس في تلك الكتاتيب ويُسمع ضمن رواية الحديث، إذ كان التفسير في هذه الفترة يأخذ «طابع التلقي والرواية، حيث لم يدوَّن شيءٌ منه في هذا العصر، بل كان فرعًا من الحديث، ولم يتّخذ شكلاً منظّماً، إنما كانت هذه التفسيرات تُروى منثورة لآيات متفرقة من غير ترتيب وتسلسل لآيات القرآن وسوره، كما لا تشمل القرآن كله»[1].

كما أن ثلاثة من البعثة العمرية الأخيرة كانوا ممن رووا عن ترجمان القرآن الكريم ابن عباس رضي الله عنه وتتلمذوا على يديه وهم: موهب بن حي المعافري وحبان بن أبي جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأنصاري.

أو عن طريق تلامذته كبكر بن سوادة الجذامي الذي روى عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يسار، إذ يمكن اعتبارهم قنوات أولى لدخول علم التفسير لتلك البلاد، وأول من بثَّ هذا العلم الشريف في أهاليها.

ولم تحفظ لنا الوثائق التاريخية أي نص تفسيري كان يُلقَّن ويلقى على مسامع أهل تلك البلاد، إلا ما ذكرنا من تتلمذ بعض العلماء والفقهاء على المدرسة العباسية للقرآن الكريم والذي لزاما قد بثوه فيهم، أو ما حفظته لنا من طريقة حفظ بعض الأهالي للقرآن الكريم، «فقد كان عمر بن يمكتن[2]

عبد العزيز فأغزاه أفريقية فلم يزل بها إلى أن مات، ويقال إن وفاته كانت سنة 114هـ. انظر: «**تهذيب التهذيب**» ج:7، ص:319، و«**سير أعلام النبلاء**»، ج:7، ص:89.

(1) **بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله**، علي السالوس، دار الاعتصام، القاهرة، ص:93.

(2) قال صاحب السير: «قال ابن سلام: كان عالما من علماء المسلمين، قال أخبرني أبو صالح النفوسي بتوزر قبل سنة أربعين ومايتين أن أول من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمكتن، وهو أصغر ولد دمر الحمدانية بنت

يحفظ القرآن الكريم عن طريق التعرض إلى القادمين من الشرق، فيكتب لوحه ويحفظ ما فيه، ثم يمحوه ويعود إليهم فيكتب جزءا ثانيا، وهكذا حتى أتم حفظ القرآن»[1]، وهو دليل على ندرة المصاحف في تلك الحقبة، إن لم تكن منعدمة.

كما قد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية وثيقة مهمة، يمكن اعتمادها في معرفة مستوى الخطاب الديني الذي استُعملت فيه الآيات القرآنية بتفسير عام لها، ومدى نفوذه بين الأهالي واستيعابهم لذلك الخطاب التفسيري، وذلك زمن دخول حنظلة بن صفوان[2] لبلاد القيروان سنة: **128**ه، وألقى فيهم كلمته حيث قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة، أما بعد: فإن أهل العلم بالله وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ قالوا: إنه يرجع جميع ما أنزل الله تعالى إلى عشر آيات، آمرة وزاجرة ومبشرة ومنذرة ومخبرة ومحكمة ومشتبهة وحلال وحرام وأمثال، فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر ومبشرة بالجنة ومنذرة بالنار ومخبرة بخبر الأولين والآخرين، ومحكمة يُعمل بها ومتشابهة يُؤمن بها، وحلال أُمر أن يؤتى وحرام أمر أن يجتنب وأمثال واعظة، فمن يُطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يُحلِّل الحلال ويحرم الحرام ويردَّ العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله مع طاعة واضحة ونية صالحة، فقد أفلح وأنجح في حياة الدنيا والآخرة، والسلام

درجو امرأة يمكتن، وكان عاملا لأبي الخطاب على سرت، استشهد مع أبي الخطاب وهو صاحب لواء لواتة» انظر: **السير** للشماخي، ص:64.

(1) **السير**، أبو العباس أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ت:1301ه، ص:142.

(2) حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر الكلبي، تولى إمارة مصر باستخلاف أخيه بشر له عليها، فأقره يزيد بن عبد الملك سنة:119ه، خرج إلى إفريقية منقذا سنة:124ه، ولما قدم منها ليزيد بلغه وفاته وهو بأرض مصر، فرجع لإفريقية، ثم إن هشام بن عبد الملك صرفه عن ولاية إفريقية، وكانت ولايته فيها ثلاث سنين. أُنظر: «**فتوح مصر والمغرب**»، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، ت:1415ه، ص:249-250. و«**تاريخ إفريقية والمغرب**» للرقيق القيرواني، ص:68-72.

عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

ويمكن اعتبار هذه النُّدرة دليلا على قلة الاهتمام بعلم التفسير في تلك المرحلة، مع **مزاحمة القضايا الفقهية والعقدية** ومسائلهما المتنوعة والمتفرعة للساحة العلمية بل وسيطرتها في حقباتها الأولى، «فلم يحتل التفسير بإفريقية مكانة كبيرة منذ بدأت العلوم الإسلامية تنتشر في البلاد، لعدم حاجة الناس إليه وضعف استعدادهم لممارسته، حتى أن مشاهير المفسرين الإفريقيين لم تكن البيئة هي التي دفعتهم إلى وضع تفاسير اشتهرت بنسبتها إلى إفريقية، بل الأجواء الخارجية من شرقية وأندلسية هي التي بعثت فيهم تلك الهمة»[2].

وقد كان لقدوم عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه، دفعٌ جديد لعلم التفسير ببلاد المغرب والقيروان، واعتناق منهجه التفسيري بين رواده وطلابه، حيث كانت له «حلقة درس في آخر مسجد القيروان ينشر فيها العلم»[3].

وكذا **قدوم أول داعية للمذهب الإباضي سلمة بن سعيد الحضرمي**[4]، وتذهب بعض المصادر أنهما دخلا بلاد القيروان مع بعضهما البعض حيث تقول: «إن أول من جاء يطلب مذهب الإباضية بالمغرب سلمة بن سعيد، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير، سلمة يدعو إلى مذهب الإباضية

---

(1) **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان**، أبو بكر عبد الله بن أبي بكر المالكي، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:01، ت:1951م، ج:01، ص:103. وهو ليس كتاب: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي. الذي طبع بتحقيق بشير البكوش، بدار الغرب الإسلامي، سنة:1983م. فليتنبّه.

(2) **جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي**، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، بيروت، د.ط، ت:1980م، ص:32.

(3) **مباحث في علم الكلام والفلسفة**، علي الشابي، دار أبو سلامة، تونس، د.ط، ت:1977م، ص:165.

(4) سلمة وقيل سلامة بن سعد وقيل سعيد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، صنَّفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن كريمة، **هو أول من جاء من البصرة بمذهب الإباضية إلى بلاد المغرب**، كان حيا حتى سنة:135هـ. أُنظر: «**السير**» للشماخي، ج:1، ص:91.

وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية»[1].

واقترانُ عكرمة بفكر الخوارج، وعَدِّه من رؤوس الفرقة الصفرية ببلاد القيروان والمغرب، وترويج الخلفاء وبعض العلماء لذلك كان له الأثر السلبي على انتشار تفسيره ونقولاته عن ابن عباس، وهي آثار ممتدة حتى زمن مالك بن أنس الذي لم يرو لعكرمة في موطئه وأسقط ذكره تماما، يقول ابن المديني[2] «لم يُسمِّ مالك عكرمة في شيء من كتبه إلا في حديث ثور الديلي[3] عن عكرمة عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو محرم، قال: يصوم ويهدي»[4].

وما لبث أن نفر من تلاميذ سلمة بن سعيد الحضرمي طائفة لتعلم أصول المذهب الإباضي بالبصرة على يد شيخه الأول أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[5]، والعودة إلى المغرب لنشره وبثه بين البربر والعرب على سواء، وكان من هؤلاء الطلبة: عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية ببلاد المغرب الأوسط، الذي انتقل للبصرة سنة: 135هـ وعاد منها حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي إلى إفريقية.

---

(1) **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، المغرب، ط:02، ت:1406هـ، ص:46.

(2) أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جعفر بن المديني الحافظ، أحد الأعلام الأثبات، كان إماما في معرفة الحديث والرجال والعلل، له نحو مئتي مصنف، توفي سنة:234هـ، أُنظر: «**سير أعلام النبلاء**»، 11/41-60، «**ميزان الاعتدال**»، 3/138-141.

(3) ثور بن زيد الديلي مولاهم المدني، روى عن أبي الزناد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، وعنه مالك وغيره، وكان ينسب إلى قول الخوارج، والقول بالقدر ولم يكن يدعو إلى شيء من ذلك، توفي سنة:135هـ، انظر: «**ميزان الاعتدال**»، 1/373، «**تهذيب التهذيب**»، 2/31-32.

(4) أخرجه مالك في **الموطأ** (1/384) في الحج باب: من أصاب أهله قبل أن يفيض. رقم:156-157.

(5) مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة: فقيه، من علماء الإباضية. أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجعا فيه تشد إليه الرحال وكان أعورا، ويقال له (القفاف). شيخ سلمة بن سعيد الحضرمي حامل المذهب لبلاد المغرب، توفي نحو سنة:145هـ. انظر: «**الأعلام**»، ج:7، ص:222. «**السير**» للشماخي، ج:1، ص:83.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الرابع:

التفسير والمفسّرون الجزائريون

زمن الدولة الرستمية

ت س: 296 هـ

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الرابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الرستمية ت س:296هـ:

في سنة: **144هـ أسَّس** الإمام عبد الرحمان ابن رستم الفارسي مدينة «تيهرت»[1] ببلاد المغرب الأوسط، وجعلها الملاذ الآمن له ولأتباعه من الإباضيين بعد تضييق الخناق عليهم من قبل العباسيين، وقد بويع له بالإمامة سنة: 160هـ، دامت دولته حوالي القرن والثلاثين عاما، لم تعرف الاستقرار والثبات والهدوء،

(1) تاهرت بفتح الهاء وسكون الراء اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة، وكانت قديما تسمى عراق المغرب، وهي الآن ولاية تيارت غرب الجزائر العاصمة. أُنظر: **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، تحقيق: جماعة، دار صادر، بيروت، ط:02، ت:1995م، ج:2، ص:07.

بسبب الحروب المتكررة والمتصلة بالولاة العباسيين الذين اعتبروهم خوارجا يجب ردهم إلى حاضرة الإمارة والخلافة العباسية الكبرى، وبسبب الثورات الداخلية[1] التي أثقلتها وكانت عنصرا أساسا في اندثارها وتقليص امتدادها، إذ لم تستطع الاتصال جغرافيا بإباضية جبل نفوسة بليبيا ـ التي تعتبر المركز الأم ـ إلا زمن حكم ابنه عبد الوهاب سنة 186هـ، و**تبدَّدت** الدولة على يد آخر ملوكها اليقظان الذي استسلم للعبيديين سنة **296هـ**، ولها من الأئمة ثمانية:

(1) عبد الرحمن بن رستم. **(2)** عبد الوهاب بن عبد الرحمن. **(3)** أفلح بن عبد الوهاب. **(4)** أبو بكر بن أفلح. **(5)** أبو اليقظان محمد بن أفلح. **(6)** يوسف بن محمد الحكم. **(7)** يعقوب بن أفلح. **(8)** يوسف بن محمد الحكم. **(9)** يقظان بن محمد بن أبي اليقظان بن أفلح.

واشتهر الإباضيون بالاهتمام بالعلوم إجمالا وبعلوم القرآن الكريم خصوصا، وذلك لما عُرف عنهم منتخصيص الحلقات والدروس في المساجد والزوايا، يقول الدرجيني واصفا الحركة العلمية والثقافية بالقول: «وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من علم التفسير والحديث والفرائض والأصول والفروع وعلم اللسان وعلم النجوم، وقد حُكي عن بعضهم أنه قال: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر»[2].

غير أن هذا الاهتمام كان في مسلك الدروس والحلقات، وهو ملحظ مهم لتعليل قلة التصانيف والتآليف عندهم في علم التفسير وعلومه **خاصة قديما**، فالناظر في تراثهم يجد أنهم لم يؤلفوا كثيرا في هذا الفن كبقية المذاهب، واختُلفَ في سبب ذلك بين دافع «المهابة تعظيما وخوفا» وبين أسباب أخرى، يقول الشيخ بلحاج الشريفي نقلا عن ناصر المرموري ما نصه: «كان علماء

(1) كثورة يزيد بن فندين الإباضي.

(2) **طبقات كتاب المشايخ بالمغرب**، أبو العباس الدرجيني، تحقيق: طلاي إبراهيم، دار البعث، الجزائر، د01، ت:1974م، ج:01، ص:56.

الإباضية يهابون تفسير القرآن، قال لي الإمام غالب رواية عن بعض مشايخه: إن الشيخ أبا نبهان جاعد بن خميس حاول ذلك فبدأ من سورة الناس، فلما بلغ سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[الحاقة: 44- 46] قطّع أوراقه وترك التفسير هيبة وخوفًا»[1].

وقد جعل الدكتور الذهبي لقلة تصانيف ـ الخوارج ـ الإباضية في التفسير وعلومه أسبابا ثلاثة، وأغفل تماما دور السلطة السياسية في هذا الأمر، مع ملاحظة التحامل الشديد منه، إذ يقول: «ما السر في أن الخوارج قَلَّ إنتاجهم في التفسير؟ والجواب عن هذا السؤال ـ كما أعتقد ـ ينحصر في أُمور ثلاثة وهي ما يأتي:

أولاً: أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الديني والعلمي والاجتماعي، وكانوا يمثلون الإسلام الأول في بساطته، وعلى فطرتهبدون أن تشوبه تعاليم الأُمم الأُخرى، أضف إلى ذلك: احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبُعْد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.

ثانياً: أنهم شُغِلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم وكانت حروباً قاسية وطويلة ومتتابعة، أسلمتهم حروب علي إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في حالة تشبه الاحتضار وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعيألا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثاً: أن الخوارج ـ مع ما هم عليه من شذوذ ـ كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه ـ عند جمهورهم ـ يخرج الإنسان من عِداد المؤمنين، فلعل هذا دعاهم إلى

(1) **تفسير كتاب الله العزيز**، هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1990م، ج:01، ص:34.

عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله.. وقد سُئِل بعضهم: لِمَ لَمْ تُفسِّر القرآن؟ فقال: «كلما رأيت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[الحاقة: 44- 46]، أحجمت عن التفسير». من أجل هذا كله لم يكن يُنتظر من الخوارج أن يُؤلِّفوا لنا في التفسير كما ألَّفَ غيرهم، وليس التفسير وحده هو الذي حُرِم من تصنيف الخوارج وتأليفهم، بل كل العلوم في ذلك سواء، وما وُجِد لهم من مؤلفات في علم الكلام، أو الفقه، أو الأُصول، أو الحديث، أو التفسير، أو غير ذلك من العلوم فكله من عمل الإباضية وحدهم»[1].

ومن أعلام التفسير الجزائريين في تلك المرحلة:

o أولا: عبد الرحمن بن رستم الإباضي (ت: 171هـ):

تظهر هذه الشخصية كشخصية سياسية بارزة باعتبارها المؤسِّس للدولة الرستمية، كما تظهر عَلَما من الأعلام وشيخا من الشيوخ وقامة علمية مرموقة باعتبارها»عَالِمًا فقيها» لها تاريخها العلمي ورحلاتها في طلب العلم، وتخصصها في بعض مسالك العلم كالفقه والتفسير وغيرها، حتى أنها تذكر في كتب التراجم بأنها «من فقهاء الإباضية بإفريقية»[2].

هو عبد الرحمن بن رستم[3] بن بهرام بن كسرى، أحد «الخمسة الميامين» ولد في العراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، ويَرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس، إلا أن بعض المؤرخين يعيدون نسبه إلى اللذارقة ملوك

(1) **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، ت:2000م، ج:02، ص:234.

(2) **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت:2002م، ج:03، ص:306. **معجم المفسرين**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط:03، ت:1988م، ج:01، ص:265.

(3) لمزيد من ترجمته أُنظر: **معجم أعلام الإباضية**، إبراهيم بحاز وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ت:1421هـ/2000م، ج:02، ص:246.

الأندلس قبل الإسلام، والمهم في هذا أنه سليل بيت الملوك قبل الإسلام.

حلاَّه نويهض بالقول: «مؤسسأول دولة إسلامية جزائرية مستقلة، وأول من ملك من الرستميين فيها، كان من فقهاء الاباضية في أفريقية، معروفا بالزهد والتواضع، وكان على جانب عظيم من العلم والعمل والعدل»[1]، وفي «معجم أعلام الإباضية»: «عَلم من أكبر أعلام الإباضيَّة، أطبقت شهرته الآفاق، أوتي الذكاء والطموح والإصرار، فكان عظيما من عظماء التاريخ. اعتبره الدكتور سهيل زكَّار من بين مائة أوائل في التاريخ والتراث الإسلامي»[2].

توفي والده فتزوجت أمه برجل من أهل المغرب، فأخذها وابنها عبد الرحمن إلى القيروان، حيث نشأ فيها وترعرع، و«تلقى من علمائها نصيبا وافرا من العلم والمعرفة، وفيها أيضا اتصل بالدعاة الإباضيين»[3]، انتقل الإمام إلى البصرة سنة: 135هـ رفقة الخمس الميامين، وقضوا خمس سنين في مدرسة أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة؛ ثمَّ عادوا إلى المغرب لمواصلة جهود الدعاة وإقامة إمامة الظهور.

عيِّن واليًا وقاضيًا على القيروان في دولة أبي الخطَّاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري (140-145هـ)، بعد أن افتكَّها هذا الإمام من يد ورفجومة الصفريَّة التي عاثت فيها فسادًا، وولايته على القيروان هي من أولى مسؤولياته السياسيَّة[4].

خرج بعد محنته مع ابن الأشعث إلى تيهرت وأسَّس بها دولته التي دامت أكثر من 136 سنة، وقد توفي سنة: 171هـ، ترك من التصانيف والتآليف كتاب فيه

(1) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط:02، ت:1980م، ج:01، ص:148.

(2) **معجم أعلام الإباضية**، إبراهيم بحاز وآخرون، ج:02، ص:249.

(3) **طبقات كتاب المشايخ بالمغرب**، أبو العباس الدرجيني، ج:01، ص:11-12. وانظر أيضا: **المختصر في تاريخ الجزائر**، صالح فركوس، دار العلوم، الجزائر، دط، ت:2002م، ص:55.

(4) **معجم أعلام الإباضية**، إبراهيم بحاز وآخرون، ج:02، ص:249.

مجموعة من الخطب المنبرية، ذكره له أبو يعقوب الورجلاني وذكر إفادته منه.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

تذكر بعض المصادر[1] أن لعبد الرحمن بن رستم تفسيرا للقرآن الكريم[2] ولكنه لم يصل إلينا، وأنه بهذا الاعتبار **أول من صنَّف في علم التفسير بالقطر الجزائري**[3] في تلك المرحلة المبكرة جدا.

ولفقد المخطوط ـ والذي أرجح أنه أعدم وأحرق ضمن ثقافة «إعدام التصانيف وتجريم الكتب» التي كانت تمارس سابقا في التاريخ الإسلامي ـ فإننا لا نستطيع الحكم على أسلوبه التفسيري وطريقة تعامله مع الآيات القرآنية، فضلا عن تعامله مع علوم التفسير والقرآن الكريم عموما، كالناسخ والمنسوخ وعلم القراءات ومنهجه في إيراد الإسرائيليات من عدمه، كذا إيراده للقضايا الفقهية والعقائدية... وبقية العلوم المرتبطة بالتفسير.

وكثيرٌ من المصادر والمراجع التي تكلَّمت عن ظهور التفسير ببلاد المغرب والقيروان، تجعل من «تفسير يحيى بن سلام»[4] (ت:200هـ) أول تفسير ظهر في

---

(1) الإباضية على وجه الخصوص، فتفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الإباضي الذي هو اختصار لتفسير يحيى بن سلام، لولا كتب تراجم قومه لما ظهر أو حُقِّق.

(2) وقد نفى ابن الصغير الذي كان معاصرا للرستميين أن يكون لعبد الرحمن كتابٌ معروفٌ بالقول: «ولم يكن لأبيه -عبد الوهاب- عبد الرحمن كتابٌ معروف من تأليفه»، وهو تشكيك جدير بأن يؤخذ بعين الاعتبار، لتبقى المسألة للبحث والتنقيب. انظر: **أخبار الأئمة الرستميين**، ص:39.

(3) «**معجم أعلام الإباضية**» محمد باباعمي وآخرون، ج:2، ص:248، «**معجم المفسرين**» لنويهض ج:1، ص:265. «**الدولة الرستمية**» إبراهيم بحاز، ص288-290. محمد المختار إسكندر في «**المفسرون الجزائريون عبر القرون**»، ص:34، «**التفسير والمفسرون**» محمد الذهبي، ج:02، ص:332. «**كتاب السير**» سعيد الشماخي، ج1، ص:114. «**تاريخ الجزائر العام**» عبد الرحمن الجيلالي، ج:01، ص:219.

(4) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره وله اختيار في القراءة من طريق الآثار، نزل بالمغرب وسكن إفريقيا دهراً وسمع الناس بهاكتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله، توفي سنة:200هـ. انظر: «**غاية النهاية في طبقات القراء**» لابن الجزري، 373/2. و«**معالم الإيمان**» للدباغ، 321/1-327.

تلك الحقبة المبكرة، متناسية بذلك «تفسير ابن رستم»، ولعل للشأن السياسي والتحذير السني والأموي[1] من الخلافة الرستمية والمذهب الإباضي وأنه مذهب الخوارج، واستعمال النصوص الواردة في ذمه، الدور الكبير في هذا التصنيف وتلك الإشادة بتفسير يحيى بن سلام البصري، فقليلة هي المصادر التي ذكرت تفسير ابن رستم، إلا المصادر الإباضية أو التي أرَّخت للدولة الرستمية عند ذكر مؤسسها الأول.

وبلغ انتشار تفسير ابن سلام واهتمام الناس به أن كان يُدرَّسُ زمن صاحبه من طرف تلامذته في القيروان، فضلا عن مؤلفه الذي كان يعقد المجالس لتدريسه، كما أشار إلى ذلك ابن الفرضي[2] إذ يقول: «ومحمد بن وضاح الصدفي[3] من أهل شَذْوَنَة[4] المتوفى سنة: 187هـ، رحل إلى المشرق فروى بالقيروان تفسير القرآن ليحيى بن سلام»[5]، وابن سلام صاحب التفسير توفي سنة: 200هـ، قلت: فشهرته هي التي رفعته لمقام أول التفاسير تصنيفا ببلاد

(1) كرواية سيف بن هارون البرجمي قال: رأيت في المنام في موضع علمت أنه ليست في الدنيا، فإذا أنا برجل لم أر قط أجمل منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا يوسف بن يعقوب، فقلت: قد كنت أحب أن ألقى مثلك فأسأله، قال: سل، فقلت: ما الرافضة؟ قال: يهود، **قلت: ما الإباضية؟ قال: يهود**. انظر: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، دط، ت:1974م، ج:06، ص:385.

(2) عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضيّ: مؤرخ حافظ أديب. ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. ورحل إلى المشرق سنة 382هـ فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها، شهيدا في داره. من مصنفاته: «**تاريخ علماء الأندلس**»، و«**أخبار شعراء الأندلس**» توفي سنة:403هـ. انظر: «**الأعلام**»، ج:4، ص:121.

(3) محمَّد بن وضَّاح بن بزيع، أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام: محدّث، من أهل قرطبة. رحل إلى المشرق، وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد إلى الأندلس فحدّث مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جمّ وصنف كتبا، منها «**العباد والعوابد**»، «**البدع والنهي عنها**» و«**مكنون السر ومستخرج العلم**» في فقه المالكية. انظر: «**سير أعلام النبلاء**»، ج:10، ص:469، و«**الأعلام**»، ج:7، ص:133.

(4) مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، قال أبو سعد: الشّذوني، بالفتح ثمّ السكون وفتح الواو ونون، وهي من أعمال إشبيلية. انظر: «**معجم البلدان**»، ج:3، ص:329.

(5) **قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي**، مسعود الركيتي، دار أبي رقراق، الرباط، ط:01، ت:2012م، ص:80.

المغرب لا حقيقة التأليف في علم التفسير.

وبقيام الدولة الرستمية الإباضية وتمركز الثقافة الإسلامية في مدينة تيهرت واهتمام الولاة بشؤون العلم والتعليم ونشر الحلقات التعليمية في المساجد، توالت الأعمال في العلوم والتفسير.

ثانيا: عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[1] (ت: 208هـ):

عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الرستمي الإباضي، ثاني الأئمة الرستميين، ولي الخلافة بعد وفاة والده بنحو شهر سنة إحدى وسبعين ومائة، واجتمع له في أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع مثله لزعيم إباضي قبله، وكان فقيها عالما شجاعا يباشر الحروب بنفسه وله مواقف مذكورة.

حلاَّه بعض أهل التراجم بالقول «كان فقيها عالما، متضلعا في علوم الشريعة»[2]، «تصدَّر للتدريس فكانت له حلقات علم بتيهرت وجبل نفوسة، وتخرَّج على يديه خلق كثير، منهم ابنه أفلح، فضلاً عن كثير من علماء نفوسة، حيث قضى بجبل نفوسة سبعة أعوام يلقي دروس الوعظ على العامَّة، وتذكر بعض المصادر أنها في فقه الصلاة»[3].

ذكر الشماخي أنه كان صاحب همة ورغبة في جمع الكتب والتصانيف حيث «بعث بألف دينار إلى إخوانه أهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب، فلما وصلتهم الألف اجتمعوا واتفقوا أن يشتروا بها رقا ويجعلوا من أنفسهم الحبر والأقلام، فنسخوا له أربعين حملا من الكتب فبعثوا بها إليه، فلما جاءته نشرها وقرأها حتى أتى على آخرها بأجمعها، فقال: «الحمد لله

(1) انظر زيادة لترجمته: «**السير**» للشماخي:144، «**الأزهار الرياضية**»، 100/2، وفي «**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**» أنّ اسمه: عبد الوارث، وهذا وَهْمٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، 197/1.

(2) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:148.

(3) **معجم أعلام الإباضية**، محمد موسى بابا عمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت:2000م، ج:02، ص:285.

الذي علَّمني كلَّ ما فيها من قبل، ولم استفد منها إلاَّ مسألتين لو سُئلت عنها لأجبت فيها قياسًا»[1].

يروون في ترجمته أنه أراد المدد العسكري والعلمي في إحدى حروبه إذ «طلب من عامله في جبل نفوسة المدد لقتال البربر الذين كانوا على رأي واصل بن عطاء المعتزلي، وطلب منه علماء **بفنون التفسير** والرد على المخالفين والحلال والحرام، وقيل: مائة بطل للمبارزة، **ومائة مفسِّر**، ومائة متكلم عارف بفنون الرد، ومائة عالم بفنون الحلال والحرام»[2]، وممن أُرسل له في علم التفسير محمد بن يانس الدركلي النفوسي (ت:250هـ)[3].

ذكروا له تأليفين هما:

«مسائل نفوسة الجبل»، و«الفتاوى»[4].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

ذكر الشيخ بالحاج شريفي محقق كتاب «تفسير كتاب الله العزيز» لهود بن محكَّم الهواري (ت:280هـ)، أن لعبد الوهاب تفسيرا للقرآن الكريم، ولم يجزم بنقل هود في تفسيره عنه، ولم يزد عن القول: «إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري إلا تفسيرا نُسب إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وآخر إلى الإمام عبد الوهاب، وليس ببعيد أن يكون الهواري قد اطلع عليهما، وليس بين أيدينا الآن فيما بحثت وعلمت شيء من تفسيريهما

(1) انظر: **السير**، أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ت:1301هـ، ص:72. **معجم أعلام الإباضية**، ج:02، ص:285.

(2) **السير**، أحمد الشماخي، ص:69.

(3) انظر ترجمته في **السير** للشماخي.

(4) **أخبار الأئمة الرستميين**، ابن الصغير، تحقيق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ت:1986م، ص:39. وذكر له «الفتاوى» عادل نويهض في ترجمته فلتنظر، **قلت**: ويتطرق لها بالظن والشك، وأنها نفسها مسائل نفوسة الجبل والله أعلم.

حتى نتمكن من المقارنة بين هذه التفاسير»[1]، وهو المصدر الوحيد فيما بحثتُ ذكرا لهذا التفسير، والظن أن اطلاعه على هاته المعلومة يكون من باب المخطوطات التي لم يفتح لنا بابها بعد.

وعلى هذا يمكن اعتباره ثاني تفسير صُنِّف بالقطر الجزائري، وأن أمر عدم انتشاره يعود لنفس العوامل التي حالت دون انتشار تفسير والده عبد الرحمن.

وبفقده وضياع أصله لا يمكن بيان منهجه التفسيري أو تحليل طريقته في التعامل مع الآي الكريم، إلا الجزم بكونه قد خرَّج المسائل الفقهية على أحكام المدرسة الإباضية، دون علم بإيراده لبقية الآراء من مختلف المذاهب الإسلامية الأخرى، كذلك الأمر ينسحب على المسائل الاعتقادية خاصة أنه من أقطاب المذهب الإباضي ورواده الأجلاء.

ويبقى التشكيك في هذا التفسير قائما يلزم القائل به جمع أدلة أخرى.

- **ثالثا: هود بن محكم الهواري الأوراسي (ت: 280هـ):**

الإمام الشيخ هود بن محكَّم[2] الهواري الفقيه الإباضي، من قبيلة هوارة البربرية، اشتغل بتفسير القرآن الكريم، أخذ العلم في طفولته عن والده بعد حفظه لكتاب الله تعالى، وتفقه في مجالس العلم وحلقات الدرس التي كانت تعقد بمساجد القيروان، قطنت أسرته جبل أوراس وكان أبوه قاضياً في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي، وكانت له منزلة في قومه، حلاَّه أهل التراجم بالعالم المتفنن الخائض، والفقيه الإباضي والعالم المتقن، من أقدم مفسِّري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط[3].

---

(1) **تفسير كتاب الله العزيز**، هود بن محكم الهواري، ج:1، ص:85.

(2) اتفقوا على التشديد فيها، واختلفوا في كسرها أو فتحها، ورجح محقق التفسير الفتح، وأجاز الكسر باعتباره الداعي والراضي لتطبيق أحكام الله.

(3) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:338، **معجم أعلام الإباضية**، ج:02، ص:443، **السِّير**، أبو العباس الشماخي، ص:380.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

في تلك الحقبة الزمنية البعيدة ونفس الديار الرستمية[1] ظهر تفسير هود بن محكم الهواري[2] الإباضي، الموسوم بـ«**تفسير كتاب الله العزيز**»، وهو **أول تفسير مكتوبيصل إلينا**، إذ اعتبره كل من أسقط تفسير عبد الرحمن وابنه عبد الوهاب أول تفسير في القطر الجزائري[3].

اعتمد فيه صاحبه التفسير بالمأثور، قال عنه الشماخي: «وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين»[4]، قلتُ: بل تطرق لبعض المسائل اللغوية الإعرابية لكنه لم يكن مكثرا منها.كما اعتمد فيه صاحبه النقل عن «تفسير يحيى ابن سلام» اعتمادا كبيرا وظاهرا، حتى اعتبره البعض تلخيصا له[5]، لذا فإن الدَّارس لمنهج هذا التفسير دارسٌ بالضرورة لمنهج ابن سلام ملاحظ لبصمة ابن سلام فيه كالإكثار من رواية الإسرائيليات التي اشتهر بها تفسيره وغيرها من القضايا، إلا ما خالف فيه صاحبه من بعض المسائل العقائدية، والتي نبَّه على بعضها محقق الكتاب، مثبتا أنه انتصر لفرقته في هذا التلخيص، مخرِّجًا قضاياه العقائدية وبعض المسائل

---

(1) ذكر الشيخ ميمون حمودي أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محكم الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتيهما، وحتى كادت الثورة تقوم بينهم، وتصاف الفريقان وكاد الشر يقع بينهم، فلما رأى ذلك أبو محمد جمال نزع المصحف (التفسير) من بينهم فقسمه نصفين، فوافق قرطاسًا بين النصفين لم يكتب، وأعطى لكلٍّ نصفًا، وزال الشر واصطلحوا. انظر: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت:1982م، ص:359.

(2) لمزيد من ترجمته انظر: مقدمة محقق «**تفسير كتاب الله العزيز**»، بالحاج شريفي، و«**معجم المفسرين**» عادل نويهض، ج:2، ص:713، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، ص:358.

(3) وهو صنيع الدكتور عمار طالبي ومحمد المختار إسكندر اللذين اعتبرا هذا التفسير أول تصنيف جزائري في الصنعة التفسيرية. انظر: **المفسرون الجزائريون عبر القرون**، محمد إسكندر، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، دت، ج:01، ص:40. كما اعتبر عبد الرحمن بن رستم أول المفسِّرين في القطر الجزائري أيضا، أُنظر ص:34.

(4) **السير**، أبو العباس الشماخي، ص:381.

(5) **تفسير كتاب الله العزيز**، هود بن محكّم، ج:01، ص:85.

المنهجية على مذهب الإباضية، بل ورادًّا على ابن سلام دون تصريح في ذلك.

«قدَّم المؤلف لكتابه بمقدمة حوت بعضًا من علوم القرآن، وقد فُقِد أولها لأن المخطوطات الموجودة اتفقت على عدم وجود بداية المقدمة. مثل: أول ما نزل وآخر ما نزل، ونزول القرآن على سبعة أحرف وقراء القرآن في عهده ﷺ، وعدد سور القرآن والمكي والمدني وفي القول في القرآن بغير علم وما يلزم من تكلم في التفسير من علوم وفضل ابن عباس في التفسير، ويورد في ذلك كله آثارا فقط يبدؤها بقوله ذكروا ويسندها لصاحبها بدون ذكر سنده إليه، ومن ذلك قوله:ذكروا أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» وهذا هو منهجه في سائر الكتاب»[1].

ولمن أراد الإطالة في فهم النسيج التفسيري للكتاب، فلينظر مقدمة التحقيق لهذا التفسير، الذي طبع في (04) مجلدات بدار الغرب الإسلامي سنة:1990م.

تجدر الإشارة إلى أن ابن الصغير قد أغفل ذكر هذا التفسير في كتابه «أخبار الأئمة الرستميين»بالرغم من كونه مقاربا جدا له تاريخيا، وهي حجة قد تُبطل قول من أنكر أن يكون لابن رستم تفسيرا لعدم ذكره له، وهو المهتم الحريص على التأريخ لشؤون تلك الدولة الرستمية فكريا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا. وقد ذُكر هذا التفسير أوَّلَ ما ذُكر عند أبي زكريا الورجلاني في كتابه التراجمي «السيرة وأخبار الأئمة».

ختاما: وبعد هذا التفسير لم تعرف الحركة التفسيرية أي مؤلَّف جديد، وأصبحت الساحة التفسيرية خالية من أي اسم لامع في الصناعة التفسيرية أو علوم القرآن تأليفا أو حتى شفويا تدريسيا، وما ذاك إلا للاضطرابات السياسية والسجالاتالفقهية والعقائدية الكبيرة التي شهدتها بلاد المغرب العربي عموما والمغرب الأوسط خصوصا، بعد سقوط الدولة الرستمية ونشوء دولة العبيدين

(1) **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، محمد بن رزق، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:01، ت:1426هـ، ج:02، ص:808.

الفاطميين بها، ودخول الجزائر تحت سلطان العبيدين، وما تلاها من حروب واقتتال ودمار كبير، كان له الأثر الكبير على الساحة العلمية والثقافية بما في ذلك التفسير وعلوم القرآن عموما.

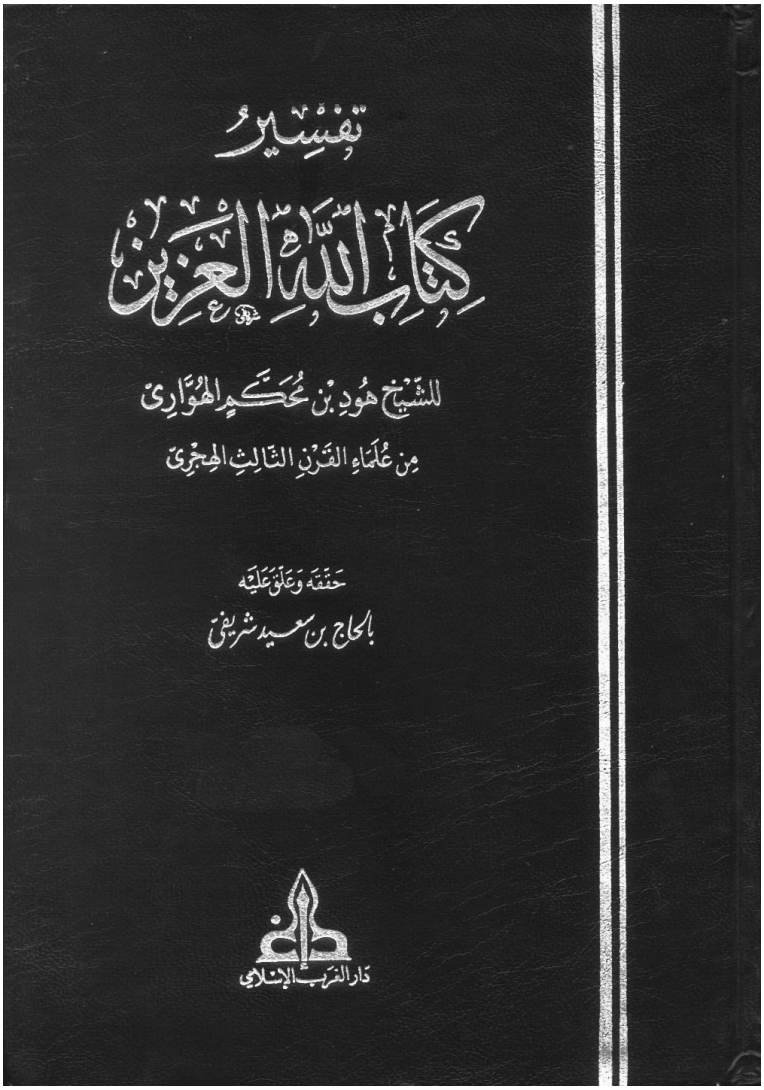

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الخامس:

التفسير والمفسِّرون الجزائريون

زمن الدولة العبيدية الفاطمية

ت س: 387 هـ

المحور الخامس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة العبيدية الفاطمية ت س:387هـ:

تجدر الإشارة إلى أن الحركة العلمية والثقافية بأرض الجزائر عرفت ركودا شبه تام ومنقطع النظير، إذ قلَّ المنتوج العلمي فيها تأليفا وتدريسا في علم التفسير أو بقية العلوم، بسبب الاضطرابات السياسية التي شهدتها، ودخول الأعلام والمشايخ في مسلك الردود أو التأصيل على شبه وأخطاء المخالف، كما أن عددا كبيرا منهم قد قُتل أو هاجر خوفا على حياتهكالإمام بكر بن حماد التاهرتي، أبو عبد الرحمن (ت:296هـ)[1] وأحمد بن قاسم التاهرتي البزاز، أبو الفضل (ت:395ه)[2] وغيرهم كثير مما رجع سلبا على العطاء والمنتوج

(1) بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، أبو عبد الرحمن: من شعراء الطبقة الأولى في عصره، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، ولد بتيهرت، ورحل إلى البصرة، فأخذ عن كثير. عاد إلى إفريقية قبل سنة:239ه وتصدر لإملاء الأدب والعلم بجامع القيروان الكبير، فارتحل إليه الكثر من أهل إفريقية والأندلس للأخذ عنه. عاد إلى تاهرت فتوفي بعد سنة من عودته له «ديوان شعر» كبير. أُنظر: **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:58-59. و«**الإصابة في تمييز الصحابة**» لابن حجر، ج:05، ص:233.
قلت: وقد نُسب للتشيع بسبب قصيدة طويلة في رثاء أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذم قاتله ابن ملجم، وذكره العاملي مثبتا تشيّعه في «**أعيان الشيعة**»، ج:03، ص:491. ولأجل معرفة آثار كل ذلك والحالة التي كان يعيشها العلماء وطلبة العلم ومنه تقييم الحركة العلمية والفكرية في تلك الفترة، أُنظر: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، إبراهيم التهامي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط:01، ت:2012م، ص:315.

(2) أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز، أبو الفضل: محدِّث، حافظ، عالم، من الزهاد، من أهل تاهرت، رحل مع أبيه إلى الأندلس سنة 317ه ذكره ابن شكوال وقال: «وكان سكناه بمسجد مسرور (بقرطبة) وإسماعه في مسجد سريج». توفي سنة 395ه وصلى عليه قاضي الجماعة أبو العباس بن ذكوان. انظر: **معجم أعلام الجزائر**، ج:01، ص:58. و**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، لابن باشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت:1955م، ص:86.

العلمي في تلك المرحلة بالذات.

ولعل لوقوع الجزائر «المغرب الأوسط» ساحةً للصراعات ومساحةً لتمدد الأطماع الجغرافية، للأغالبة شرقا والأدارسة غربا والرستمية جنوبا، وارتسامها خط المنتصف وحدا فاصلا بين الدول الثلاث، الأثر الكبير في نقصان وتقلص الإنتاج المعرفي عموما، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال كتب التراجم والأعلام والسير التي تظهر فيها نسبة الأعلام من تلك الحقبة الزمنية قليلة جدا، ومن تُرجم له فقد عُرف بكتب تراجم قومه ومذهبه.

لذا فإننا لم نظفر ولحد الساعة بأي عمل تفسيري تأليفا أو تدريسا لأي عَلم من أعلام الجزائر زمن الأدارسة والأغالبة.

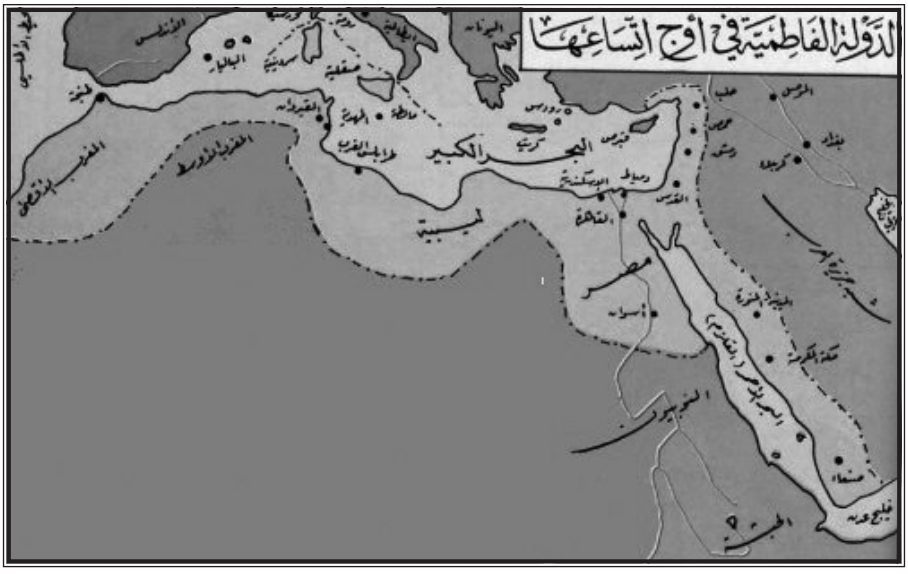

بعد تعرض عبيد الله المهدي الشيعي للاضطهاد من طرف الخلافة العباسية، أوكل داعيته أبا عبد الله الصنعاني أن يقوم بالدعوة للفكرة والعقيدة المهدوية ببلاد المغرب كونها بعيدة عن موطن الخلافة، وقام داعيه بالأمر أحسن قيام وآوته قبائل بربرية ككتامة وزناتة، وبمدد منها أسقط حكم الأغالبة والأدارسة وفتح تيهرت، وأسَّس بعده الخليفة عبيد الله ـ حينما بويع له بالخلافة ـ بالقرب

من القيروان مدينة «المهدية» كعاصمة لملكه سنة 308هـ، ومنها انطلقت الدعوة الفاطمية، وقد تولى أمرها خمسة أمراء هم: عبيد الله المهدي، محمد القائم بأمر الله، الظاهر إسماعيل منصور، المعز لدين الله، والذي أسَّس في خلافته مدينة القاهرة سنة 341هـ، ونقل الخلافة إليها.

في ذلك الجو السياسي المشحون بالطائفية والحروب والاقتتال، وخمول الحركة العلمية والثقافية وقلة الإنتاج المعرفي، ظهرت شخصيتان جزائريتانفي علم التفسير، الأولى يُجزم بكونها من أهل التفسير درسا وتأليفا، خلافا للثانية فإنها محل بحث وتنقيب، والشك والظن فيها وارد، لما سنورده.

- **أولا: أبو العباس أحمد الباغاني[1] الأمازيغي (ت: 401هـ):**

أحمد بن علي بن عبد الله، أبو العباس الربعي الباغاني، (الباغائي) من كبار علماء المالكية في وقته وأحد مجتهديها وأعلامها، من أهل «باغاية»[2] بولاية خنشلة، ولد بها سنة: 345هـ، ونشأ فيها وأخذ في بداية أمره عن شيوخها، رحل إلى المشرق وسمع بمصر وغيرها، ثم دخل الأندلس وأقرأ بالمسجد الجامع

(1) لمزيد من ترجمته انظر: **معجم المفسرين**، ج:1، ص:49، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، لابن بشكوال، ج:01، ص:87. و**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دط، دت، ج:01، ص:174. و**طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، تحقيق: جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ج:1، ص:53-54. و**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وجماعة، مطبعة فضالة، المغرب، ط:01، ت:1983م، ج:07، ص:198.

(2) مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجّانة وقسنطينية الهواء «هكذا». انظر: **معجم البلدان**، ج:01، ص:325. قال الداودي: مولده بباغا، **قلت**: وهي بلدية بَغَايْ التابعة إداريّا لدائرة الحامة ولاية خنشلة. **وقد ضبط ابن فرحون النسبة بالقول: قلت: الباغاني بالباء الموحدة والغين المعجمة والنون**. ويرى الدكتور علي العبيد بأنها الباغائي، وبرر ذلك أن اسم البلدة «باغاية» بالتاء المربوطة، وقد قوى النحويون النسبة إلى مثلها بقلب الياء همزة بعد حذف التاء، وأنها وردت في النسخة المخطوطة التي اطلع عليها بالهمز لا النون. انظر: **تفاسير آيات الأحكام**، علي العبيد، ج:01، ص:163.

بقرطبة، أخذ بمصر عن الأُدْفُوي النحوي المفسِّر المقرئ[1] (ت:388هـ)، وابن غلبون الحلبي[2] (ت:309هـ) وغيرهم كثيرا، وتتلمذ على يده ثلة من الأعلام المشتهرين الموصوفين.

زكَّاه ابن باشكوال تزكية فريدة عظيمة في «الصِّلة» فقال: «كان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه، وناسخه ومنسوخه... وكان رجلا ساكنا عفيفا فيه بعض الغفلة... ذكره أبو عمر بن الحذاء[3] وقال: كان أحفظ من لقيت لاختلاف القراء وأخبارهم، وانصرف إلى مصر واتصل بنا موته فيها بعد أعوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[4]، حلاَّه ابن فرحون بالقول: وقرأ عليه بن عتاب وناهيك به مزية!!وكان ابن عتاب[5] يستحسن كتابه في

(1) محمد بن علي بن أحمد الأُدْفُوي، أبو بكر: نحوي مفسر. ولد سنة:304هـ، بصعيد مصر، وتوفي سنة:388هـ. كان يبيع الخشب في القاهرة، وتوفي بها. له (الاستغناء) في علوم القرآن، ومؤلفات في الأدب. أُنظر: **الأعلام**، للزركلي، ج:06، ص:274.

(2) طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر، أبو الحسن ابن أبي الطيب: أستاذ في القراءات، ثقة. وهو شيخ الداني. له كتاب (التذكرة في القراءات الثمان – خ) منه نسخة تامة قديمة جيدة، في خزانة الرباط (282 أوقاف) مات بمصر، سنة:399هـ. انظر: **الأعلام**، للزركلي، ج:03، ص:222.

(3) محمد أبو عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحذاء التميمي، حافظ للرأي متفنن في الأدب مميز للحديث ورجاله، مرسل بليغ عارف بالوثائق وكان خطيباً ومعبراً وغلب عليه الحديث. لقي جماعة من الشيوخ رحل فلقي ابن أبي زيد بالقيروان وتفقه معه جماعة وحمل عنه تآليفه. استوطن سرقسطة حتى مات بها سنة:410هـ. أُنظر: **الديباج المذهب**، ابن فرحون، ج:02، ص:237-238. **قلت**: ذكر ابن بشكوال أنه عهد أن يُدخل في أكفانه كتابه المعروف بالأنباء على أسماء الله، فنُثر ورقه وجعل بين القميص والأكفان نفعه الله بذلك. **الصلة**، ص:480.

(4) **الصلة في أخبار أئمة الأندلس**، لابن بشكوال، ص:87.

(5) محمد بن عتاب بن محسن مولى عبد الملك بن سليمان بن أبي عتاب الجذامي: من أهل قرطبة، وكبير المفتين بها؛ يُكنّى: أبا عبد الله. وكان فقيها عالما، عاملا ورعا عاقلا بصيرا بالحديث وطرقه وعالما بالوثائق وعللها، مدققا لمعانيها، لا يجارى فيها. كان شيخ أهل الشورى في زمانه، وعليه كان مدار الفتوى في وقته، دُعي إلى قضاء قرطبة مرارا فأبى من ذلك وامتنع. ولد سنة 383هـ وتوفي 462هـ ودفن بمقبرة الربض قبلي قرطبة. أُنظر: **الصلة**، لابن بشكوال، ص: 517/515.

الأحكام[1].

ذكر القاضي عياض أن ابن حيان القرطبي[2] قال: «كان ربانيا في علوم الإسلام، جم الرواية، شديد الحفظ آية في ذلك، لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن وهي كانت الغالبة عليه، وكان بحرا من بحار العلم، حسن التلاوة، ذا حظ من الفقه، وبصيراً بالشروط، طاهر الثوب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[3].

تجدر الإشارة إلى أن أول من ترجم لهذه الشخصية العلمية بحسب ما وصلنا من المطبوع هو القاضي عياض في كتابه «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»، وأن البقية كانوا نقلة عن بعضهم البعض.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

في أواخر القرن الرابع الهجري ألَّف الإمام الباغاني في تفسير آيات الأحكام كتابه «أحكام القرآن»[4]، والذي اشتهر به وذكره كل من ترجم له، فأجمعوا على الثناء عليه وعلى صنعته في التفسير والقراءات، قال عنه الداودي: «وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا، وهو على مذهب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[5]،

(1) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون، ج:01، ص:174.

(2) الإمام المحدث المؤرخ النحوي، صاحب التصانيف، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي مولاهم، القرطبي، الأخباري، الأديب. ولد سنة سبع وسبعين وثلاث مائة، لزم أبا عمر بن الحباب النحوي، حدَّث عنه: أبو علي الغساني، ووصفه بالصدق. من تصانيفه كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس» عشرة أسفار وكتاب «المبين في تاريخ الأندلس» مبسوطا في ستين مجلدا نقله ابن خلكان. توفي سنة تسع وستين وأربع مائة 469هـ. انظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي، ج:13، ص:469.
قلتُ: وليس القاضي يريد أبا حيان التوحيدي المتوفى سنة:414هـ، ومتعذر أن يكون ابن حيان الأندلسي لأنه توفي سنة:745هـ، والقاضي عياض توفي سنة:544هـ.

(3) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض، ج:07، ص:198.

(4) منه نسخة خطية واحدة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، برقم: 360، رواق المغاربة، بمجلد واحد، عدد لوحاتها 91 لوحة، وأسطرها متفاوتة بين 20 و28، عليها تعليقات. ونسخة ثانية مصورة عنه الأزهرية بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، برقم: 4 (عن مكتبة الأزهر برقم 360).

(5) **طبقات المفسرين**، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:1983م، ج:01، ص:53-54.

ويمكن اعتباره المصنَّف الوحيد الذي برز للساحة العلمية بعد «تفسير كتاب الله العزيز» لهود بن محكَّم الهواري في التفسير وعلومه.

ومكانة الكتاب العلمية ظاهرة حيث كان التأليف في آيات الأحكام صنعة الأعلام ورموز المذهب، بأن تقصدوا المنافحة والتدليل على المذاهب الفقهية التي ينتمون إليها وإضفاء الحصانة الفقهية وأحكامها من الآيات القرآنية، كمصنَّف الإمام الجصاص أبي بكر الحنفي (ت:370هـ) «آيات الأحكام»، و«آيات الأحكام للإمام الشافعي» الذي جمعه خادم المذهب الشافعي بالتصانيف الكثيرة أبو بكر أحمد البيهقي (ت:458هـ)، كذا «آيات الأحكام» لأبي الحسن علي بن محمد الكيا الهراسي الشافعي (ت:504هـ)، و«آيات الأحكام»للقاضي ابن العربي المالكي (ت:543هـ)، و«الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله القرطبي المالكي (ت:671هـ).

ذكر الدكتور علي العبيد أنه اطلع على مخطوطة الكتاب ووجد في غلاف الكتاب ما نصه: «كتاب فيه أحكام القرآن اختصار أبي العباس أحمد بن علي المقري الباغائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[1] ثم أردفها بالقول: مما يدل على أنه مختصر في أحكام القرآن.

قلتُ: ليس بلازم أنه اختصار في آيات الأحكام من انتاجه المعرفي، بل قد يكون اختصارا لمطول لأحد الأعلام من قبله، فالمسألة قابلة للبحث.

تطرق فيه صاحبه إلى بيان معاني الآيات باختصار دون تطويل فيها، مركزا على آيات الأحكام، مرجحا ـ غالبا ـ قول مالك صاحب المذهب بعد إيراده لأقوال المذاهب الأخرى خاصة الحنفي، وقد يذكر بعض القراءات وأوجهها، إن كان الخلاف فيها ينبني عليه خلاف في الأحكام، ثم يرجح بعد ذلك، يقول الدكتور علي العبيد: «سار الباغائي في كتابه على الطريقة التالية:

(1) **تفاسير آيات الأحكام**، علي العبيد، دار التدمرية، الرياض، ط:01، ت:2010م، ج:01، ص:167. وأصلها رسالة دكتوراه.

1. ابتدأ كتابه ببيان بسم الله الرحمن الرحيم، وهل هي من القرآن؟ وحكم الجهر بها في الصلاة، وخلاف العلماء في ذلك، ثم ذكر لفظة «آمين» ومعناها وحكم قراءتها.

2. ثم بدأ في بيان أحكام القرآن وسوره، فرتبها حسب ترتيب المصحف مبتدئا بقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ ثم بسورة آل عمران فالنساء، وقد بلغت السور التي عرض فيها للأحكام ثمان وسبعين سورة، بدءا من البقرة وانتهاءابيانه لسورة الإخلاص، حسب النسخة الموجودة بين يدي، التي يبدو أن بها نقصا قليلا في آخرها يقدر بصفحة.

3: وطريقته في بيان الآيات، أنه يذكر الآية التي فيها حكم بقوله: قال الله عَزَّوَجَلَّ، فيبين معناها، وخلاف العلماء فيها، وما فيها من نسخ وإحكام وسبب نزول... وغيرها من المباحث.

ومثال ذلك من كتابه: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾، أي غير باغ ما حرَّم عليه من أكلها، ولا عاد وله عنها وجه غنى، وقال بعضهم: التأويل غير باغ على الناس ولا عاد عليهم. ﴿ٱلۡمَيۡتَةَ﴾: يريد بها ميتات البر، وكذلك ﴿وَٱلدَّمَ﴾ يراد به الدم المسفوح خاصة، فالميتة وكل ما ذكر معها في الآية محرمة إلا عند الضرورة، فإذا وقعت ضرورة كانت الميتة وما ذكر معها مباحا أكله، ويأكل المضطر من الميتة حتى يشبع ويتزود... فإن اضطر إلى شرب الخمر لم يشربها، لأنها تضره ولا تنفعه، والعلة التي منعت جوازها هو أن الله عَزَّوَجَلَّ قال في عقب هذه المحرمات وغيرها ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ ولم يقل ذلك في عقب تحريم الخمر...

4. وفي معرض بيانه للأحكام فإنه يبيّن في الغالب رأي الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد يذكر بعض خلاف الفقهاء ولكن بقلة، فمن ذلك مثلا ما ذكره في سورة التوبة حيث قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ هذه الآية ناسخة للصلح الذي صالح رسول الله ﷺ المشركين ألا يمنع

أحد من البيت. قال مالك وعمر بن عبد العزيز: يمنع اليهود والنصارى وسائر الكفار من دخول الحرم ومن دخول جميع المساجد، وقال الشافعي: يمنع المشركون جميعا من دخول الحرم، ولا يمنعون من دخول المساجد، وقال أبو حنيفة وجماعة: لا يمنع اليهود والنصارى دخول الحرم، ولا من دخول سائر المساجد، وإنما المشركون عنده عبدة الأصنام...

5. كما أنه يستدل للأحكام بأقوال النبي ﷺ والصحابة ومثَّل لذلك.

6. وقد توسع كثيرا في بيان النسخ والإحكام في كثير من الآيات فمثلا قال في سورة البقرة قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ هذه الآية منسوخة بقوله ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ولم يكن القتال جائزا في الحرم ولا في الشهر الحرام ثم نسخ الله ذلك.

7. وقد يذكر بعض القراءات إذا كان يترتب عليها خلاف في أحكام الآية، فمثلا في سورة المائدة قال: قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾، قرئ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب وبالخفض، فمن نصبه فالمعنى عنده فاغسلوا وجوهكم وأرجلكم، ومن قرأ وأرجلِكم بالخفض فالمعنى عنده وامسحوا بأرجلكم لأنه معطوف على قوله ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، قال بعضهم المسح هاهنا مراد به الغسل، لأنه حدد إلى الكعبين، والمسح لا يحدد فيه، وقال بعضهم: المسح فرض والغسل سنة»[1].

وختم كلامه بعنوان «رأيي في الكتاب» قال فيه: «على العموم فالكتاب في مجمله مختصر في أحكام القرآن على مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التزم فيه مؤلفه بيان معاني الآيات المشتملة على الأحكام باختصار، وإن كان لم يستقصها، كما بيَّن ما فيها من نسخ وإحكام، ولم يشر في كتابه إلى أنه رجع إلى كتب في الأحكام أو غيرها، فأتى كتابه خاليا من المراجع أو حتى التصريح

(1) **تفاسير آيات الأحكام**، علي العبيد، ج:01، ص:180/172. بتصرف.

بأسماء الأئمة الأعلام فيكتفي بقوله «قال بعضهم»، وأرى أنه يستحق النشر»[1].

قلتُ: ولا يصار إلا لقول وحكم وتوصيف الدكتور علي العبيد على صنعة الإمام الباغاني وما قرره آنفا في طريقة تعامله مع الآي الكريم وبيان أحكامه الفقهية من الآيات القرآنية، إذ المخطوط وقع بين يديه.

تجدر الإشارة إلى أنه في سنة: 1429هـ الموافق 2008م، صدر كتاب الإمام الباغاني «أحكام القرآن»عن جامعة الملك سعود بالرياض السعودية، بتحقيق الطالب: سليمان بن عبد العزيز آل سليمان، من أول الكتاب إلى نهاية أحكام سورة البقرة، وهو مطبوع متداول.

والمخطوط منه نسخة خطية واحدة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، برقم: 360، رواق المغاربة، بمجلد واحد، عدد لوحاتها 91 لوحة، وأسطرها متفاوتة بين 20 و28، عليها تعليقات. ونسخة ثانية مصورة عنه الأزهرية بمركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، برقم: 4 (عن مكتبه الازهر برقم 360).

لوحات من مخطوط «أحكام القرآن» للإمام الباغاني

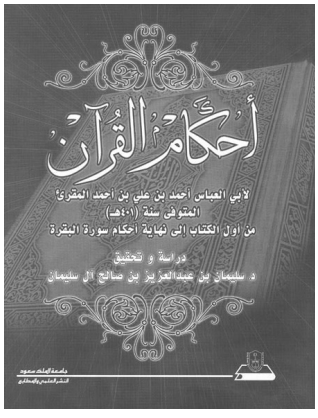

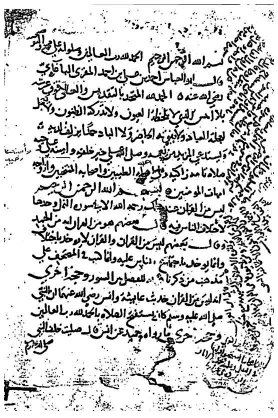

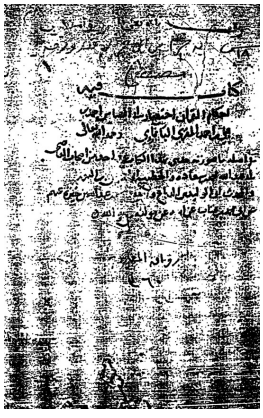

(1) **تفاسير آيات الأحكام**، علي العبيد، ج:01، ص:180.

ثانيا: أحمد بن نصر الداودي المسيلي[1] (ت: 402هـ):

أبو جعفر أحمد بن نصر الدَّاودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، دَرَس علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، ثم بعض مختصرات كتب الفقه المالكي، كما هو متعارف عليه عند مدرسي تلك العصور، حلاَّه القاضي عياض بالقول: «من المتَّسمين في العلم المجيدين للتأليف، كان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً»[2]، وكان درسه ـ طلبه للعلم ـ وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه[3]، كما حلاَّه المخلوف بالقول: «الإمام الفاضل العالم المتفنن الفقيه، له حظ من اللسان والحديث والنظر»[4].

كان بطرابلس وبها أملى كتابه في شرح الموطأ، ثم انتقل إلى تلمسان، ولا يعلم تاريخ ذلك، ألّف كتابه«النامي[5] في شرح الموطأ»[6]، و«الواعي في الفقه»، و«النصيحة في شرح البخاري»[7]،

(1) وأرجّح كونه مسيلي النسب من قبيلة الدوادة الصحراوية، لأنه أقام في بداية أمره وطلبه في المسيلة، قبل هجرته لطرابلس، كما حدَّث بها، وهو ما نجده في ترجمة أحد طلبته أحمد بن محمد بن عبيدة المعروف بابن ميمون، وترجمته في «الصلة» (ص:52)، كما نسبه ابن خير الإشبيلي إلى المسيلة بالقول: «الفقيه المالكي من أهل المسيلة». انظر: **فهرس ابن خير الإشبيلي**، ص:76.

(2) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض، ج:7، ص:104.

(3) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي ابن فرحون، ج:01، ص:165-166.

(4) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:2003م، ج:01، ص:164.

(5) وعند بعضهم «القاضي»، كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض.

(6) توجد منه نسخة بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم:527 ونسخة أشار إليها الحسين محمد شواط برقم:175، فهرس مكتبة القرويين (181/01)، وذكر أنها جزء.

(7) **مصنَّفٌ مفقود لم يعثر عليه**، حتى قال يوسف الكتاني: «أما عن شرح «النصيحة» فلا يعرف أثره إلى اليوم، وقد كانت الظنون أنه من ذخائر خزانة القرويين، وقد بحثت عنه طويلا، وبمساعدة قيّمها المرحوم العابد الفاسي، ومساعدوه الذين أكدوا عدم العثور عليه، كما أنه لا يوجد مسجلا ضمن الكتب المفهرسة بها، ولا ذكر له في مختلف القوائم والفهارس المتعلقة بخزانة القرويين منذ «فهرس بل» سنة 1917 إلى اليوم، ولكنني أميل إلى وجوده إما بين الكتب التي لم تفهرس بعد، والتي أخذت الأَرَضَة تأكل بعضها، وإما بين مئات

و«الإيضاح في الرد على القدرية»[1]، و«كتاب الأسئلة والأجوبة»[2]، و«كتاب البيان» و«كتاب الأموال»[3] وغير ذلك، توفي بحاضرة تلمسان سنة: 402هـ، وقبره عند باب العقبة، ويقول في ذلك الإمام المقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن بها أهل ذكاءٍ وفَطَن يكفيك أن الداودي بها دفن

في رابعٍ من الأقاليم قطِن مع ضجيعه ابن غزلون الفطِن[4]

يمكن اعتباره **أوَّل من شرح الجامع الصحيح للبخاري**، ونازعه في ذلكالإمام الخطابي، وهو بيقين أوّل من شرحه من المغاربة، وقد اعتمد عليه ابن حجر في فتحه فنقل منه حوالي 480 موضعا بين استشهاد ونقل، وأورد الكثير من أقواله واختياراته، **كما يعتبر بتأليفه «النامي» ثاني شارح للموطأ** بعد شرح محمد بن سحنون القيرواني له.

- **فتنة العبيدين وموقفه منها:**

لم أجد موقفا يُذكر للإمام الداودي حول فتنة العبيدين الفاطميين بأرض المغرب، إلا ما حكاه القاضي عياض بالقول: «وبلغني أنه كان ينكر على معاصريه

الكتب التي استعيرت من خزانة القرويين، وبقيت ضائعة عند المستعيرين إلى الآن، ومازلتُ آمل العثور على هذا «الشرح» النفيس. انظر: **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، يوسف الكتاني، دار لسان العرب، بيروت، ط:01، دت، ج:02، ص:569-570.

(1) وعند بعضهم «الفكرية»، كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض، وربما هو تصحيف من قبل النساخ، والله أعلم.

(2) منه نسخة في مكتبة الزيتونة تحت رقم: 10486، ونسخة ثانية بالخزانة العامة بالرباط برقم: 8178.

(3) وهو فتاوى وأحكام في الأمور العارضة وفيما جرى عليه الحال في البلدان المفتوحة مثل: صقلية والأندلس وبعض بلدان إفريقية الجنوبية، وبعض النوازل الفقهية التي كانت في عصر المؤلف، وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب مصورة عن النسخة الموجودة بالأسكوريال بإسبانيا تحت رقم:1165، وقد قام بتحقيقه رضا محمد سالم شحادة، وطبعه مركز إحياء التراث العربي، الرباط بالمملكة المغربية الشقيقية، وتقدم الأستاذ نجيب عبد الوهاب بمناقشة حوله في رسالته للدكتوراه بجامعة بريطانيا.

(4) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط:08، ت:1997م، ج:05، ص:433.

من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك. فأجابوه: أسكت لا شيخ لك، أي لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين، تثبيتٌ لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنه لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق من بقي فيها من العامة الألف والآلاف، فرجحوا خير الشرين، والله أعلم»[1]، ومن هذه الحادثة انتشر عند كل من ترجم للداودي أنه كان منكرا للمكث والإقامة في مملكة الفاطميين، وأن سبب رحيله من طرابلس إلى أرض تلمسان هو خروج العبيدين منها، وتوسعهم نحو طرابلس الغرب.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يذكر في كتب التراجم والسير التي ترجمت للإمام الداودي اشتغاله بالتفسير وعلومه، غير أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار في مواطن عدَّة من تاريخه للجزائر[2]، أن الإمام عبد الرحمن الثعالبي صاحب تفسير «الجواهر الحسان» قد أخذ ونقل من تفسير سمَّاه «تفسير الداودي»، واعتمد عليه وعلى تقريراته وترجيحاته في مواضع عدة من تفسيره، بل وسمَّاه بالقول: تفسير القرآن المجيد.

قلتُ: بل صرّح الإمام الثعالبي بذلك، وأخبر أنه أخذ من تفسير الداودي، وصرَّح باسمه قائلا: «ومهما ذكرت الداوديّ في هذا «المختصر»، فإنما أريد أحمد بن نصر الفقيه المالكي، **ومن تفسيره أنا أنقل**»[3].

---

(1) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض، ج:7، ص:104.

(2) **تاريخ الجزائر العام**، عبد الرحمن الجيلالي، ج:1، ص:273.

(3) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد معوض، عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:01، ت:1418هـ، ج:01، ص:430.

وقد أحصيتُ أكثر من 60 موضعا، نقل فيه الإمام الثعالبي عن الداودي، مشيرا له بالقول: قال الداودي في تفسيره، أو: وفي تفسير أبي نصر، أو: وكذا فسَّر الداودي، وأحيانا يذكر اسمه كاملا بالقول: وفي تفسير أبي نصر أحمد الداودي.

ورغم كل هذا فإنه لا يمكن الجزم بوجود هذا التفسير وصحة نسبته لمؤلفه، ذلك أن كل كتب الببليوغرافيا والتراجم التي ترجمت للداودي لم تذكر له هذا التفسير، بما في ذلك كتب طبقات المالكية كابن فرحون والقاضي وغيرهم، وهذا مُشْكَلٌ مبهم.

وعمدة من قال بهذا التفسير، كلام الثعالبي في تفسيره، ونقله لنصوص يثبت فيها أنها من تفسير الداودي، وأزعم أن قول الثعالبي»... قال الداودي في تفسيره..» يحتمل أنه يريد به تفسيره للموطأ، فكثير ممن كتب عن مؤلفات الداودي عند ذكرهم لشرحه لموطأ مالك يقول: المسمى «تفسير الموطأ» وهو صنيع ابن خير الإشبيلي في فهرسته حينما ذكر تصانيفه ولم يذكر تفسيره للقرآن، وقال في الشرح: «تفسير الموطأ»[1]، خاصة أنه أخبر عن رؤيته لإجازة بتصانيف الداودي كتبها الداودي نفسه.

كما أن ابن بشكوال ذكر في ترجمة مروان بن علي الأسدي القطان أحد طلبة الداودي أنه «صحبه مدة خمسة أعوام، وأخذ عنه معظم ما عنده من روايته وتواليفه، وله كتاب مختصر في تفسير الموطأ، هو كثير بأيدي الناس[2]، وقد سمَّاه تفسيرا للموطأ، قلتُ: ولا يبعد أن يكون هو هو نفسه شرح الداودي.

كما أن نقولات الإمام الثعالبي بعد أن تتبعتها وجدت أن بعضها كان في الصنَّعة الفقهية ترجيحا لقول مالك صاحب المذهب كما في قوله: «قلت ـ الثعالبي ـ: وعبارة الداوديُّ قال مالك: ولا يَحْكُمُ بينهم، إذا اختار الحكم

(1) **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:1419هـ، ص:76.

(2) **تاريخ أئمة الأندلس**، لابن بشكوال، ص:582.

إلا في المظالم، فيحكم بينهم بما أنزل الله، ولا يحكم فيهم في الزنا إلا أنْ يعلنوه، فيعاقَبُونَ بسبب إعلانه، ثم يردُّون إلى أساقفتهم، قال مالك: وإنما رجم النبيّ ﷺ اليهودِيَّيْنِ قبل أنْ تكون لهم ذمَّة. انتهى»[1].

وفي «نيل السائرين في طبقات المفسرين»[2] ذكرٌ وترجمة للإمام الباغاني في طبقة المفسِّرين من القرن الخامس، ولم يذكر الداودي على اشتهاره، كذا في «طبقات المفسِّرين» للداودي (ت:945هـ) فقد ذكر الإمام الباغاني وأغفل ذكر الداودي.

وظن ثانٍ، أنَّ نسخة وقعت بيد الإمام الثعالبي أخطأ ناسخها في نسبتها للإمام الداودي، والدَّارس في علم المخطوطات ومبحث نسبة الكتاب لصاحبه يجد هذه الأخطاء الفادحة متكررة مبثوثة في تاريخنا الثقافي العلمي، فقد كان اشتهار الأعلام أحد أسباب إلصاق الكتب بأسمائهم قصد الترويج المذهبي أو الاتجار الربحي وغير ذلك من المقاصد.

وبنفس هذا الوهم نُسب أيضا مروان بن علي الأسدي البوني (ت:439هـ) إلى التفسير وأنه من رجال التفسير في أرض الجزائر، وهو الوهم الذي قلَّده تماما بتمام صاحب «المفسرون الجزائريون عبر القرون» بل حتى أنه نقل نفس الهوامش التي اعتمدها عادل نويهض في معجمه، يقول ابن بشكوال في ترجمة مروان بن علي الأسدي: «روى عنه أبو القاسم حاتم بن محمد وقال: قرأت عليه تفسيره في الموطأ»، ولم تذكر المصادر والمراجع أنه كان مفسِّرا أو صاحب صناعة تفسيرية، بل أجمعوا أنه رجل حديث وفقه.

وفي غياب نسخة صحيحة السند للإمام الداودي، أو ترجمة جديدة من أحد كتب التراجم والسير المخطوطة التي لم تطبع بعد، لا يمكن القول أنه من أعلام التفسير الجزائريين، مع مكانته العلمية الكبيرة، لتبقى القضية محل بحث ونقاش، وطلبتنا الكرام هم مفتاح هذا الأمر.

(1) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن الثعالبي، ج:02، ص:384.

(2) **نيل السائرين في طبقات المفسرين**، محمد طاهر، مكتبة اليمان، باكستان، ط:03، ت:2000م، ص:119.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور السادس

التفسير والمفسِّرون الجزائريون

زمن الدولة الحمادية

ت س: 547 هـ

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور السادس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحمادية ت س:547هـ:

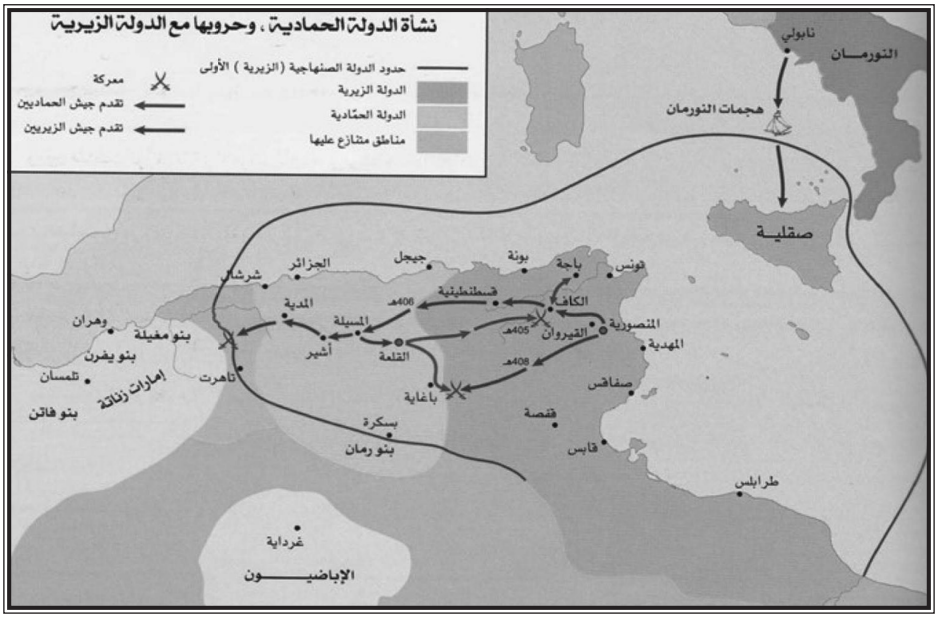

حينما انتقلت الدولة العبيدية الفاطمية إلى القاهرة التي بناها المعز لدين الله الفاطمي سنة 361هـ، عيّن بلكين بن زيري حاكما ووالیا على إمارة المغرب، مؤسسا بذلك الدولة الصنهاجية، التي تفرعت عنها الدولة الحمادية بعد أن عهد منصور بن بلكين الصنهاجي لأخيه **حمَّادبن بلكين** بحكم ولايتي آشير[1] والمسيلة ببلاد المغرب الأوسط «الجزائر»، فأسس حمَّاد مدينة القلعة بجبل المعاضيد شرق المسيلة سنة: 398هـ، والتي تعرف الآن باسم «قلعة بني حمَّاد»، ولم يمكث طويلا وأعلن الولاء للخلافة العباسية وتبرأ من الفاطميين، فانفصل

(1) تبعد عن ولاية المدية بـ 10 كم، وهي تابعة لدائرة قصر البخاري.

عن الدولة الصنهاجية أيضا.

استطاعت الدولة الحمَّادية أن تبسط نفوذها وسيطرتها على معظم بلاد المغرب وشملت سلطتها بلاد الزاب ووادي ريغ وورقلة في الجنوب، وقد تم نقل عاصمتها من القلعة إلى مدينة بجاية عام: 460هـ، في عهد الأمير الخامس الناصر بن علناس، وصارت بجاية مركز حضاري علمي ثقافي تشد الرحال إليه، وسقطت الدولة الحمَّادية على يد الدولة الموحدية بعد أن قضت على الصنهاجيين سنة: 441هـ.

في تلك المرحلة التاريخية التي اتسمت بقيام الثورات والحروب وتميزت بعدم الاستقرار، اجتاحت قبائل بنو هلال[1] مدينة القيروان، وهي العاصمة العلمية والثقافية والفكرية في تلك المرحلة وما قبلها، وقامت بالتنكيل بأهلها وتخريبها، وهو الأمر الذي انعكس إيجابا على الدولة الحمَّادية بأن «استفادت من هجرة العلماء والصناع والمهندسين والحرفيين والفنانين الذين انتقلوا إلى القلعة ليساعدوا في بناءها وازدهارها»[2]، فعرفت القلعة حركة غير مسبوقة من هجرة العلماء والمشايخ والأعلام إليها، وهو ما يعطي انطباعا حول الحالة الثقافية والعلمية تلك المرحلة في تلك الديار، وكل ذلك لم يشفع بأن نستطيع الجزم أن المنتوج العلمي عموما والتفسيري خصوصا لم يكن ذا شأن، ولم تعرف الحركة التفسيرية ـ بما نملك من وثائق مطبوعة ـ في أرض الجزائر إلا عَلَمين اثنين فقط:

---

(1) انظر لمزيد من المعرفة: السيرة الهلالية في «تغريبة بني هلال» والتي تبلغ حوالي مليون بيت شعري، وهي إحدى السير الشعبية العربية، وهي عبارة عن ملحمة طويلة تغطي مرحلة تاريخية كبيرة في حياة بني هلال المعروفة بهجرة بني هلال، وتمتد لتشمل تغريبة بني هلال وخروجهم من ديارهم الخرمه ورنية في عالية نجد إلى تونس.

(2) **الجزائر بين الماضي والحاضر**، أندري برنيان، ترجمة: منصف عاشور، الديوان الوطني للمطبوعات الجزائرية، الجزائر، دط، ت:1984م، ص:105.

الأول: يوسف بن إبراهيم بن مياد الوارجلاني، أبو يعقوب (ت: 570هـ):

الإمام الشيخ يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني، كنيته أبو يعقوب، ولد سنة 500هـ، بسدراتة إحدى قرى وارجلان «ورقلة»[1] وتوفي فيها سنة 570هـ، عَلم من أشهر علماء الإباضية بالمغرب الأوسط، ترك بصمات بارزة في التراث الإباضي خصوصا، والمكتبة الإسلامية عموما، نشأ في موطنه سدراتة، وأخذ مبادئ العلوم على علماء وارجلان، ومن شيوخه بهاأبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء صاحب كتاب «السيرة وأخبار الأئمة».

لمَّا استوعب أبو يعقوب ثقافة وطنه تاقت نفسه إلى الاستزادة، وكان شغوفا بالعلم، فشدَّ الرحال إلى بلاد الأندلس، وأقام بقرطبة سنين عدداً، وحصَّل منها مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان بين طلاَّبها مثال النبوغ النادر، والأدب الجمِّ، والاطِّلاع الواسع، حتَّى كان الأندلسيون يلقِّبونه بـ«الجاحظ».ثمَّ عاد إلى وطنه وقد أُشبِع علما.

ولم يستقرَّ طويلا حتَّى دفعته نفسه إلى الترحال من جديد، فتوجَّه إلى بلاد السودان، ودخل مجاهل إفريقيا حتَّى وصل إلى قريب من خطِّ الاستواء، كما يحكي ذلك بنفسه، وهو من السابقين إلى اكتشاف هذه المناطق المجهولة، فقد دوَّن ملاحظاته العلمية على تلك المناطق وأهلها، وكانت هذه الرحلة علمية تجارية.ثمَّ رحل بعد ذلك إلى الحجاز لأداء فريضة الحجِّ، وزار عواصم المشرق، واستفاد من مراكزها العلمية وعلمائها.

وأثَّرت هذه الرحلات في تكوين شخصيته، فجعلت منه العالم الموسوعي، وكان كما وصفه الدرجيني: «بحر العلم الزاخر، المسخَّر للنفع، فترى الفلك فيه مواخر، الرفيعِ القدر والهمَّة، الجامعِ لفضائل كلِّ أمَّة، المحتوي على علوم جمَّة... وهذا الشيخ له يد في علم القرآن، وعلم اللسان، وفي الحديث

(1) تبعد عن مركز الولاية 14 كلم، وهي الآن موقع أثري تكاد الرمال تأتي عليه بالكلية، وتجدر الإشارة إلى أنها كانت منطقة آهلة بالسكان قبل الفتح الإسلامي، وتمركز فيها الرستميون فترة من الزمن.

والأخبار، وفي رواية السير والآثار، وعلم النظر والكلام، والعلوم الشرعية عباداتها والأحكام، وعلم فرائض المواريث، ومعرفة رجال الحديث، ولم يخل من اطِّلاع علوم الأقدمين، بل حَصَّل مع ملازمة السنَّة قطعة من علم الحكماء المنجِّمين».

ولشدَّة حرصه على العلم، مكث بداره سبع سنين، عاكفا على الكتابة تأليفا ونسخا، وتجليدا للكتب، ولم يكن يُرى فيها إلا ناسخا، وللأقلام باريا، وللدراسة فاعلا، أو للحبر طابخا، أو للدواوين مقابلا، أو للكتب مفسرا، ورأى الدرجيني بعض مؤلَّفاته في نُسخ عديدة، كلُّهابخطِّ يده.

ترك آثارا علمية في مختلف العلوم، منها ما حفظته الأيام، ومنها ما ضاع مع حوادث الزمان، ومن مؤلَّفاته:

(1) «**الدليل والبرهان لأهل العقول**»: ومعظمه في أصول الدين وعلم الكلام، ولكنَّه في الحقيقة موسوعة مصغَّرة لمختلف الفنون: من كلام وتاريخ وفلسفة ومنطق ورياضيات وعلوم وأخبار... يقع في ثلاثة أجزاء، طبع أكثر من مرَّة، ثمّ حقَّقه الباحث صالح بوسعيد في رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، ولا يزال مرقونا.

(2) «**العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف**»: يقع أيضا في ثلاثة أجزاء، طبع بلا تحقيق، ثمَّ حقَّقه الشهيد الدكتور عمرو خليفة النامي، ولا يزال مرقونا. وقد أجرى عليه الباحث مصطفى بن صالح باجو دراسة أكاديمية في رسالة ماجستير، قارن فيها بين الوارجلاني في العدل والإنصاف والغزالي في المستصفى، وطبعت الدراسة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.

(3) «**مرج البحرين**»: في علم المنطق، وهو في آخر كتاب الدليل والبرهان ـ له ـ، شَرَحه الشيخ عبد العزيز الثميني في كتاب: «تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين» (مخ) منه نسخة بمكتبة الاستقامة ببني يسجن.

(4) «**ترتيب مسند الربيع بن حبيب**»، معتمد الإباضية في الحديث، طبع عدَّة مرَّات.

(5) «**رسالة في تراجم رجال المسند**»: اعتبرت مفقودة، ثمَّ عثرت جمعية التراث في إطار مشروعها دليل مخطوطات وادي ميزاب على قسم منها مؤخَّراً بمكتبة آل يدَّر ببني يسجن.

(6) «**فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب**»: وهو مفقود، يقال إنَّ بعض أجزائه توجد في بعض خزائن ألمانيا، وذكر الشيخأبو اليقظان عن المؤرِّخحسن حسني عبد الوهَّاب أنَّه رأى جزءاً منه في تركة المستشرق موتيلانسكي.

(7) «**أجوبة فقهية**»: مخطوطة لو جمعت لكوَّنت مجلَّداً ضخما.

(8) «**رسائل متنوِّعة**»: جمع بعضها في الجزء الأخير من الدليل والبرهان (مط).

(9) «**شرح سير محبوب بن الرحيل في تاريخ الإباضية بالمشرق**»: وهو شرح مفقود.

(10) «**ديوان شعر**»: ضاع ولم يبق منه إلاَّ قصيدة في رثاء شيخه أيوب بن إسماعيل، دوَّنها الدرجيني في طبقاته.

(11) «**القصيدة الحجازية**»: في وصف رحلته إلى الحجِّ ورفاقه فيها، وما لاقوه من أهوال الطريق، ومشاهد الرحلة وفوائدها، تقع في (360) بيتًا، توجد منها نسخ مخطوطة عديدة[1].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم نجد ما نثبت اشتغال الإمام أبي يعقوب بالتفسير تدريسا وعقده للحلقات بالجوامع والمساجد والزوايا، خاصة أنه مكث في آخر حياته بمدينته سدراتة

(1) الترجمة من «**معجم أعلام الإباضية**»، ج:02، ص:481. وانظر: «**معجم أعلام الجزائر**» لنويهض، ج:01، ص:341، و**طبقات المشايخ**، أحمد الدرجيني، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، ط:01، ت:1974م، ج:02، ص:491.

ناشرا للعلم باثا له، غير أنه ألَّففي تفسير القرآن الكريم مصنفا فريدا، ولم يذكروا له تسمية أو عنوانا، اتسم عند كل من تحدَّث عنه بالحجم الكبير والرصانة العلمية، قال الإمام البرّادي التونسي[1] في وصفه:

«رأيت منه في بلاد ريغ[2] سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم ولا أكبر منه، حرَّرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدر في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة أو ناسخ أو منسوخ أو جميع العلوم منه»[3].

ووصفه الشيخ إبراهيم اطفيش[4] بالقول: «أما تفسير أبي يعقوب الورجلاني فغير موجود، ويذكر المحققون من علمائنا أنه من أحسن التفاسير بحثاً، وتحقيقاً، وإعراباً»[5]، و«أنه تلاشى في الفتن الداخلية التي مني بها المسلمون حينا من الدهر»[6].

وقد ذكر الدكتور مصطفى باجو أن كتاب «الدليل والبرهان» للوارجلاني قدحفظ لنا مجموعة من نماذج تفسيره للقرآن الكريم، فقام بذكر بعضها وأردفها بالتقييم له فقال: «وقد سلك الوارجلاني في تفسيره منهج الجمع بين المنقول والمعقول، وهو مسلك محمود في مناهج المفسرين، فأول ما يذكر

(1) أحد أعلام الإباضية، وهو أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الإباضي الدمري، من جبل دمر بالجنوب التونسي.

(2) ويقال ريغة: إقليم بقرب من قلعة بني حمّاد بالمغرب، وقلعة بني حمّاد هي آشير، وقال المهلّبي: بين ريغة وآشير ثمانية فراسخ وهي كلمة بربرية معناها السبخة، فمن يكون منها يقال له الريغي. انظر: «**معجم البلدان**» لياقوت الحموي، ج:3، ص:113. **قلتُ**: وهي حاليا ولاية تقرت.

(3) نقلا عن «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:1، ص:341-342.

(4) أحد أعلام الجزائر في التفسير، يأتي لاحقا.

(5) **التفسير والمفسِّرون**، محمد حسين الذهبي، ج:2، ص:233.

(6) مقال: من أعلام الفكر في الجزائر أبو يعقوب يوسف الورجلاني، الدكتور مصطفى بن صالح باجو، ص: 13. الشبكة العنكبوتية بعنوان:
file:///C:/Users/Admin/Downloads/Documents/5a6eb44cfdf8f301fcd4e-d845ad9398b.pdf

إعراب الآية ويستقصيه، ثم يقول اللغة فيستقصي تصاريف الفعل من الكلمة، ثم يذكر الأحاديث المتعلقة بالآية فيناقشها، فجمع فيه علوما جمَّة[1]... ونذكر من هذه الآيات تمثيلا، تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 30].

تفسير آية النسخ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: 39].

تفسير آية: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[الكهف: 74]، وقدم فرقا دقيقا بين الأمر النُّكر والأمر المنكر.

تفسير آية: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾[الكهف:60] وذكر معلومات جغرافية حول العالم الإسلامي، مما يدل على استفادته من علم الجغرافيا في مجال التفسير.

تفسير آيات من سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[إبراهيم: 09/ 13] إلى قول الحق تعالى مبشرا رسله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وبيَّن فيها منهج القرآن في إقامة الحجج والجدل الذي كان بين الأنبياء وأممهم، وطريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله بالحكمة والحجة، وموقف المستكبرين إزاء تلك الدعوة واستهزاءً وسخريةً، ثم تهديدا ووعيدا، عند إفلاس الحجة وانعدام الدليل، وفي ذلك الحوار الساخن يجلي لنا الوارجلاني جدلية الصراع بين قوة المنطق ومنطق القوة.

كما فصَّل اجتهادات عمر بن الخطاب ﷺ في تفسير آية الغنائم، وبيَّن سهم قرابة رسول الله ﷺ منها.

(1) **من أعلام الفكر في الجزائر**، أبو يعقوب يوسف الورجلاني، الدكتور مصطفى بن صالح باجو، ص:13.

وأوضح احتجاج القرآن بالعقليات، وأن الميزان العقلي هو المقصود في سورة الرحمن في قوله: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

ولعل من المفيد أن نقدم فقرة من حديثه عن الحكمة من تنوع أساليب القرآن، يقول فيها: وأن ما بني عليه القرآن من اختلاف السور وتقطيعها والاختصار في بعضها والإكثار في بعض، لما يشمل العامة ويسوسها ويصلح لها... فمن قرأ من القرآن جزءا واحدا وجد فيه جميع أخبار الأمم والأنبياء والرسل، ومن قرأه أجمع أصاب الكل، فلهذا قال الكفار في القرآن، ولم يعرفوا له وجه الحكمة، قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[الفرقان: 32]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي تفسيره... فمن لم يستطع لحفظه أجمع اجتزأ ببعضه، فتكون القصص عند بعضهم كاملة، وعند بعضهم قاصرة، فاتبع الكل بالكل، وكذلك أخبار الله عَزَّوَجَلَّ عن أهل القيامة وزلازلها، والأخبار عن الجنة والنار. وبالقرآن قصص طوال ومختصرات وإشارات وتلويحات تتردد بين لحن الخطاب ومعناه، وتتوزع بين لفظه ومبناه، ولهذا فاقت العربية جميع الكلام، والعرب جميع الأمم، وأفردها الله بالعقل، والفهم والعلم والحكم»[1].

وقد ختم الدكتور مقاله بتقييمٍ لمنهج الرجل جاء فيه:

1. اعتماده المنهج العقلي المعتدل في التأويل دون شطط، والالتزام بحدود دلالات اللغة في التفسير.

2. توظيفه علم الكلام لمجابهة تيارات الفكر المناهضة للإسلام من أهل الملل الأخرى والدفاع عن العقيدة الإسلامية.

3. استثماره علم التفسير وعلم الأصول ومناهجهما للرد على الفكر الباطني وآرائه الخطيرة على العقائد وعلى المجتمع الإسلامي.

---

(1) **من أعلام الفكر في الجزائر**، أبو يعقوب يوسف الورجلاني، الدكتور مصطفى بن صالح باجو، ص:16/14.

4. استفادته من الرحلات وموسوعيته في الاطلاع لتفسير آيات القرآن بما يتفق ومقصد الشارع من جعله كتاب هداية للحيارى إلى نهج الرشاد وسببا للفوز يوم المعاد[1].

قلتُ: ومشروعُ بحثٍ لو يُرجع إلى تصانيفه المطبوعة والمخطوطة فيُجمع تفسيره وأقواله التفسيرية منها ويُعلق عليها، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ أبو اليقظان إبراهيم والشيخ عبد الرحمن الجيلالي ذكرا أنه يوجد نسخة من هذا التفسير في جزء واحد في إحدى خزائن روما عاصمة إيطاليا[2].

ويبقى هذا التفسير الكبير في عداد التفاسير الجزائرية المفقودة، ولحد الساحة لم تسعفنا المراجع والمصادر بأكثر مما قدَّمنا، والأمل معقود في ظهور نسخة من تفسيره.

- **الثاني: حسن بن علي بن محمد المسيلي، أبو علي (ت: 580هـ):**

الإمام الشيخ حسن بن علي بن محمد المسيلي، كنيته أبو علي، فقيه مالكي حافظ متكلم من القضاة، أصله من مدينة المسيلة ونشأ ببجاية وكان قاضيا بها، ترجم له الغبريني في «عنوان الدراية» ترجمة طويلة جدا، دلَّت على فضله ومقامه في العلوم إذ يقول: «ومنهم الشيخ الفقيه الفاضل، العَلم العامل العابد، المحقق المتقن المحصل المجتهد، الإمام أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي كان يسمى أبا حامد الصغير، جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن»[3]، وحكى كراماته ومسلكه في التنسك والتعبد والتهجد.

ولي قضاء بجاية ولا نعلم تاريخ ذلك تحديدا، ثم اعتزله ليتفرغ للعلوم

(1) **من أعلام الفكر في الجزائر**، أبو يعقوب يوسف الورجلاني، الدكتور مصطفى بن صالح باجو، ص:21.

(2) **تاريخ الجزائر العام**، عبد الرحمن الجيلالي، ج:01، ص:318.

(3) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:02، ت:1979م، ج:01، ص:33.

تأليفا وتدريسا، فذكروا مجالسه في الجامع الأعظم ببجاية، إذ يقول الغبريني: «فبقي على دراسة العلم والاشتغال بسلوك أولي النهى والفهم، وأحاج إليه الناس في أمور دينهم فمالوا إليه وعولوا عليه»، وحكى قصته مع رسول عبد المؤمن للبيعة واقتحامهم لدار القضاء ومحاولة إكراهه على ذلك، وهي حادثة تؤرخ للحالة السياسية المضطربة آنذاك، بل ولسعيهم في صد العلماء عن مقولة الحق والإشارة والإشادة به ومحاولة ممارسة الضغوط عليهم، كما يستنبط مما حكاه الغبريني عند قوله: «وكان واليا بالبلد من بعض سادات بني عبد المؤمن، فتحدث معه القاضي ابن الخطيب في أن يوجه إلى الفقيه أبي علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يحدِّثه في أن يشتغل بشأنه ويقتصر على خاص أمره، فوصله رسوله وهو **جالس بالجامع الأعظم بمحل تدريسه منه**، فأخبره عن حديث السيد، وكان من جملة القراء بين يديه حفيد له، فقال له: اقرأ عليه، ولم يأمره بما يقرأه، فاستفتح متعوذا فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[يونس: 71]، فانصرف الرسول وقد انتقع لونه وهو ترتعد فرائصه»[1].

وكان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ وللفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي[2] وللفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عمر القرشي المعروف بابن قريشة[3] مجلس أظنه يجلسون فيه

(1) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْريني، ج:01، ص:35.

(2) القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي، رحل إلى بجاية وتخيّرها وطنا وكمل بها خبرة، فألَّف التآليف وصنَّف الدواوين وولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة، ولد سنة:510هـ، وتوفي ببجاية سنة:581هـ. أُنظر: «**عنوان الدراية**»، ج:01، ص:36.

(3) ذكر الغبريني أنه لم يجد له ترجمة، فأورد ما نصه: ولم يصلني من أخبار أبي عبد الله القرشي إلا خبر يسير، سمعت الفقيه أبا محمد عبد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصفه بأنه كان من أهل العلم، وكان أكثر حاله النظر في المعقولات، وكان له نظر جليل في التعليم، ومن ولده هم الذين يسمون الآن بني قريشة. أُنظر: «**عنوان الدراية**»، ج:01، ص:41.

للحديث، وكثيرا ما كانوا يجلسون بالحانوت الذي هو بطرف حارة المقدسي وهو المقابل للطالع للحارة المذكورة، وكان الحانوت المذكور يسمى «**مدينة العلم**» لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه، الفقيه أبو علي المسيلي، والفقيه أبو محمد عبد الحق، والفقيه أبو عبد الله القرشي، وحكى الغبريني هاته القصة: «وذُكر لي أن الفقيه أبا علي المسيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَرَضَ له في مدة ولايته مرض، اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية فاستناب حفيده، وكان له نبل، فتحاكمت عنده يوما امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى أنها أعرتها حليا وأنها لم تعده إليها، وأجابتها الأخرى بالإنكار، فشدَّد على المنكرة وأوهمها حتى اعترفت وأعادت الحلي، وكان من سيرته أنه إذا انفصل عن مجلس الحكم، يدخل لجده الفقيه أبي علي ويعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل، فدخل عليه فرحا وعرض عليه هذه المسألة، فاشتد نكير الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه وجعل يعتب على نفسه تقديمه وقال له: إنما قال النبي ﷺ: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) ولم يقل ﷺ الإبهام والتخويف على من أنكر، واستدعى شاهدين وأشهد بتأخيره، وهذا من ورعه ووقوفه مع ظاهر الشرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[1].

وعن **تآليف وتصانيفه** يقول الغبريني: «له المصنَّفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة، له «التذكرة في أصول علم الدين» وهو كتاب حسن طالعته وكررت النظر فيه فرأيته من أجل الموضوعات في هذا الفن، وله «النبراس في الرد على منكر القياس» وهو كتاب مليح على ما أخبرت عنه، ولم أره، وأنا شديد الحرص عليه»[2]، قلتُ: ولحد الساعة لم تعرف هذه التصانيف ولم نجد لها أثرا.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

بالرغم من اشتهار مجالس الإمام المسيلي التدريسية التي كان يعقدها

(1) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:01، ص:37.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:33.

بالجامع الأعظم بحاضرة بجاية إلا أن أحدا لم يبين ما كان يلقى فيها، ونوع العلم والفن الذي كان الشيخ يقوم بتدريسه، غير أنهم ذكروا له مصنَّفا بعنوان «التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات» وهو تفسير يغلب عليه التصوف والتذكير، مزجه مؤلفه بالكثير من المسائل الفقهية[1]، يقول الغبريني واصفا إياه بعد أن اطلع على بعضه ما نصه: «وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب «الإحياء» وبه سُمي أبا حامد الصغير، وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم، ودلَّ كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، ولم يفتقر فيه إلى تبيين، وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له، ولقد رأيت على نسخة من نسخه ما نصه: «اعلم ـ وفّقك الله ـ أن هذا الكتاب حسنٌ في معناه، مخترع في الترتيب ومبناه، قلَّ فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد وعليه يعتمد، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضالين المعتدين، فهو فيه على صراط مستقيم، ومقصد قويم، **طرَّزه بمعاني الكتاب العزيز**، فجاء كالذهب الإبريز، وسلم فيه من غلو الغالين، وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، نفعه الله به، آمين، وصلى الله على محمد وعلى جميع الملائكة والنبيين وسلم، والحمد لله رب العالمين»[2].

ويصنَّف هذا التفسير ضمن تفاسير الصوفية، ويبقى مفقودا لا أثر له، كما أن النقول عنه كانت قليلة جدا، ومعظم من تحدث عنه جعله على منوال كتاب «الإحياء» في الزهد والوعظ والرقائق، وهو بهذا شبيه بمصنف عيسى بن سلامة البسكري[3] (ت: 860هـ) «**اللوامع والأسرار في منافع القرآن والآثار**»،

(1) **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**، الطاهر بونابي، مجلة: **حوليات التراث**، العدد:02، سنة:2004م، ص:17.

(2) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:33-34.

(3) سيأتي ضمن أعلام التفسير في القرن العاشر زمن الدولة الزيانية.

وعرف عن الشيخ المسيلي نزعته الصوفية، وقد حُكيت عنه كرامات وآثار، كما لا يخفى أن الشيخ كان دائم الحضور لمجالس القطب أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت: 594هـ)، وهي دلائل على نزوعه للتفسير الصوفي الإشاري، وليس بين أيدينا ما يمكن إثباته في غياب أصل المخطوط.

وتجدر الإشارة إلى أمرين اثنين:

الأول: عرفت الحركة العلمية عموما والإنتاج المعرفي زمن الدولة الحمادية انتعاشا وإحياءا بعد ركود لسنين طويلة، خاصة بعد أن أصبحت حاضرة بجاية قبلة للأعلام والمشايخ والمفكرين والمثقفين، لذا فإنه من المتعذر أن يخرج لنا عَلمين اثنين فقط في التفسير وعلومه، واليقين أن هناك أعمالا أخرى لم تظهر للساحة ولم يُدون لها، أو أن الكتب التي ترجمت لها لازالت حبيسة الرفوف والزوايا لم تفهرس بعد فضلا أن تحقق.

الثاني: أن أوَّل من ترجم لهذا العَلم هو الإمام الغبريني في «عنوان الدراية»، وتتابع أهل التراجم في النقل عليه والأخذ منه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأعلى مراتبه في عليين ـ، وهو دليل على ما قرَّرنا في الأمر الأولى، إذ لولا خروج مصنَّف «عنوان الدراية» لما عرف الإمام المسيلي لا بترجمة أو تأليف، ولاقتصر على الوارجلاني فقط، والمغيبون عنا بسبب قلة الاهتمام بالتراث المخطوط الجزائري بكل فنونه وتخصصاته كثر بالنظر للحواضر العلمية الكبرى العريقة التي كانت في أرض الجزائر.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور السابع

التفسير والمفسِّرون الجزائريون

زمن الدولة الموحدية

ت س: 668 هـ

أعلام التفسير في الجزائر المخروسة

المحور السابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الموحدية ت س: 668هـ:

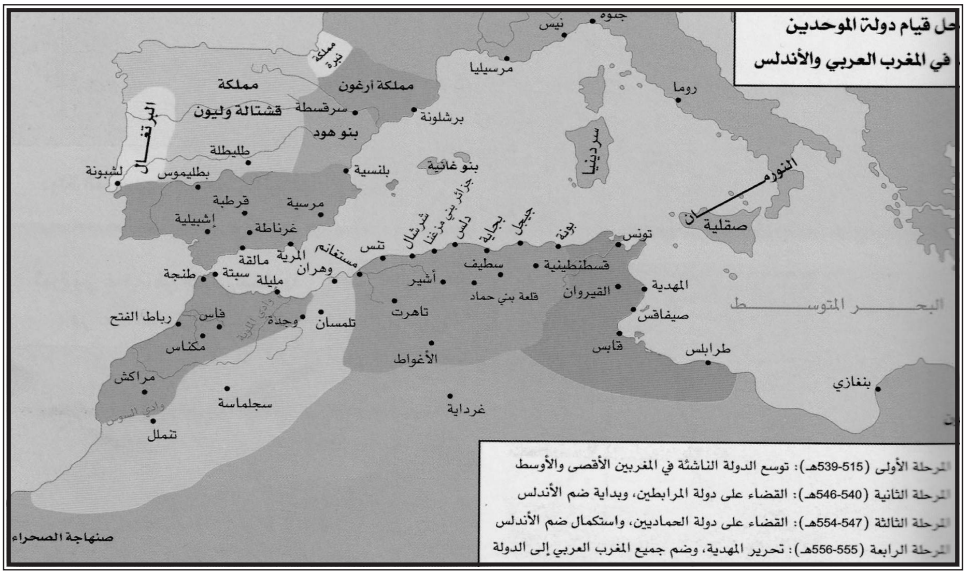

من مدينة «تنملل» بمنطقة المصامدة البربرية بالقرب من مراكش انطلقت دعوة محمد بن تومرت وأسَّس بها دولته «الموحدية» التي أخذت بالاتساع بعد شن الهجمات على المرابطين، ولم يلبث طويلا حتى قتل في إحدى الغارات سنة 524هـ، وتولى تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي الخلافة والولاية في الدولة، فقد كان أحد أبرز دعاتها ومن المنافحين الأوائلعليهاوالمقتنعين بفكرتها.

توسع في غاراته حتى وصل المهدية سنة: 555هـ، مسقطا حكم الصنهاجين نهائيا فالحماديين بالمغرب الأوسط «الجزائر» وعاد لفتح بلاد الأندلس، كل ذلك بقوة وصلابة وحنكة سياسية واستخدام للوثيقة الدينية في ذلك، فقد كان

رجل علم وفقه قبل أن يكون رجل سياسة وحروب.

مرض الخليفة عبد المؤمن وهو ببلاد الأندلس يخوض الحروب، ثم مات سنة 558هـ، فتولى ابنه أبو يعقوب يوسف وعمره 16 سنة، فبدأت الدولة في الانهيار بسبب قلة خبرة الخليفة الجديد وظهور الثورات والنعرات الداخلية في الخلافة الموحدية، حتى انفصل عنها بنو حفص بتونس» الحفصية»، وبنو عبد الواد بتلمسان «الزيانية» وبنو وطاس بالمغرب الأقصى «المرينية»، ثم تهاوت وسقطت كلّيّا سنة: 668هـ بعد دخول المرينيين لمراكش.

في تلك الظروف السياسية والأجواء الثورية والحروب التي لم يهدأ لهيبها، اتسمت الحالة العلمية الثقافية والفكرية ببلاد المغرب الأوسط بالاعتدال عموما، ولم يكن تأثير الحالة السياسية على الحركة العلمية سلبيا، بقدر ما تركها في حالة من الاعتدال وعدم التقدم، ولعل مرد ذلك لاهتمام الولاة والخلافة بالعلوم والفنون وإن كانت موجَّهة، وكون الخلفاء والولاة رجالات علم وفقه كما في تراجمهم وسيرهم.

وعن التفسير وعلومه وأعلامه وإنتاجه المعرفيفي أرض الجزائر، فلم يظهر لنا في تلك المرحلة إلا هؤلاء الأعلام:

- **أولا: يحيى بن أبي علي الزواوي البجائي، أبو زكريا (ت: 611هـ):**

الشيخ الإمام يحيى بن أبي علي المشتهر بالزواوي، كنيته أبو زكريا، وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسني «منسوب إلى بني حسن» من أقطار بجاية، ولد في «بني عيسى» من قبائل «زواوة»، من جبال أمسيون وهي جبال شمال بجاية، قرأ أول أمره «بقلعة بني حماد» على الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن الخراط[1] وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق، وعاد واستوطن بجاية بعد رجوعه

(1) الشيخ الفقيه النحوي، الأستاذ المقرئ، الصالح المبارك، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد المعافري القلعي المعروف بابن الخراط، أحد الثقاة الأثبات، الصلحاء الرواة. قرأ بقلعة «بني حماد» ولقي بها مشايخ، انتقل إلى بجاية واستوطنها وأقرأ بها، وجلس للأستاذية وانتفع الناس به، توفي سنة 611هـ. أُنظر: **عنوان**

من المشرق، وجلس بها لنشر العلم وبثه.

كان مقيما بالتدريس في الجامع الأعظم وجامع القصبة بحاضرة بجاية، وذكر الغبريني ترجمة له مسهبة وزكّاه مطولا، وقد ذكر مجالسه وكثيرا من مواعظه وسيرته في التصوف، إذ يقول: «كان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير...خرج على الناس من زاويته، وجلس منصتا لاستماع الخطبة، فلما قضيت الصلاة، نصبوا له كرسيه واستوى عليه، وازدحم الناس ينظرون إليه، فأخذ في قراءة كتاب «المسند الصحيح» من حديث رسول الله ﷺ تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه».

وقد ختم ترجمته بذكر شيوخه وإجازاته فقال: «ومن أشياخه، الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري[1] روى عنه «الموطأ»، والقاضي أبو سعيد مخلوف ابن جاره[2] روى عنه «المصابيح» وكتبا عدة إجازة وسماعا، والإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي[3]، قرأ عليه وأخذ عنه الأصلين

الدراية للغبريني، ص:133-134. و**شجرة النور الزكية** للمخلوف، ج:01، ص:265.

(1) إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف ينتهي نسبه عبد الرحمن بن عوف، كان من العلماء الأعلام ومشايخ الإسلام ظاهر الورع والتقوى. كتب عنه الحافظ السِّلفي، وبيت بن عوف بثغر الإسكندرية بيت كبير شهير بالعلم كان فيه جماعة من الفقهاء. وللشيخ أبي الطاهر «تذكرة التفكير في أصول الدين» وغير ذلك من التآليف، وانتفع به الناس وعمر. مولده سنة 485هـ. وتوفي سنة 581هـ، وله 96 سنة -رحمه الله تعالى-. أُنظر: **الديباج المذهب**، لابن فرحون، ج:01، ص:292.

(2) شيخ المالكية مخلوف بن علي بن عبد الحق، الفقيه أبو القاسم التميمي، القروي، ثم الإسكندراني. الفقيه المالكي، المعروف بابن جارة. تفقه وبرع في المذهب، ومن شيوخه: أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي، ومحمد بن أبي سعيد الأندلسي، وسند بن عنان، وأبو عبد الله المازري، وآخرون. درّس وأفتى، وانتفع به جماعة كثيرة في الفقه. وكان من أعلام المذهب. توفي في رمضان بالثغر. توفي سنة:583هـ. أُنظر: «**تاريخ الإسلام**» للذهبي، ج:12، ص:767.

(3) أبو طالب، الإمام الأصولي، أبو طالب أحمد بن المسلم بن رجاء اللخمي، ويسمى أيضا خليفة، وغلب عليه أحمد. من علماء أهل الإسكندرية. سمع من أبي بكر الطرطوشي، وأبي عبد الله بن الخطاب الرازي، وعبد المعطي بن مسافر، قال ابن المفضل: فيه لين فيما يرويه، إلا أنا لم نسمع منه إلا من أصوله. وكان عارفا بالفقه

حفظا وإتقانا، والحافظ أبو طاهر السِّلفي[1] صحبهوأخذ عنه «إعجاز القرآن» للخطابي... ومن شيوخه، رضي الله عنه أيضا، الإمام أبو عبد الله ابن بكرة الكركنتي[2] قرأ عليه المذهب رواية ودراية، وأبو القاسم بن فيره الشاطبي الضرير[3]، والفقيهان الأخوان أبو عبد الله[4] وأبو العباس الحضرميان عنهما الشهاب أي «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والأدب من الأحاديث النبوية»[5] »[6].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

اتفق أهل التراجم أن الإمام الزواوي لم يترك مصنفا في التفسير أو علومه، وأنه **كان صاحب درس في تفسير القرآن الكريم بالجامع الأعظم** بحاضرة بجاية، فقد ذكر الغبريني : «أنه رتب ميعادا بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم، وميعادا بعد صلاة الظهر لسماع حديث رسول الله ﷺ»، ويذكر الشيخ

والأصول، ماهرا في علم الكلام. توفي في شهر رمضان سنة 578هـ. أُنظر: «**سير أعلام النبلاء**» للذهبي، ج:15، ص:316.

(1) أحمد بن محمد بن سِلَفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي: حافظ مكثر، من أهل أصبهان. رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، بنى له الأمير العادل (وزير الظافر العبيدي) مدرسة في الإسكندرية، سنة 546 هـ فأقام إلى أن توفي فيها. ولد سنة:478هـ، وتوفي سنة:576هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:01، ص:215.

(2) محمد بن أبي بكر بن محمد بن الحسن بن علي، أبو عبد الله الربعي الكركنتي، القيرواني، الفقيه، المالكي. توفي وله إحدى وتسعون سنة، وقد حدث عن أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز الميورقي. توفي في سلخ ذي الحجة بالإسكندرية سنة:598هـ. انظر: **تاريخ الإسلام**، الذهبي، ج:12، ص:1158.

(3) القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء. كان ضريرا. ولد بشاطبة (في الأندلس) سنة:538هـ، وتوفي بمصر سنة:590هـ. وهو صاحب «حرز الأماني» قصيدة في القراءات تعرف بالشاطبية. وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:180.

(4) هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون أبو عبد الله القضاعي، مؤرخ ومفسر، من علماء الشافعية، كان كاتبا للوزير الجرجرائي علي بن أحمد بمصر في أيام الفاطميين، من كتبه «تفسير القرآن»، عشرون مجلدا، و«الشهاب في المواعظ والآداب»، و«مناقب الشافعي وأخباره» وغيره، توفي سنة:454هـ. أُنظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:06، ص:146.

(5) نسخه المخطوطة متوفرة بالمكتبة الأزهرية ومعهد المخطوطات بالقاهرة وغيرها.

(6) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:131.

أبو العباس ابن الخراط أحد مجالسه واصفا إياها بالقول[1]: «فبينما أنا أقرأ بين يديه بالغداة وقد مرت آيةٌ فَهِمَ منها ما لم نفهم، وعلم من فحواها ما لم نعلم، إذ وثب قائما طيلسانه وطرح رداءه، وحسر رأسه وبسط يديه ومد ذراعيه، فأمسك عن القراءة، فتعوذ بصوت رفيع وبسمل، فافتتح بقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾[الأنفال: 38] ولم يزل يرددها ويكررها بتحذير وترنين»[2].

كما ذكر الغبريني تاريخ وفاته الذي أشار فيه إلى مجلسه التفسيري بالقول: «ولقد رأيت فصلا فيه ذكر وفاته، بخط الشيخ المقرئ أبي العباس ابن الخراط وأنا أذكره بنصه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن وفاته كانت بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أحد عشر وستمائة، وتوفى في هذا اليوم فجأة من غير تقدم مرض، **وكان قد رتَّب ميعادا بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم**»[3].

قلت: ويظهر أن هذا الميعاد كان لقراءة تفسير من التفاسير المشتهرة آنذاك، ولا نعلم ما عنوان هذا التفسير بالضبط، وهي سنة متبعة في الحواضر العلمية الجزائرية بأن يُعقد فيها مجالس لقراءة كتب التفاسير والحديث، ومنه فإنا لا نجزم أنه كان صاحب بصمة تفسيرية في مجالسه، كما لا يمكن الجزم بعكس الأمر لغياب المادة العلمية التي تقرر، فوارد أن تكون القراءة بشرحه هو وإضافاته كشأن الحاشية.

كما ذُكر في ترجمة الإمام أبي طالب أحمد بن رجا اللخمي أنه «قرأ عليه

(1) وَهِم الحفناوي صاحب «تعريف الخف برجال السلف» فجعل مقالة ابن الخراط هاته، في ترجمة أبي عبد الله محمد القلعي المتوفى أيضا سنة: 611هـ.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:128.

(3) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:128.

وأخذ عنه الأصلين حفظا وإتقانا»[1] والحافظ أبو طاهر السِّلفي الذي «أخذ عنه «إعجاز القرآن» للخطابي»[2]. وهي دلائل كافية لاشتغال الشيخ بالتفسير وعلومه، وبثِّه في أوساط الناس في تلك الحقبة الزمنية.

وذكر صاحب الرحلة الورثيلانية أن للشيخ «مجلسان في العلم، مجلس في الحديث **ومجلس في التفسير إلا أن التفسير كان يُقرئه بعد صلاة الجمعة** على المنبر لكثرة الناس وازدحامهم عليه إلى يوم موته، فكان يكرر قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: 95][3].

ولمنهج الشيخ وعلاقاته مع أئمة التصوف في تلك المرحلة كابن عربي وأبي مدين، بل وعدِّه من رموز التصوف في تلك الحاضرة أُخمن أن درسه التفسيري وإضافاته التفسيرية كانت على طريقة التفسير الصوفي الإشاري الوعظي، وليس بين أيدينا ما يمكن اعتماده في ذلك.

- **ثانيا: علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني، أبو بكر (ت: 615هـ):**

الشيخ الإمام علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني، أبو بكر ويقال: أبو الحسن، مفسِّر نحوي لغوي شاعر من أهل وهران، حلاَّه السيوطي بالقول: «النحويّ المُفسّر خطيب داريا، إِمَامٌ فَاضل»[4]، وذكره الذهبي بالقول: «الوهراني المفسِّر...إمام فاضل»[5]، رحل إلى المشرق وسكن مدينة دمشق، وولي الخطابة بجامع داريا من قرى دمشق بالغوطة، ذكر نويهض أنهشيخ أبي

(1) المرجع نفسه، ج:01، ص:130.

(2) المرجع نفسه، ج:01، ص:130-131.

(3) **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:1، ص:38.

(4) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط:01، دت، ج:02، ص:172.

(5) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:2003م، ج:13، ص:461.

الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي الذي حلاَّه الذهبي بالقول: «الإمام المحدِّث الصادق، الرَّحَّال النَّقال، شيخ المحدثين، راوية الإسلام»[1].

وكل من ترجم له ذكراهتمامه بالشعر وأن»له شعر جيد»[2]، وأن من تصانيفه «شرح شواهد الجمل»للإمام أبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي(ت:339هـ) وهو في النحو.

قلتُ: ووجدتُ له مخطوط «شرح السبع المعلقات وإعرابها» بمكتبة الدولة ببرلين ألمانيا، رقم الحفظ: 1864 **Qu**، ونسخة ثانية بمعهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، رقم الحفظ: 1200 عن الجمعية الآسيوية[3] بكلكتا 1135.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

صنَّف في التفسير ولم يُذكر له تدريس فيه، ويعتبر تفسيره من التفاسير المفقودة، والتي لا يُدرى حجمه ولا عنوانه، وكل من تطرق لترجمته لم يذكر سوى أنه صنَّف في التفسير دونما أي إفادة أخرى، قال عنه الداودي: «إمام فاضل صنَّف «تفسيرا»»[4]، وقال السيوطي في «الطبقات» و«البغية»: «صنَّف تفسيرا»، وأشار الذهبي أيضا إلى أنه صنَّف تفسيرا ولم يزد على ذلك، ولا نستطيع الجزم بطريقة تعامله مع الآيات القرآنية ومنهجه التفسيري، غير أنه لا يستبعد استخدامهللعلوم النحوية والإعرابية والشعرية فيه لما عرف عنه من اهتمام بتلك الفنون، ولم أجده في كتب الببليوغرافيا أو الفهارس، إلا أن يكون قيِّد على أنه لمجهول، وتجدر الإشارة إلى أن أول من ذكر هاته الشخصية هو الإمام الذهبي، ولم أجد غيره تطرق لها، والله أعلم.

---

(1) **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، ج:16، ص:366.

(2) **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:1، ص:38.

(3) وهي جمعية تعنى بدراسة الشرق أسسها السير وليام جونز في كلكتا سنة:1784م وهي بالهند.

(4) **طبقات المفسرين**، شمس الدين الداودي، ج:1، ص:413.

ثالثا: أحمد بن علي بن يوسف البوني، تقي الدين أبو العباس (ت: 622هـ):

الشيخ أحمد بن علي بن يوسف تقي الدين، أبو العباس البوني، صوفي، من أشهر المصنفين العرب في العلوم الخفية، وممن اختلفوا فيه اختلافا كبيرا بين تزكية وذم بسبب تعاطيه التأليف في العلوم الخفية والطلسمات والنجوم وأسرار الحروف، من أهل بونة المعروفة بعنابة ولد فيها حوالي سنة: 530هـ، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، وقرأه بالقراءات في تونس، ودرس على مجموعة من المشايخ بالقيروان وغيرها، رحل إلى الأندلس حيث التقى بأبي القاسم السهيلي، وابن بشكوال، ومن الأندلس حط رحاله بالإسكندرية وكان لقاؤه بأبي طاهر السِّلفي، ثم رحل إلى القاهرة زمن الخليفة العاضد، وبعد زيارة بيت المقدس وأداء فريضة الحج ارتحل إلى دمشق والتقى بالحافظ ابن عساكر الدمشقي، ثم دخل واسط وبغداد ولقي الحافظ أبا الفرج ابن الجوزي، ورجع إلى بيت المقدس ومنها إلى مكة فمصر ثم قفل إلى تونس حيث أقام يعلم الصبيان ويؤم الناس بأحد مساجدها، ثم ترك التعليم وأقبل على الوعظ، توفي سنة: 622هـ عن عمر يفوق 90 سنة.

من آثاره التي فاقت الأربعين مصنفا: «منبع أصول الحكمة»، و«مفاتيح أسرار الحروف»و«إظهار الرموز وإبداء الكنوز» و«نسيم السحر»، و«كتاب الميم»، و«نهاية القاصدين وغاية الواصلين»[1] وغيرها كثير.

«قال له السِّلفي يوما إن أهل بلدنا يذكرون عنك أن عندك شيئا من علم الغيب؟ فقال البوني: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فقال السِّلفي: صدق الله، وأنت تكلمت بالحق، فما هذا الذي يقوله الناس؟ فقال البوني: تصحيف وتحريف، وإنما أعلم علم الشاهد لا يعلم الغيب، فقال السِّلفي: وما علم الشاهد؟ فقال البوني: ما أظهره الله لي ولأمثالي ممن كان

(1) منه نسخة نفيسة بمكتبة جامعة ليبزج بألمانيا، برقم حفظ: 221/5.

قبلي وفي زمني»[1].

وقد ذكر الحسن الوزان الفاسي الغرناطي(ت:944هـ) «ليون الإفريقي» هذه الطائفة المشتغلة بعلم أسرار الحروف قائلا: «وهناك مذهب آخر يتبعه بعض ممن يمكن تسميتهم بأصحاب أسرار الحروف، وهم قوم يصومون صوما غريبا ولا يأكلون لحم أي حيوان، يتناولون أطعمة خاصة، ويلبسون ألبسة متميزة في كل ساعة من ساعات النهار والليل، ويدعون دعوات معينة بحسب الأيام والشهور المبينة على ترتيب عددي، ومن عادتهم أن يحملوا معهم تمائم ملونة نقشت بداخلها حروف وأرقام يزعمون أنهم بعد ذلك تتجلى لهم أرواح مساعدة، تخاطبهم وتمدهم بمعرفة شمولية لأمور هذا الكون. وقد كان من بين هؤلاء المشتغلين بأسرار الحروف فقيه ممتاز يدعى البوني، الذي وضع قواعدهم وحدَّد أدعيتهم، وبيَّن طريقة تركيب تمائمهم وقد قرأت كتبه، **وأظن أن هذا العلم أقرب إلى السحر من أسرار الحروف**، وأشهر كتب هذا الفن ثمانية، أكثرهم انتشارا هو «اللمعة النورانية»[2] للبوني يبين أنواع الصلاة والصيام، وكتاب آخر يدعى «شمس المعارف»[3] يشرح فيها طريقة صنع التمائم والفائدة التي تجنى منها، ويسمى الكتاب الثالث «سر الأسماء الحسنى»يعني سر أسماء الله التسع والتسعين، وقد رأيت هذا الكتاب بروما بين يدي أحد يهود البندقية»[4].

---

(1) **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، تحقيق: محمد بوبكر، سعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، ط:01، ت:2011م، ص:120.

(2) واسمه الكامل: «اللمعة النورانية في الكشوفات الربانية» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ:03005.

(3) واسمه الكامل: «شمس المعارف ولطائف العوارف»، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ:-2647ف.

(4) **وصف إفريقيا**، الحسن الوزان الفاسي، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ج:02، ص:272.

قلتُ: والله وحده أعلم بحاله، ولا نستطيع الجزم بمراده وأحواله، وخلافهم فيه محير يدعوك لعدم التسرع في الحكم عليه، فكثير من تلك التصانيف قيل «نسبت إليه»، ومما لاحظته أن كتب الطبقات المالكية خاصة وكذا السير لم تحتف بذكره ولم تأت على سيرته، وقليل من ذكره لأنه كان عندهم متهم بالسحر والشعوذة، ومن ذكره فقد ذمه وازدراه.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم للشيخ البوني ذكر اشتغاله في آخر حياته بالتدريس بعد عودته من رحلته المطولة، غير أنهم لم يذكروا نوع تلك المجالس وأي العلوم التي كان مقيما عليها، كما ذكروا له تآليف كثيرة في التفسير وعلومه، وتجدر الإشارة قبل ذكرها إلى أنه لم يصنِّف في التفسير الكامل بل كانت كل تصانيفه في السوري والآيي والفضائل، وما اصطلح عليه **بعلم السيميا** الذي هو نوع من أنواع السحر، يقول التهانوي: «سيميا هو علم يكون به تسخير الجن»[1]، وفي «أبجد العلوم»: «ولفظ سيميا عبراني معرَّب أصله سيم يه ومعناه: اسم الله... واعلم أنه قد يطلق هذا الاسم على ما هو غير الحقيقي من السحر وهو المشهور، وحاصله إحداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحس، فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء فتمول سريعة لسرعة تغير جوهر الهواء، ولا مجال لحفظ ما يقبل من الصورة في زمان طويل لرطوبته فيكون سريع القبول وسريع الزوال»[2].

قلتُ: واستخدام الحروف العربية هي إحدى أنواعه، ثم حروف القرآن الكريم بدعوى «شرعنته» لما صح من آثار عن السلف في كتابة الآيات القرآنية

---

(1) **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:01، ت:1996م، ج:01، ص:999.

(2) **أبجد العلوم**، محمد صديق خان، دار ابن حزم، لبنان، ط:01، ت:1423هـ - 2002م، ص:421.

وشربها أو تعليقها، يقول ابن خلدون: «فأما سر التناسب الذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسيرٌ على الفهم إذ ليس من قبل العلوم والقياسات وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف، قال البونيّ: ولا تظنّ أنّ سرّ الحروف ممّا يتوصّل إليه بالقياس العقليّ، وإنّما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهيّ»[1].

قلتُ: كقولهم: ما هو كتاب الله؟ باستخراج القيم العددية لكل حرف يكون المجموع: 37، والجواب: هو القرآن الكريم، له نفس القيمة العددية التي هي: 37. وكله تكلُّف مخرج عن الهدي النبوي، وضلال قد يورد صاحبه الكفر والخذلان، وليس بهذا أمرنا.

أما عن الشيخ البوني وعلاقة تفسيره بهذا العلم، فلا يمكن تبرئته منها مطلقا فمن خلال مخطوطته «فضائل خواص آية الكرسي» نلحظ هذا المسلك وكثرة تطرقه لهذه الأمور وهو يفسر القرآن الكريم، يقول في مقدمته: «سألني بعض أصحابي عن فضل هذه الآية الشريفة الكريمة وما يناسبها من الذكر والأدعية المناسبة لها في أوقاتها المعلومة، والأسماء العزيزة المتعلقة بها، فقلت: قال ﷺ: (**آية الكرسي أفضل آية في القرآن**)، وقال ﷺ: (**آية الكرسي هي اسم الله الأعظم**)»[2].

ثم أورد مجموعة من الأحاديث في فضلها إلى أن قال: «والآية تضمنت التوحيد وهي خمسون كلمة، وفي كل كلمة خمسون بركةوهي تعدل ثلث القرآنورد بذلك الحديث، وقال ابن عباس «طمس» قال بعض العلماء: لأنه ذكر فيها اسم الله تعالى من ظاهر، ويضمر بثمانية عشر مرة والأحاديث فيها كثيرة، ثم اعلم أيها الأخ الشفيق أن هذه الآية الشريفة متضمنة خمسة أسماء

(1) **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:02، ت:1988م، ج:01، ص:666.

(2) مخطوط: فضائل خواص آية الكرسي، للبوني علي بن أحمد، نسخة خاصة، لوحة:01، وجه:01.

منيفة جليلة القدر عظيمة الشأن وهي: الله الحي القيوم العلي العظيم، من داوم على ذكرها في أمر مهم وهو مستقبل القبلة في وقت شريف من الأوقات المندوبة للدعاء المستجاب فيها، إلا كان مقبولا عند الله تعالى مستجاب الدعاء، وإذا ذكرت الأسماء الخمسة (312) مرة من غير زيادة ولا نقصان، أو اسم منها أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة فإن ذلك هو الكبريت الأحمر الذي يكون به التحولات، وهذا العدد المذكور بالسر المذكور وهو السر العددي ففيه خاصية تامة النبل ربانية تدل على فضلها، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق الأنبياء عليهم السلام مائة ألف نبي، فالمرسلون منهم (312) كل رسول منهم بكتاب منزل، وفي هذه الإشارة ما تحمله «طمس».

- **فصل في ذكر عدد حروف آية الكرسي:**

قال شيخي أبو الفرج رحمة الله تعالى عليه: حروف آية الكرسي (170) حرفًا مرويا ذلك عن رسول الله ﷺ، قلت «طمس»[1]، وعلى هذه الشاكلة من إيراده لبعض الآثار والأحاديث، ثم تفسيره لبعض الآيات وإقحام علم السيميا كان تفسيره.

ومن مجمل ما صنَّف في التفسير وجدتُ الآتي:

الأول: «تحفة الأحباب ومنية الأنجاب فِي أسرار بِسم الله وفاتحة الكتاب»منه نسخة بدار الكتب المصرية، بالقاهرة، برقم: 276/1 (99م). وأخرى بمكتبة الفاتيكان بالفاتيكان، برقم: 23/1130.

الثاني: «خَصَائِص سر الْكَرِيم فِي فَضَائِل بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم» منه نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث، بالرياض تحت رقم: 12349-27، ونسخة على موقع المصطفى العنكبوتي لتحميل الكتب والمخطوطات.

الثالث: «شمس المعارفولطائف العوارف»الكبرى والصغرى، قال عنه

(1) مخطوط: فضائل خواص آية الكرسي، للبوني علي بن أحمد، نسخة خاصة، لوحة:01، وجه:02.

المقريزي: «**عزيز الوجود يتنافس الناس فيه ويبذلون الأموال الجزيلة**»، طبع بمصر سنة: 1291هـ، وبالهند سنة: 1318هـ، ونسخ مخطوط الصغرى بالمكتبة الحسنية، الرباط، رقم: 1541 مجموع: 2، أما الكبرى فبمركز الملك فيصل، الرياض، رقم: 05371-06157، كما توجد نسخة مخطوطة كاملة بمكتبة الهامل ببوسعادة برقم: 419، وهو مطبوع متداول.

الرابع: «فضل الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب»[1]، ذكر سركيس أنها طبعت بمصر طبعة حجرية قديمة جدا، وأظنها نفسها التي بعنوان: رسالة في فضائل البسملة، منها نسخة بمكتبة الدولة ببرلين ألمانيا، رقم الحفظ: 4156. ونسخة بالمتحف البريطاني، لندن، رقم الحفظ: 6/886.

خامسا: «فصول في التفسير» منه نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات، الرياض برقم: 12237.

سادسا: «فاتحة الكتاب الشريف والحرز الأعلى المنيف» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ: 02497-15.

سابعا: «فضائل خواص آية الكرسي» منها نسخة بمكتبة الدولة ببرلين ألمانيا، رقم الحفظ: 2/3894. ونسخة ثانية بالمكتبة الخديوية بالقاهرة، رقم الحفظ: 46/7 (ن ع 5251) وهي الرسالة 17 في المجموع.

ثامنا: «فصل في سر الفاتحة» منه نسخة بمكتبة الفاتيكان، بالفاتيكان، رقم الحفظ: 1130/5 (23).

تاسعا: «التعليقة في منافع القرآن العظيم وخواص الفرقان الحكيم» منه نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات، الرياض برقم: ب 4825-4826.

(1) مخطوط: فضائل خواص آية الكرسي، للبوني علي بن أحمد، نسخة خاصة، لوحة: 01، وجه: 02.

لوحات من مخطوط: «فضائل خواص آية الكرسي» و«شمس المعارف ولطائف العوارف» لأبي العباس البوني

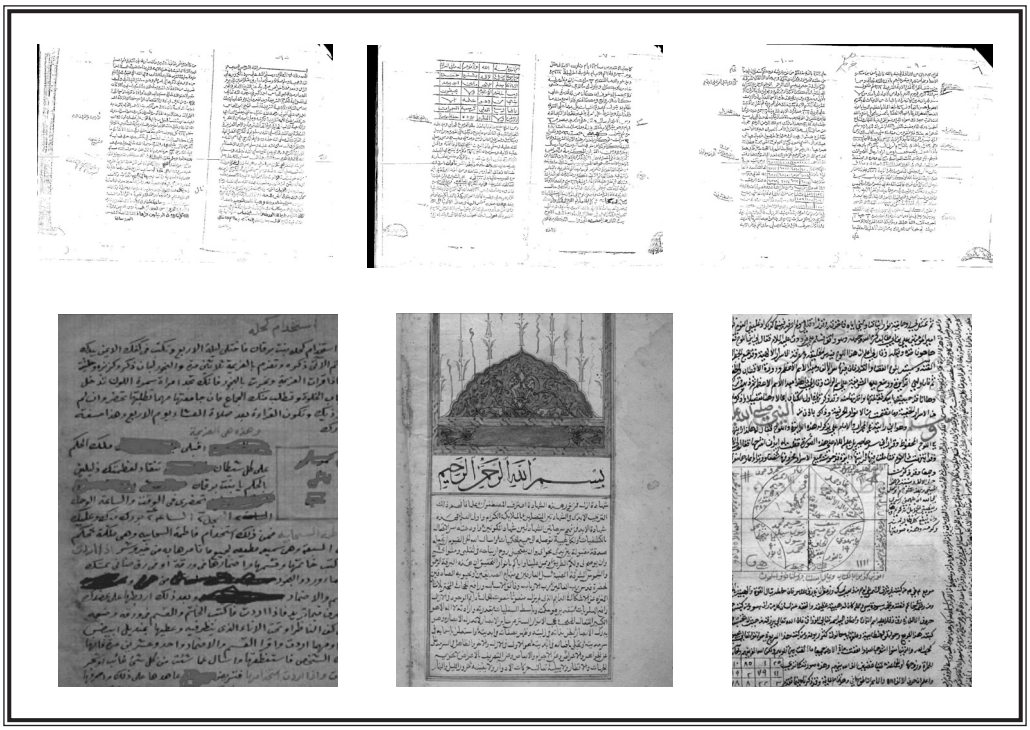

○ رابعا: محمد بن عبد الحق بن سليمان الندرومي الكومي التلمساني، أبو عبد الله (ت: 625هـ):

الشيخ الإمام محمد بن عبد الحق الندرومي، ولد سنة: 536هـ من أهل تلمسان ندرومي الأصل، راوية فقيه متكلم، متفنِّن في علوم جمَّة، بارع الخط، جماع للكتب الجليلة، القاضي المقرئ الحافظ، وَلِيَ قضاء تلمسان مرتين، حلاَّه الذهبي بالقول: «معظما عند الخاصة والعامة، فاضلا، كثير التصانيف، من أهل التقشف والتصنيف فصيحا لسنا»[1]، وقال ابن الأبار: «كان حميد السيرة، مشاركا في الفقه وعلم الكلام، معتنيا بالحديث وروايته، معظما

(1) **تاريخ الإسلام**، شمس الدين الذهبي، ج:13، ص:751/802.

عند الخاصة والعامة وحدَّث ودرَّس»، دخل حاضرة فاس ومراكش وإشبيلية والأندلس وشيوخ المشرق واستجازهم وأخذ عنهم، كما أخذ القراءات على أبي علي بن الخراز الفاسي[1]، وقد ضمن ذكرهم وكيفية روايته عنهم برنامجه الذي سمَّاه«الإقناع في كيفية الإسماع».

خصَّه المراكشي في «الذيل» بترجمة مطولة جدا، استوفى فيها حياته وأسفاره ومصنفاته وشيوخه، حلاَّه بالقول: «كان راوية للحديث فقيها حافظا متكلما متفننا في علوم جمة، بارع الكتابة حسن الخط، جمَّاعة للكتب الجليلة مغاليا في أثمانها، احتوت خزانته على ما لم يجتمع لأحد من أبناء جنسه كثرة ونفاسة، وكتبَ بخطه الكثير، وعني بتصحيح كتبه»[2]، و»كان حسن الخَلق والخُلق، بهيج المنظر، رائق الملبس موسرا، مؤثرا نفَّاعا بجاهه وماله، مطعاما وجيها ببلده وسواه، خطيبا عند الولاة والأمراء والسلاطين، تعروه أحيانا غفلة، واستُقضي ببلده مرتين فحُمدت سيرته وعُرف بالعدل والإنصاف والجزالة»[3]، توفي سنة: 625هـ وهو صاحب 89 سنة.

له تصانيف كثيرة متنوعة، علَّق الرُّعيني على تسمية مؤلفاته بالقول: «تواليفٌ لها أسماء هائلة»، منها: «المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار» قال ابن الأبار: في عشرين سفرا في نحو ثلاثة آلاف ورقة، و«كتاب في غريب الموطأ»، و«التسلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية»، و«نظم العقود ورقم الحلل والبرود»، و«الإقناع في كيفية الإسماع» برنامج شيوخه الذين تلقى عنهم العلم، و«الفيصل الحجازم في فضيلة العلم والعالم»، و«لباب

(1) محمد بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأَمَوي الشريشي، الشهير بالخراز، عالم بالقراءات، من أهل فاسأصله من شريش. له كتب، منها: «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن» أرجوزة، و«الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع». انظر: **الأعلام** للزركلي، ج:07، ص:33.

(2) **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، محمد المراكشي، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:2012م، ج:05، ص:209.

(3) نفس المرجع، ج:05، ص:212.

الإعراب»، و«عقيدة علية الخلق وزبدة معرفة الحق»، و«المضنون بها على غير أهل الصدق»، و«تونق النفوس وتروق الأبصار»في نحو العشرين سفرايشتمل على نحو الثلاثة آلاف ورقة، و«النبذة المسعدة واللمحة المصعدة»، و«النكت المحررة والفصول المحبرة»، و«نفثة ذي الضراء ومسلاته برثاء الآباء الأبناء».. وذكر غيرها.

أورد المراكشي هذا النص من فهرسته إذ يقول: «أول ما ينبغي أن يلقى إلى ما يُعتنى به في طلب العلم هو فضل العلم لينهض إلى طلبه عن حرصٍ عليه ورغبة فيه، ثم مراتبه ليرتب العلوم الكثيرة في مراتبها، فيعلم الأعلى من الأدنى والكلي من الجزئي، والآلة من الأصل المقصود، واللاحقة من السابقة، فيرى كل علم منها في رتبته فيقصد إلى الأعلى منها فيجعله وَكْدَه، وينظر في غيره نظر مشاركة واستبصار؛ لئلا يجهله فيعاديه وأهله، ثم يلقى إليه ما هو كالآلة من العلوم كعلم مدارك العقول وعلم اللغة والإعراب، ثم يلقى إليه التفقه في الحديث الذي هو الأصل وعلم أسرار علوم الدين الذي هو كالثمرة، ثم يتبع بما هو كالتتمة للعلوم وكالمبتدع من جملتها مما لا يختص بعلم منها؛ فلذلك رتبتها هذا الترتيب ـ مصنفاته ـ، فبدأت بفضل العلم ومراتبه، وثنيت بالآلة منه، وثلثت بالأصل منه، وختمت بما هو كالمبتدع من جملته وكالتتمة والتكميل منه، والحمد لله على هدايته»[1].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم للإمام الندرومي أبو عبد الله، لم يذكر مجالسه التي كان يعقدها في حاضرة تلمسان، بالرغم من جلوسه للتدريس آخر عمره، كما لم يتطرقوا لأي كرسي خاص به أكان في التفسير أو غيره، غير أنه ذكر في فهرسه «الإقناع في كيفية الإسماع» الذي أورد منه المراكشي تصانيفه، أن له مصنفا في علوم القرآن بعنوان «فرقان الفرقان وميزان القرآن» وهو من التآليف

(1) **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، محمد المراكشي، ج:05، ص:211.

المفقودة التي لم يعثر عليها، بغيابها لا يمكننا الحديث عن منهجه في مصنفه هذا، وعن العلوم التي تطرق إليها، وإن كان المصنف في التفسير أو علوم القرآن أو جمعا بينهما وغير ذلك.

وفي نهاية هذه الحقبة من زمن الدولة الموحدية تجدر الإشارة إلى نقاط هامة:

أولا: أن الدَّرس التفسيري لم يذكر كمزاحم للتأليف والتصنيف في التفسير وعلومه إلا في هاته المرحلة المتأخرة جدا، ولا يعني عدم وجوده فيما مضى من الحواضر والدول، بل إن المصادر لم تشر إليه إلا في هاته المرحلة، فالقضية مادة علمية تتحكم ليس إلا.

ثانيا: أن دخول الشيخ أحمد البوني والإمام يحي البجائي ضمن أعلام تلك المرحلة الموحدية، كان بسبب خضوع تلك الحواضر لسيطرة الدولة الموحدية التي وصلت حتى مدينة المهدية بتونس سنة: 555هـ، ثم بجاية سنة: 558هـ، والأعلام سيرهم تبع للدول التي كانوا تحت حكمها.

ثالثا: بدخول الشيخ أحمد البوني في أعلام التفسير بتصانيفه الكثيرة والمتنوعة، ننبه لضابط **الأهلية التدينية**، التي سبق الحديث عنها في المحور الأول من شروط المفسِّر، وأنه من الممكن استبعاده وعدم الاعتداد به أصالة.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور الثامن

التفسير والمفسِّرون الجزائريون

زمن الدولة الحفصية

ت س: 922 هـ

أعلام التفسير في الجزائر المخروسة

المحور الثامن: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحفصية ت س: 922هـ:

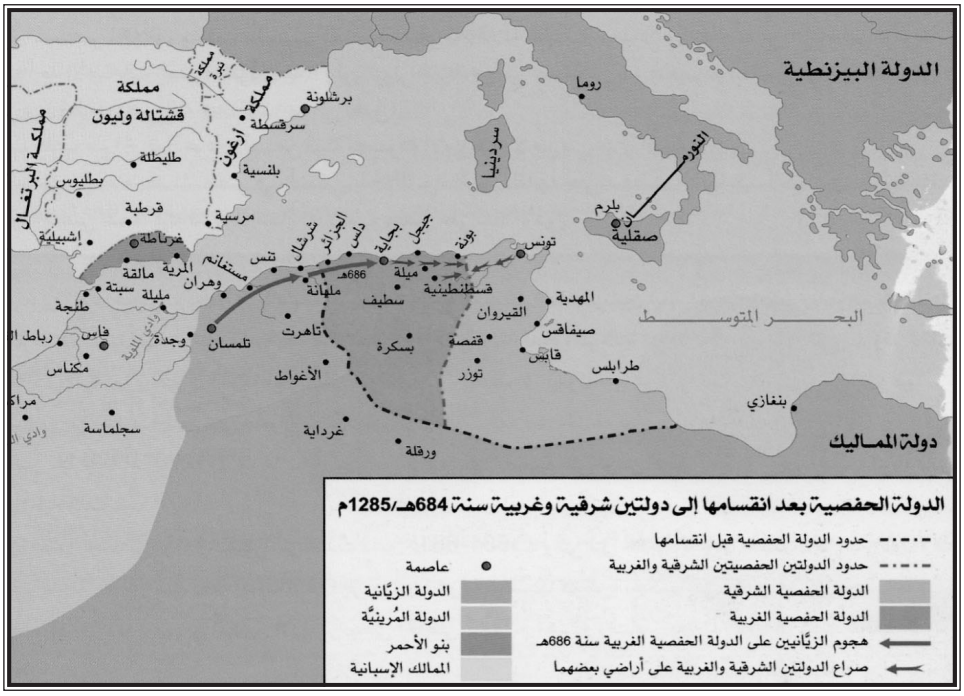

أعلن الخليفة أبو زكريا يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص المصمودي استقلاله عن الخلافة الموحدية بمراكش سنة 627هـ، وقام بلعن الخليفة ابن تومرت وعبد المؤمن على منابر جوامع تونس، وأسس دولته بمدينة «تونس»، وأوَّل ما قام به منحملة توسعية كانت صوبمدينة بجاية وقسنطينة، فهاجمهما سنة: 628هـ وقام بضمهما للخلافة الحفصية، ثم تقدم نحو الجزائر فدخلها سنة 632هـ، وبدأ حروبه مع الزيانيين بتلمسان، فدخلها سنة 640هـ، واستمرت حتى سنة 689هـ حين دخلها المرينيون.

انقسمت الدولة الحفصية سنة 684هـ إلى دولتين، الأولى: شرقية عاصمتها تونس يحكمها أبو حفص عمر بن يحي الحفصي، والثانية: غربية عاصمتها بجاية، يحكمها يحي بن إبراهيم الأول بن يحي الحفصي، وقد كان الصراع بينهما شديدا كثرت فيه الفتن والقتل، حتى تمكن الأمير خالد بن يحي بن إبراهيم الحفصي «حاكم بجاية» من توحيد الدولتين من جديد سنة: 709هـ.

في تلك المرحلة اشتدت سطوة الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية الحفصية، فنجحوا في احتلال بجاية ودلس والجزائر سنة 915هـ، وجيجل سنة 919هـ، فكانت المساعدة من طرف الأخوين بابا عروج وخير الدين بربروسا اللذَين قاما بتحرير جيجل سنة 920هـ، وجعلاها مركزا لهما، ثم دخلا الجزائر سنة 922هـ، ولما أعلن خير الدين تبعيته للدولة العثمانية أزعج ذلك الأمير الحفصي آنذاك حسن بن محمد، فحرَّض عليه القبائل، مما جعل خير الدين يهاجم تونس ويحتلها باسم الخلافة العثمانية، ثم تكررت المناوشات والحروب بينه ـ الخليفة الحفصي ـ بمساعدة الإسبان وبين الخلافة العثمانية، مما يعني زوال ملكهم نهائيا عن أرض الجزائر، حتى شنت الدولة العثمانية سنة 981هـ حملة بحرية كبيرة قضت فيها على الدولة الحفصية وعلى الحكم الإسباني بها.

في ظل الفتنة الداخلية والخارجية كانت الحواضر العلمية ـ خاصة حاضرة بجاية ـ تئن تحت وطأة تلك الظروف التي كان عدم الاستقرار فيها باديا، وكان لانحياز العلماء والمشايخ لجهة دون أخرى الأثر في المردود العلمي والإنتاج المعرفي إن تأليفا أو تدريسا في العلوم كلها، وهو ما ينسحب على التفسير وعلومه، وقد ظهر في تلك المرحلة وفي تلك الحواضر الشرقية ـ خاصة ـ من أرض الجزائر أعلامٌ في التفسير وعلومه، هم:

- **الأول: يحيي بن محمد بن موسى التجيبي المنداسي التلمساني، أبو زكريا (ت: 652هـ):**

الإمام العَلم يحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني، أبو زكريا،

حلاَّه نويهض بالقول: «المفسِّر الواعظ»[1]، من فقهاء تلمسان وعلمائها، أوَّل من ترجم له الذهبي في «تاريخ الإسلام» إذ ذكره بالقول: حج وجاور، وسمع بمكة من أبي الحسن بن البناء، وسكن الإسكندرية وجلس للوعظ في مسجده، من آثاره «تفسير القرآن الكريم» وكتاب في الرقائق[2].

قلتُ: وشيخه أبو الحسن بن البناء الذي ذكر الذهبي أنه سمع منه بمكة، ليس ابن الصباغ، إذ لم يُذكر في ترجمته أنه حدَّث بمكة، واسمه أبو الحسن علي بن حميد ابن الصباغ الصعيدي وقد توفي سنة 610هـ[3]، والذي ترجح لدي أنه أبو عبدالله بن البناء محمد بن أبي المعالي عبد الله بن عبدون البغدادي، الصوفي المتوفى سنة: 612هـ، الذي حدّث بمكة ومصر والشام وبغداد، وفي ترجمته أنه جاور بمكة زمانا، ومنه فالذهبي قد وهم في ذكر أنه أبو الحسن، وأن المراد أبو عبد الله.

هذا وقد ترجم للشيخ أبي زكريا يحيى المنداسي كلٌّ من السيوطي والداودي في الطبقات، وكحالة في المعجم، وكلهم كانوا نقلة عن الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم أجد من ذكره غيرهم.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

ذكروا في ترجمته أنه كان مقيما على الوعظ بمسجده، وأنَّ من تصانيفه تفسيره للقرآن الكريم، وقد ذكره الداوديذكره الداودي والسيوطي والذهبي، غير أنهم لم يزيدوا عن ذلك لا بعنونة التفسير ولا كونه تفسيرا خاصا، أو حاشية على أحد أمهات التفاسير ولم يبينوا أكثر من وجوده فقط، ويعتبر تفسيره هذا أحدالتفاسير المفقودة التي لم تصلنا بعد، ولم نجد ذكرا ولا نقولات معتمدة للذين من بعده من هذا التفسير أو إشارة له، وفي غيابه لا يمكننا الحكم عليه

(1) **معجم المفسرين**، عادل نويهض، ج:02، ص:735.

(2) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي، ج:14، ص:737.

(3) أُنظر ترجمته عند الذهبي في **السير**، ج:16، ص:88.

وعلى منهجه في التعامل مع الآي الكريم.

○ ثانيا: منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي، أبو علي (ت: 731هـ):

الإمام الشيخ منصور بن عبد الحق المشدالي، ناصر الدين، كنيته أبو علي، مولده سنة: 631هـ، بمشذالة، وهي إحدى قبائل زواوة، نشأ في حاضرة بجايةوبها تعلم، حلاَّه نويهض بالقول: من أكابر فقهاء المالكية[1]، ترجم له الغبريني وذكر أنه» الشيخ الفقيه، المحصل المتقن، المجيد المتفنن وأنه من أصحابنا ومعاصرينا في نفس الوقت»[2]، كما حلاَّه صاحب «شجرة النور» بالقول: «الإمام الفذ الأوحد العالم المتفنن الحافظ المجتهد الشيخ الفاضل، من أهل الشورى والفتوى في العلوم والنوازل»[3]، وذكره التنبكتي بالقول: «الإمام الفذ الأوحد الحافظ العلامة المجتهد»[4]، رحل صغيراً مع أبيه للشرق وأقام في رحلته نحواً من عشرين عاماً، ولقي الأفاضل وأخذ عنهم منهم العز بن عبد السلام[5] لازمه وانتفع به، والإمام السبكي[6]، وروى عن ابن الحاجب[7]

(1) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:302.

(2) **عنوان الدّراية**، أبو العباس الغبريني، ج:01، ص:229.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن سالم مخلوف، ج:01، ص:312.

(4) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:609.

(5) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه مفسر شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. صاحب «التفسير الكبير» توفي سنة:660هـ. أُنظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:4، ص:21.

(6) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. توفي سنة:756هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:4، ص:302.

(7) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، ولد سنة:570هـ، وتوفي سنة:646هـ، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية. وكان أبوه حاجبا فعرف به. من تصانيفه «الكافية» في النحو، و«الشافية» في الصرف، و«مختصر الفقه» استخرجه من ستين كتابا، في فقه المالكية. انظر: **الأعلام**، للزركلي، ج:04، ص:211.

وهو **أوَّل من أدخل مختصر شيخه المذكور الفرعي ببجاية ومنها انتشر بسائر بلاد المغرب**، قال الغبريني» له علم بالفقه وأصول الدين، وله مشاركة في علم المنطق وعلم العربية وكل هذه تقرأ عليه، ودروسه حسنة منقحة، وله عبارة جيدة، وهو كثير البحث، ومحبته في البحث أكثر من محبته في النقل... وهو من أهل الشورى وأهل الفتيا، وتحصيله لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين وعلى طريقة المتأخرين، وهو ممن ينفع بالأخذ عنه والسماع منه»، من آثارهشرح على «الرسالة» لم يكمله.

التقى به العبدري صاحب الرحلة وأشار إليه بالقول: «ثم سافرنا من بجاية فمررنا على قرية ملالة وهي بالقرب منها، فرأيت بها الفقيه أبا علي منصور بن محمد الزواوي المشدالي، ومشدالة قبيلة من زواوة، ويلقب بناصر الدين، لقبا لازمه من الشرق وقد رحل قديما إليه فقرأ به الأصول والفروع دراسة وتفقها وله منها حظ وافر، ولكنه غير معتن بالرواية ولا له فيها حظ»[1]، ولم يشر فيها إلى مجالسه وحلقاته وتآليفه.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يصنف الإمام المشذالي في التفسير، إنما كانت له مشاركة كبيرة فيه أشار إليها الغبريني بالقول: «ويتكلم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ فيجيد»[2]، وكانت له مجالس علمية يعقدها للطلبة الذين تخرجوا على يديه كالإمام أبو العباس النقاوسي والإمام منصور بن علي الزواوي، يصفها الغبريني ـ المعاصر له ـ بالقول: «ودروسه حسنة منقحة»[3]، وقد صنَّفه الشيخ محمد المختار إسكندر ضمن علماء التفسير في القرن السابع، وليس بين

(1) **الرحلة المغربية**، محمد العبدري البلنسي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، دط، ت:2007م، ص:210.

(2) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:229.

(3) **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:229.

أيدينا أكثر من هذا.

○ ثالثا: أحمد بن العباس النقاوسي، أبو العباس (ت: 763هـ):

الشيخ الإمام أبو العباس النقاوسي، نحوي أديبحافظمن فقهاء المالكية، له مشاركة في علوم التفسير والحديث واللغة والمنطق، من أهل نقاوس وبها ولد، **تلميذ أبي علي منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي أخذ عنه بحاضرة بجاية**، لقيه أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي بتونس وذكره في رحلته المسماة «تاج المفرق في تحلية أهل المشرق»وكتب عنه مطولا، وحلاَّه بالقول: «هو الشيخ الفقيه العالم، كان حافظًا مُجيدًا وحافلًا مَجيدًا وناقلًا سديدًا وناقدًا شديدًا، وعارفًا مديدًا ومدرسًا مفيدًا، له طبع حلّ فيه الذكاء والنّبل، وقُل من كرمه الظَّل والوبَل، رحل من بلد تلمسان قبل الحصار وتلافى ريحها بالإعصار، فدخل تونس مشمرًا عن الجد وقائدًا بالجد، فطلع في آفاقها كوكبًا وسار في ساحاتها كبكبًا، ولم يزل يفحص عن الكمال ويستسقي من عذبة مناهلها الزلال حتى بلغ المنتهى دخول ما اشتهى، فهو **الآن أحد مدرسيها الإمام**، وأوحد من برع في علمي البيان والكلام، وأوجد الناس للدر إذا خاض بكر العلوم بسوابح الأقلام، أديب العصر ونحويّه وبيانيّه وحكيمه ومنطقيّه، والعروض إلى الإحاطة بالتفسير والحديث مع المطالعة والمذاكرة في القديم والحديث، وكذا الفروع والأصول. لم تر عيني قط شرقًا ولا غربًا أسرع منه نسخًا وكتبًا، ولا أقرأ منه لكلّ خط ما عسى أن يكون صعبًا، مع جودة خطه وصحة نقله وضبطه»[1].

انتقل لحاضرة تلمسان بعد أن نهل من العلوم والفنون بحاضرة بجاية، ثم رحل منها قبل حصار المرنيين لها، واستقر بتونس واشتغل بالتدريس، له تصانيف كثيرة وصفها البلوي بالقول: «وله تآليف غيرها عُرِفَ قدرها واشتهر ذكرها، وسارت مسيرة الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر»،

(1) **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، خالد بن عيسى البلوي، تحقيق: حسن السائح، المكتبة الشاملة، ج:01، ص:19.

نذكر منها:

«الروض الأريض في علم القريض»في الأدب، و«حديقة الناظر في تلخيص المثل السائر»في البيان، منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ: 229/2، و«شرح المصباحلابن مالك»، و«إيضاح السبيل إلى القصد الجليل في علم الخليل».

وتجدر الإشارة إلى أنه **ليس أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي (ت: 810هـ)** شارح قصيدة «المنفرجة» لابن النحوي التي عنونها بـ«الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة»، منها نسخة فريدة بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم الحفظ: 4489، ذكر حاجي خليفة أن هذا الشرح كبير، أوله «الحمد لله الذي نور بالعلم القلوب والأبصار...»[1].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم للإمام النقاوسي ذكروا قيامه بالتدريس في حاضرة تلمسان ثم تونس، وذكروا أيضا اهتمامه بالأدب والنحو، غير أنهم لم يبيِّنوا نوع الحلقات التي كان يقوم عليها بالتدريس، كما اتفقوا أنه لم يُفرد تصنيفا خاصا بالتفسير ولا بعلوم القرآن، إنما كانت جهودا مبثوثة في الدروس والمجالس التي كان يعقدها بالمساجد والمدارس، وجُلُّ من ترجم له ذكر أنه مشارك في علم التفسير، قال عنه التنبكتي ناقلا عن أحد معاصريه: «فدخل تونس... فهو الآن أحد مدرسيها ... إلى الإحاطة بالتفسير والحديث»[2]، ووصفه نويهض بالقول: «له مشاركة في علوم التفسير»[3].

(1) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، كاتب جلبي، ج:02، ص:1337.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط:1، ت:1989م، ص:95.

(3) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:331.

○ رابعا: منصور بن علي الزواوي، أبو عبد الله (ت: نحو 776هـ):

الإمام الشيخ أبو عبد الله، حافظ نحوي أصولي من أكابر علماء المالكية في وقته، من أهل زواوة، ولد سنة: 710هـ، نشأ في بجاية وأخذ عن أشياخها كوالده وأبي علي ناصر الدين المشذالي إذ يقول في إجازته لابن الخطيب ما نصه: «مولاي الوالد علي بن عبد الله لقَّاه الله الرّوح والريحان، وأوسعه الرّضا والغفران، قرأتُ عليه القرآن وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط، ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام علم العلماء، وقطب الفقهاء، قدوة النّظار، وإمام الأمصار، منصور بن أحمد المشدالي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقدّس روحه»[1]، ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة» وحلاَّه تحلية عجيبة مطولة إذ يقول: «هذا الرجل طرف في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصّون والطهارة والعفّة، قليل التصنّع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصفا في المذاكرة، موجبا لحقّ الخصم، حريصا على الإفادة والاستفادة، مثابرا على تعلّم العلم وتعليمه، غير أنف عن حمله عمّن دونه، جملة من جمل السّذاجة والرّجولة وحسن المعاملة، صدرا من صدور الطّلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنّقلية، واطّلاع وتقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات، يكتب الشّعر فلا يعدو الإجادة والسّداد»[2]، استفتح صاحب «شجرة النور» ترجمته بما يدل على مقامه بالقول: «الأستاذ الجليل الكامل الفقيه العالم النظار المشاور الفاضل»[3].

رحل الإمام أبو علي إلى الأندلس سنة: 753هـ، فاشتغل بالتدريس وتصدر

---

(1) **الإحاطة بأخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:1424هـ، ج:03، ص:249.

(2) نفس المرجع، ج:03، ص:248.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن محمد مخلوف، ج:01، ص:337.

للفتيا واشتُهرت حلقاته وتزاحم الناس حوله، ثم امتحن بقضية شرعية، فخرج منها سنة: 765هـ، واستقر بتلمسان يمارس الإقراء والتدريس إلى أن توفي بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو تلميذ الإمام أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمفسّر[1]، وشيخ الإمام الشاطبي صاحب «الموافقات».

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم له ذكراشتغاله بالتدريس في العلوم والفنون، وأشار إلى تدريسه للتفسير، وأنه «حلَّق للناس متكلمًا على الفروع الفقهية **والتفسير**»، وقال ابن حجر: «درَّس في التَّفسِير والفقه»[2]، وليس بين أيدينا أكثر من هذا. تجدر الإشارة إلى أنه ليس **هومنصور بن علي بن عثمان الزواوي، البجائي، أبو الحسن (ت بعد: 850هـ)**.

- **خامسا: عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أبو زيد (ت: 786هـ):**

الشيخ الإمام عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي أبو زيد، نسبته إلى بني وغليس بطن من قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى وادي سمام، نشأ وتعلم في حاضرة بجاية وبها توفي، حلاّه صاحب «شجرة النور» بالقول: «الفقيه الأصولي المحدّث المفسِّر عمدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه»[3] وهو شيخ شيوخ الثعالبي صاحب التفسير، فقد ذكره عند الحديث عن رحلته إلى بجاية بالقول: «فلقيتُ بها الأَئمة المقتدى بهم، **أصحاب** سيدي عبد الرحمن الوغليسي متوافرينفحضرتُ مجالسهم»[4]، أخذ عنه جماعةكأبي الحسن علي بن عثمان

(1) وذكر مخلوف أنه المسفر، انظر ترجمته في: **شجرة النور**، ج:01، ص:315، واختلفوا في اسمه بين محمد بن محمد أو محمد بن يحيى، والظن أنهما شخصيتان وليس شخصية واحدة.

(2) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط:02، ت:1972م، ج:06، ص:127.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:342.

(4) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن الثعالبي، ج:05، ص:151.

الزواوي[1]، وأبي القاسم بن محمد المشدالي الفقيه[2]، لم يذكروا له رحلات.

من آثاره المصنفة: «الأحكام الفقهية» تسمى «الوغليسية» و«مقدمة في الفقه» و«فتاوى».

قلتُ: وله في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالمملكة العربية السعوديةنسخة مخطوطة برقم حفظ: 10242. رسالة بعنوان: «رسالة في العبادات» أظنها «الوغليسية».

وقد أخرج مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث لصاحبه الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب مقدمته في الفقه، وسمَّاها «المقدمة الوغليسية على مذهب السادة المالكية»، وطبعت طبعة أولى سنة: 2007م، بتحقيق: أمل محمد نجيب، أقل وصف لعملها أنها سودته وخربشته، ولم يَعدُ عملها صفا للمخطوط فقط، فحتى ترجمة المؤلف لم توضع.

وله أيضا «رسالة في الإيمان والإسلام» بمكتبة نور عثمانة باسطنبول تركيا، رقم حفظ: 35.

كما له «رسالة في الوعظ» بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالمملكة العربية السعوديةنسخة مخطوطة برقم حفظ: 12483-4.

وظهر لي أنه قام بشرح مقدمته الوغليسية، منها نسخة مخطوطة بالخزانة العلمية الصبيحية بالمغرب بسلا، رقم الحفظ: 331.

---

(1) علي بن عثمان المنجلاتي البجائي الزواوي، أبو الحسن، شيخ الإمام الثعالبي، قال في حقه: «شيخنا الإمام الحافظ وعليه كانت عمدة قراءتي ببجاية»، أحد علماء بجاية وأعلامها، توفي أواخر القرن الثامن الهجري، له «فتاوى» نقل بعضها في «المازونية» و«المعيار»، أُنظر: «**معجم أعلام الجزائر**» لنويهض، ج:01، ص:162.

(2) محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي أبو عبد الله: فقيه بجاية وإمامها وخطيبها ومفتيها وصالحها. نسبته الى مشذالة إحدى قرى بجاية ومولده ووفاته في بجاية. قال السخاوي: «أخذ عن أبيه، وكان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه وغيره، أمَّ وخطب بالجامع الأعظم ببجاية وتصدى فيه للتدريس والإفتاء». له «تكملة حاشية الوانوغي على المدونة» في فقه المالكية، و«مختصر البيان لابن رشد» وغيره، توفي سنة:866هـ. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**» لنويهض، ج:01، ص:301.

وله أيضا «عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان» نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية التونسية برقم حفظ تسلسلي: 1081,1129,1500.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يصِّنف في التفسير، إلا ما ورد من حلقاته التي كان يدرِّس فيها التفسير وعلوم القرآن، وقد خصَّص في آخر مباحث مقدمته المشتهرة بالوغليسية، كلاما عن المواعظ والرقائق والزهد جاءت في نحو أحد عشر مبحثا فيها بصمة تفسيرية، كما وصفه صاحب «شجرة النور» بأنه: «الفقيه الأصولي المحدّث، **المفسِّر**، عمدة أهل زمانه وفريد عصره»[1]، **قلتُ**: وهي عبارة الشيخ محمد بن السعيد بن زكري التي نقلها أيضا الحفناوي في «تعريف الخلف»[2].

- **سادسا: أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي[3]، أبو العباس (ت: 830هـ):**

الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المسيلي وقيل البسيلي[4]، والأول أصح، من أهل مسيلة ببلاد الزاب.

---

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:376.

(2) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج:01، ص:564.

(3) تجدر الإشارة إلى الوهم الذي وقع فيه نويهض الذي جعلهما شخصيتان ووضع لهما نفس الترجمة، الأولى البسيلي ترجم لها في «معجم المفسرين» وذكر أن سنة وفاته:830هـ، والثانية المسيلي وترجم لها في «معجم أعلام الجزائر» وجعل سنة وفاته (بعد 780هـ) هكذا، وهما نفس الشخصية، وقد يكون تنبه لذلك بأن صحح في الثاني غير أنه لم يشر لذلك.

(4) كما في «نيل الابتهاج» 115/1، و«شجرة النور» 361/1، قال الأستاذ سعد غراب: «فالراجح أن اسمه في الأصل هو المسيلي نسبة إلى المسيلة عاصمة الزاب الشهيرة... هو الإبدال بين الميم والباء أمر معروف شائع في العربية، وهما حرفان شفويان متقاربان ومن أشهر أمثلة الإبدال القديمة بين هاذين الحرفين أن يقال مكة وبكة... فالتحريف فيما يبدو لي قديم فلذا لم نشأ إصلاحه». انظر: **تراجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت:1994م، ج:01، ص:103.
قلت: وأُشكل عندي أن تلميذه الرّصاع ذكره بالبسيلي لا المسيلي، وقد يتطرق له بالظن أنه تصحيف من الناسخ، والله أعلم.

حلاَّه التنبكتي بالقول: «الشيخ العالم المفسِّر»[1] وابن مخلوف بالذكر: «الإمام الفقيه العامل الكامل الخيِّر الشيخ الفاضل»[2]، لم يذكروا تاريخ ولادته، تتلمذ على يد شيوخ حاضرته، ثم انتقل لحاضرة بجاية، فتونس أين أخذ عن ابن عرفة (ت:803هـ) المفسِّر الفقيه شيخ الإسلام بالمغرب وإمام تونس وعالمها وخطيبها في عصر هو إمام الجامع الأعظم بها، وأبي مهدي عيسى الغبريني (ت:815هـ) قاضي الجماعة بتونس وإمام جامع الزيتونة وشيخ الإمام الثعالبي عبد الرحمن، وابن خلدون عبد الرحمن (ت:808هـ) المؤرخ المشهور، وأخذ عنه تلميذه أبو عبد الله الرّصَّاع المفسِّر التلمساني[3] (ت:894هـ) الذي حلاَّه بالقول: «ومن أشياخي الذين أخذت عنهم وقرأت عليهم الشيخ الفقيه العالم أبو العباس أحمد البسيلي، وكان شيخنا هذا عالما مشاركا عليه وقار»[4].

يصفه بالقول: «وكان الرجل كثير الصمت، قليل الخوض فيما لا يعني، عليه آداب العلم من وقار وسكينة، وكان يقرئ بسقيف داره كثيرا، وتقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة وكان يحدثهم عن شيخه الإمام ابن عرفة»[5].

كان مقيما على التدريس بالمدرسة الحكيمية، كما كان يقيم بعض دروسه التي حضرها بعض طلبته كالرصاع بسقف بيته، وقد ذكر ـ الرصاع ـ تصانيف شيخه بالقول: «له تآليف عديدة وتصانيف حسنة» منها:

«تقييد في الوفيات»، ذكره التنبكتي في ترجمة ابن بزيزة التونسي المفسّر.

و«شرح على الجمل» في المنطق.

---

(1) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:115.

(2) **شجرة النور الزكية من طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:361.

(3) ستأتي ترجمته.

(4) **فهرست الرصَّاع**، محمد الأنصاري الرصاع، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ط:01، ت:1967م، ص:175.

(5) نفس المرجع، ص:176-177.

و«شرح على الخزرجية» في العروض، و«شرح على المدونة».

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يذكروا له تدريسا في التفسير، وأبهموا نوع تلك الحلقات التي كان يقيمها، واتفقوا أن له تصانيفا في التفسير، فله «تقييد في التفسير»[1] يعرف بالتقييد الكبير، قيَّده عن ابن عرفة في دروسه التفسيرية، وأضاف له زيادات، وذكر فيه أنه أول ما حضر عنده سنة: 785هـ. قال التنبكتي: «وهو تقييد فيه فوائد وزوائد ونكت»[2]، عرَّفه حاجي خليفة بالقول: «جمع ما حفظه عنه أو عن بعض حذاق طلبته، زيادة على كلام المفسرين».

قلتُ: وهي عبارة صاحبه في مقدمته للكتاب إذ نقل صاحب «تراجم المؤلفين التونسيين» كلام الإمام المسيلي في التعريف بمصنفه إذ يقول: «وبيَّن في خطبته مادة جمعه وطريقته فقال: وهذا تقييد على كتاب الله المجيد قصدت فيه جمع ما تيسر حفظه وتقييده في مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما كان بيديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين، وأضيفُ إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مع ما سمح به الخاطر، هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد، والله سبحانه أستعين فهو خير ميسر وخير معين»[3].

ونوقش كرسالة دكتوراه دراسة وتحقيق للباحث: بوشعيب متقي، إشراف الدكتور إدريس خليفة، سنة: 2011م، بمؤسسة دار الحديث الحسنية، جامعة

---

(1) مخطوط يقع في مجلدين، منه عدة نسخ في الخزانة العامة بالرباط. والنصف الثاني منه في خزانة تمكروت بسوس بالمغرب، تحت رقم: 2862. ومنه نسخة عدد لوحاتها: 437. بالمكتبة الوطنية بالجزائر، برقم: 2828، ونسخة بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية برقم: 39. عدد لوحاته: 428 لوحة.

(2) وذكره صاحب « كشف الظنون» على أنه تفسير كامل فقال: «تفسير ابن عرفة» ... روى عنه تلميذه: أحمد بن محمد البسيلي. وجمع ما حفظه عنه أو عن بعض حذاق طلبته، زيادة على كلام المفسرين. انظر: «**كشف الظنون**»، ج: 1، ص: 438.

(3) **تراجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ، ج: 01، ص: 104.

محمد الخامس بالرباط، وعنوانه «التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد»، من سورة مريم إلى سورة الفلق، ومعه تفسير ابن عرفة برواية الأبي.

وناقشت الطالبة العالية شعراوي رسالة ماجستير بمذكرة مقدمة تحت عنوان: «تفسير ابن عرفة برواية البسيلي» ـ دراسة وتحقيق لسورة الأعراف ـ تحت إشراف الدكتور: محمد دراجي، للعام الدراسي: 2006/2005م، بكلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الجزائر.

ذكرت الأستاذة في نهاية رسالتها منهج المسيلي في تقييده فقالت:

1. كثرة النقول عن العلماء بضبطها وتوثيقها، مع الإشارة إلى بداية الكلام المنقول عن العلماء.

2. إدراج الحوادث التاريخية في خضم تفسيره.

3. لم ينضبط البسيلي بمنهجية واحدة في التفسير.

4. لا يحيل الكلام على شيخه ابن عرفة أثناء نقله عنه إلا نادرا.

5. إهماله لتفسيره بعض الآيات أو أجزاء منها.

6. قليلا ما يبرز كلام البسيلي في التفسير.

7. ورود تاريخ وفاة ابن عرفة في تقييده دليل على أن البسيلي تصرف كثيرا في تقييده، فبقي يراجعه باستمرار حتى بعد موت شيخه[1].

ولأبي العباس المسيلي تقييد ثانٍ، اسمه «التقييد الصغير»[2] ذكره الدكتور المنوني، وأنه يقف في سورة الصف، وأنه» قام بتكميل هذا النقص الواقع في

(1) العالية شعراوي، «**تفسير ابن عرفة برواية البسيلي**» -**دراسة وتحقيق لسورة الأعراف**-، إشراف الدكتور: محمد دراجي، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية قسم أصول الدين جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص:394.

(2) ذكروا نسخة في شستربتي بدبلن بإيرلندا برقم:4422، أظنها التقييد الصغير وليس الكبير.

«التقييد الصغير» ابن غازي المكناسي[1] المتوفى سنة 919هـ»[2].

قلتُ: وقد حُقق بعنوان: «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد»، للدكتور: محمد الطبراني، ونشر بوزارة الأوقاف المغربية بمطبعة النجاح الجديدة، طبعة: 01، سنة: 2008م، في (03) مجلدات، وهو الذي أشار إليه الحفناوي في قصة تأليفه بالقول: «... ووقع له فيه قصة، وذلك أنه لما ألّفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسن ابن السلطان أبي العباس الحفصي، فراسله فيه وطلبه منه، فامتنع وماطله أياما، ثم أرسل إليه وأمر رسله لا يفارقوه حتى يسلمه لهم، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي فمشوا به، فبقي أهل تونس لا شعور لهم به، فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان ومن هناك انتشر، وقد كان الشيخ لما طولب به **اختصر منه تقييدا صغيرا جدا**، وهو موجود ببلاد فاس ومراكش بيد الناس»[3].

لوحة المقدمة والكولوفون من مخطوط: «التقييد الكبير» للإمام أبو العباس المسيلي (ت: 830هـ)

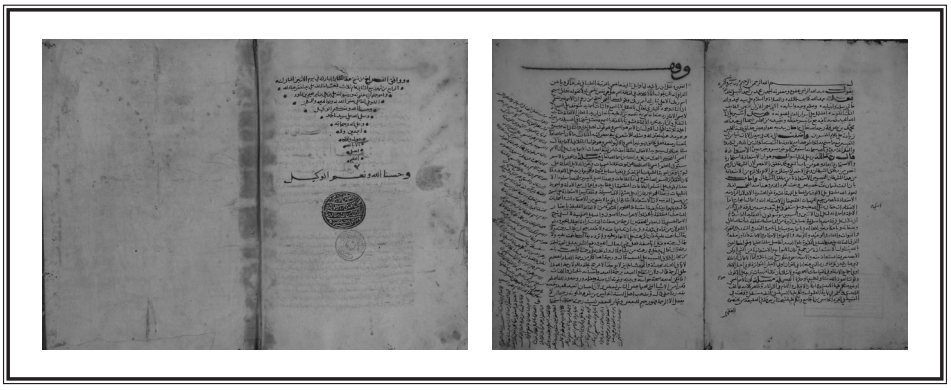

(1) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي. أبو عبد الله: مؤرخ حاسب فقيه. من المالكية، من بني عثمان (قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون) ولد بها وتفقه بها وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، واستقر بفاس سنة 891 وتوفي بها. له «الروض الهتون» في أخبار مكناسة، و«الفهرسة المباركة» في أسماء محدثي فاس وكتّابها وغيرها، توفي سنة: 919هـ. انظر: «**الأعلام**» ج: 5، ص: 336.

(2) **مجلة دعوة الحق**، عدد ذي القعدة سنة: 1979م/1393هـ، العدد الثالث، ص: 155.

(3) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج: 2، ص: 78.

○ سابعا: إبراهيم بن فائد الزواوي النجار، أبو إسحاق القسنطيني (ت: 857هـ):

الشيخ الإمام أبو إسحاق، وقيل أبو جميل، المفسِّر الفقيه، من كبار علماء المالكية في وقته بحاضرتي قسنطينة وبجاية، ولد في جبل جرجرة سنة: 796هـ، حلاَّه صاحب «شجرة النور» بالقول: «الإمام الفقيه العالم العمدة الكامل»[1] انتقل إلى بجاية فقرأ بها القرآن الكريم، وكان كثير الترحال بين الحواضر الثلاث بجايةتونس قسنطينة، حجَّ مرارا وجاور، ثم استقر في قسنطينة، لقيه أبو الحسن إبراهيم البقاعي[2] سنة: 853هـ بمكة وزكَّاه بالقول: «رجل صالح، من المشهورين بين المغاربة بالدين والعلم، وعليه سمت الزهاد وسكوتهم»[3]، أخذ الفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني[4] بتونسثم رحل لجبال بجاية، فأخذ العربية، ثم دخل قسنطينة فقطنها وأخذ الأصلين والمنطق والمعاني والبيان عن أبي عبد الله القيسي[5] (ت: 834هـ) أحد شيوخ القراءات بقسنطينة، والأصلين والمنطق والمعاني والبيان مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق[6] ـ الحفيد ـ عالم المغرب لما قَدِم عليهم قسنطينة

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:378.

(2) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. له: «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران» أربع مجلدات، توفي سنة:885هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:01، ص:56.

(3) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت، ج:01، ص:116.

(4) ذكره ابن مخلوف بالقول: «أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله القلشاني الباجي ثم التونسي، بيته معروف بالعلم والفضل قاضي الأنكحة بها، أخذ عن ابن عرفة وأبي العباس بن حيدرة وغيرهما وعنه جماعة منهم أبناه أحمد وعمر وأبو زيد الثعالبي لازمه وانتفع به. مولده في ذي القعدة سنة 753هـ وتوفي في ربيع الثاني سنة 836هـ. انظر: «**شجرة النور**»، ج:01، ص:352.

(5) محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك القيسي المنتوري، انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:495.

(6) ستأتي ترجمته كأحد أعلام التفسير زمن الدولة الزيانية.

فأقام بها ثمانية أشهر.

حضر مجلس ابن الجزري المقرئ سنة: 828هـ[1]، **قلتُ**: أظنه بمكة في حجه لأنه لم يدخل دمشق، وقد ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» ترجمة مستفيضة أتى فيها على جوانب عديدة من رحلاته وحياته العلمية في حواضر بجاية وتونس وقسنطينة.

من آثاره المصنَّفة: «شرح ألفية ابن مالك» في مجلد واحد.

و«تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل»، ثمانية مجلدات وقيل: ثلاثة مجلدات في فقه المالكية، و«فيض النيل في شرح مختصر خليل» أيضا في مجلدين.

و«تلخيص التلخيص» وهو شرح على «تلخيص المفتاح».

و«تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق»في مجلد كبير، قال التنبكتي: «ورأيت في خزانة جامع الشرفاء بمراكش السفر الأول من شرح آخر له على خليل قدر الثلث إلى الجهاد»[2] وغالب تصانيفه هاته مفقودة.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

ذكر الداودي أنه «أخذ التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشانيّ، وعمل "تفسيرا"»[3]، وتفسيره هذا في عداد التفاسير المفقودة، فلا يدرى حجمه ولا منهجه ولا أسلوبه، ولم أجد له ذكرا عند من ترجم له، إلا من تتابع النقل من الداودي عن السخاوي في أنه عمل تفسيرا.

وذكر أبو القاسم سعد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيره بالقول: «وينسب لأبي جميل إبراهيم بن فائد الزواوي تفسير مكتوب للقرآن الكريم، غير أننا لا ندري إن

(1) **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، ج:01، ص:17.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:57.

(3) **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، ج:01، ص:17.

كان هذا العمل قد أنقذ من الضياع»[1].

○ ثامنا: محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي، أبو الفضل (ت: 865هـ):

الشيخ الإمام أبو الفضل، مفسِّر عالم بالحديث ورجاله، أصولي فرضي فقيه، يعرف في المشرق بأبي الفضل وفي المغرب بابن أبي القسم، من أشهر علماء المالكية في عصره، ولد في ليلة النّصف من رجب سنة: 822هـ بحاضرة بجاية وبها كان أول طلبه وتعلمه، حلاَّه في «شجرة النور» بالقول: «الإمام العلامة المحقق الفهّامة أحد أذكياء العالم ونادرة الزمان في الحفظ والإتقان الثقة الأمين»[2].

وذكره معاصره الفقيه الأمين الأقصرائي[3] الحنفي بالقول «الشيخ الإمام، العلامة خلاصة الزمان والعلماء»[4].

أخذ عن والده الفقيهوترافق معه في بعض شيوخه، حفظ القرآن وهو في الخامسة فأكمل حفظه في سنتين ونصف، وقرأه بالسبع على والده وأخذ عنه علوم الشرع التفسير والحديث والفقه، ثم رحل في أول سنة أربعين إلى حاضرة تلمسان فبحث على محمد بن مرزوق ابن حفيد العالم الشهير، وأبي القاسم بن سعيد العقباني وأبي الفضل بن الإمام وأبي العباس أحمد بن زاغو، وأخذ عنهم الفقه والتفسير والحديث والبيان وبقية العلوم، قال البقاعي: وحدثني الصالح أحمد الزواوي عن بعض فضلاء المغاربة أن ابن مرزوق قال: ما عرفت العلم حتى قدم عليَّ هذا الشاب، فقيل: كيف؟ قال: لأني كنت أقول، فيُسلَّم

(1) **تاريخ الجزائر الثقافي**، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص:121.

(2) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:379.

(3) يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقصرائي: فاضل من الحنفية تركي الأصل، من بلدة أقصرا مولده ووفاته بالقاهرة، أقرأ وأفتى، وكان من تلاميذه السخاوي (المؤرخ) فخرّج له من مروياته «أربعين حديثا عن أربعين شيخا» حدّث بها الأقصرائي غير مرة، و«فهرسة» قال السخاوي: تداول الطلبة تحصيله، ولد سنة:797هـ، وتوفي سنة:880هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:08، ص:168.

(4) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:09، ص:185.

كلامي، فلما جاء هذا شرعَ ينازعني، فشرعتُ أتحرز وانْفَتَحت لي أبوابٌ من المعارف[1].

تصدر للإقراء ببجاية ثم دخل بلد العنَّاب وقسنطينة وحضر عند علمائها ساكتا، ثم دخل تونس وحضر عند جميع علمائها ساكتا، ثم رحل نحو مصر في البحر، وفيها وقعت له حادثة انتهت به لدخول بيروت، ثم رحل إلى دمشق ثم طوف في بلاد الشام طرابلس وحماة، ثم قطن القدس مدة وشاع ذكره إلى أن ملأ الأسماع، ثم حج سنة تسع وأربعين وجاور ثم رجع إلى القاهرة.

يصف السخاوي دروسه بمصر قائلا: «ودرَّس للناس في عدة فنون فبهر العقول وأدهش الألباب، فكان يقرأ القارئ بين يديه ورقة أو أكثر ثم يسرد ما تتضمنه من تصوير المسائل ويستوفي كلام أهل المذهب إن كان فقها وكلام الشارحين إن كان غير ذلك، ثم يتبع ذلك بأبحاث تتعلق بتلك المسائل كل ذلك في أسلوب غريب ونمط عجيب بعبارة جزلة وطلاقة كأنها السيل»[2].

كما يصف دروسه بالجامع الأزهر فيثني ثناءا عطرا فيقول: «**حضرتُ درسه في فقه المالكية بجامع الأزهر وإنَّ من لم يحضر درسه لم يحضر العِلم ولا سمع كلام العرب، ومن سمع كلامه في العلم علم أنه يخبر عن مشاهدة وأن غيره يخبر عن غِيبة، وليس المخبر عن المشاهدة كالمخبر عن المعاينة، ولهذا نجد كلامه في القلب أثبت من كلام غيره، لم أر أعظم تحريكا للهمم من حاله ولا أشد فعلا للقلوب من مقاله، سماع درس واحد من تقريره أكثر نفعا من سماع مائة من غيره، هيئةٌ لعمري لا يحاط بكنهها، وهو آية أبرزه الله في هذا العصر للعباد، فمن قبلها يرجى له بركتها ومن أباها خشي عليه معاجلة العقوبة، لا يشبه كلامه في جزالته وجلالته إلا كلام العرب العرباء، ولا يضاهيه في طلاقته ورصانته سوى فحول الألباء، على أنه محشو من دقيق المعاني بما يمنع لعمري**

(1) نفس المرجع، ج:09، ص:182.

(2) نفس المرجع، ج:09، ص:183.

من التصنع ويشغل عن التكلف، بل تلك منه سجية غير محتاجة إلى روية وهمة علية ما جنحت قط في التحصيل لدنية»[1]، وحكى سعيه ورغبته في عقد اجتماع بين الإمام المشذاليوشيخه ابن حجر، بعد أن علم تنقص الأول من قدر الثاني، وفيها أظهر تعصبه لشيخه، فأورد بعض مثالب المشذالي، منها «تركه للأخذ عن شيخنا المرحول إليه من سائر الآفاق للدراية والرواية، وسمع على سارة ابنة ابن جماعة جزء ابن الطلاية[2] ببيتها»وذلك بعد أن أبان عن رغبة شيخه ابن حجر بأنه : «**اشتهى أن يراه ولو نظرة فطلبه منهما وألح عليهما فكلماه في ذلك فامتنع...فلم يزالا يتلطفان به ويترفقان إلى أن أجاب، فعاده في يوم الأحد منتصف ذي الحجة وهو في أشد المرض فابتهج به ابتهاجا كثيرا وعظمه تعظيما كبيرا وقال: هذا الرجل لا يُنتفع بكلامه ولا ينبغي أن يحضر دروسه إلا حذاق العلماء**»[3].

قليل التصانيف، ولم يذكروا له غير«شرح على جمل الخونجي» توفي غريبا فريدا كما وصف السخاوي سنة:865هـ قبل والده بسنتين، بعنتابين حلب وأنطاكية.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

الإمام أبو الفضل المشذالي سليل سند مشيخي تفسيري جزائري بامتياز فهو تلميذ الإمام أبو العباس ابن زاغو المفسِّر، وأبو القاسم سعيد العقباني المفسِّر، وأبو الفضل بن الإمام المفسِّر، وكل من ترجم له ذكر قيامه على التفسير بالتدريس، غير أنهم لم يذكروا له تأليفا، لكونه مقلا من التصنيف عموما، يقول السخاوي: «وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في

(1) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:09، ص:183-184.

(2) رواية أبي العباس أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الزاهد، وهي «الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان عن الشيوخ العوالي»، لأبي بكر بن البقال.

(3) نفس المرجع، ج:09، ص:184.

دروسه التفسيرية في غير القرآن وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل، فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها، وأنه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه أو يقرئه لا يزيد على نظر المتن»[1]، وهي حلقة في التفسير كان يقيمها بالأزهر الشريف.

كما ذكر السخاوي أيضا أنه «درَّس للناس في عدة فنون فبهر العقول وأدهش الأَلباب... حتى انتزع له تدريس التفسير بقبة المنصورية[2] من المحيوي الطوخي[3] وعمل له إجلاسا حضره فيه الأكابر ولم يجسر أحد على التكلم معه لإغلاظه على الزين قاسم الزفتاوي لما تكلم معه فجبن غيره»[4].

قلتُ: وفي القبة المنصورية هاته تعقد الدروس للفقهاء على المذاهب الأربعة، وتعرف بدروس وقف الصالح، وفيها كرسي خاص بالتفسير، قد يكون الإمام صاحبه في تلك المرحلة، وذكروا له دروسا وحلقات بالجامع الأعظم ببجاية، غير أني لم أجد من أشار إلى مواضيعها، وفي بعضها التي أقامها بالقدس سنة 847هـ، لم يذكروا له التفسير، وتحدث ابن أبي عُذَيبة[5] ـ الذي عاب عليه السخاوي أنه كان يذكر مساوئ الناس ـ تحدث عن حلقاته تلك فقال: «فأقرأ العضد وكتب المنطق والمعقولات، وشهد له الأئمة ببلدنا

(1) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:09، ص:185.

(2) المدرسة المنصورية أنشأها هي والقبة التي تجاهها والمارستان، الملك المنصور قلاون الألفيّ الصالحيّ، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ، ورتب بها دروسا أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة، ودرسا للطب، ورتب بالقبة درسا للحديث النبويّ، ودرسا لتفسير القرآن الكريم، وميعادا، وكانت هذه التداريس لا يليها إلّا أجل الفقهاء المعتبرين. انظر: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المقريزي، ج:04، ص:226.

(3) عبد القادر بن محمد بن محمد بن علي بن شرف بن سالم المحيوي أبو البقاء الطوخي القاهري الشافعي. انظر ترجمته في «**الضوء اللامع**»، للسخاوي، ج:04،ص:292.

(4) نفس المرجع، ج:09، ص:187.

(5) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين: فاضل ممن عني بالتأريخ، مولده ووفاته في القدس. له كتب منها تاريخ مطول سماه «تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان» و«تاريخ مختصر»، اطلع صاحب الأنس الجليل على معظمه، وقال: إنه مرتب على حروف المعجم، وكتاب «قصص الأنبياء - خفي الخالدية بالقدس، رأيتها بخطه، ولد سنة:819هـ، وتوفي سنة:856هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:02، ص:229.

وبدمشق ومصر وطرابلس أنه أوحد أهل الأرض، وأنه عديم النظير في جنس بني آدم، وأنني عاجز الآن عن عبارة أصفه بها، فإن كل عبارة هو فوقها، ثم دخل مصر فولي تدريس القبة المنصورية فدَّرس بها العجب العجاب، وتعين لقضاء الشام ثم لمصر فأبى، ولا يحضرني الآن من يضاهيه في كثرة علومه»[1].

قلتُ: ووجدت أن البقاعي في تفسيره «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»قد ذكر قاعدته الجليلة في **علم المناسبات بين السور والآيات**، إذ أوردها كاملة بالقول: قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد اللهمحمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربيالبجائي المالكي علامةالزمان ـ سقى الله عهده سحائب الرضوان وأسكنه أعلى الجنان ـ: الأمر الكلي المفيدلعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعدمن المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة والله الهادي. انتهى. وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها»[2]، وهو النص الوحيد الذي نملك للإمام أبي الفضل المشذالي وهو في علم المناسبات وسر التناسق بين السور والآيات.

---

(1) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:09، ص:186.

(2) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:02، ت:2002م، ج:01، ص:11.

o تاسعا: أحمد بن محمد بن حسن بن علي الشُّمُنّي القسنطيني، أبو العباس تقي الدين (ت: 872هـ):

الإمام الشيخ أبو العبّاس أحمد الحنفي هو، المالكي والده وجدُّه، المحدّث المفسِّر النحوي الفقيه، القسنطيني الأصل من أهل شُّمُنَّة بالجزائر، ولد بالإسكندرية في رمضان سنة: 781هـ، وقدم القاهرة مع والده الذي اعتنى به فأسمعه الكثير وأجلسه عند الكثيرين كالقاضي شمس الدين البساطي، الذي أخذ عنه الأصلين والمعاني والبيان، والشيخ يحيى السيرامي، وأخذ الحديث عن الشيخ ولي الدين العراقي، وأجاز له السراج البلقيني والزين العراقي والجمال بن ظهيرة، والهيثمي.

حلاَّه تلميذه السيوطي بالقول: «شيخنا الإمام العلّامة المفسّر المحدّث الأصولي المتكلّم النّحوي البياني، إمام النّحاة في زمانه، وشيخ العلماء في أوانه، شهد بنشر علومه العاكف والبادي، وارتوى من بحار فهومه الظمآن والصادي...أما التفسير فهو بحره المحيط وكشَّاف دقائقه، بلفظه الوجيز الفائق على الوسيط والبسيط، وأما الحديث فالرحلة في الرواية والدراية إليه، والمعول في حل كل مشكلاته وفتح مقفلاته عليه، وأما الفقه فلو رآه النعمان لأنعم به عينا، أو رام أحدٌ مناظرته لأنشد:وألفى قولها كذبا ومينا[1]، وأما الكلام فلو رآه الأشعري لقرَّ به وقربه، وعلم أنه نصير الدين ببراهينه وحججه المهذبة المرتبة،

---

(1) **وقدمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينا...**

البيت من قصيدة لعدي بن زيد العبادي خاطب بها النعمان بن المنذر لما كان في محبسه، وعظه بها وحذره تقلب الدهر به، ويؤتي به للاستشهاد على أن الواو تختص بعطف الشيء على مرادفه. **الرهشان**: عرقان في بطن الذراعين، **والأديم**: النطع، بساط من الجلد يوضع تحت المحكوم عليه بالقتل، والضمير في قدمت يعود على الزباء، وهي امرأة ورثت الملك عن أبيها، والضمير في ألفى يعود على المقطوع راهشاه، وهو جذيمة الأبرش، والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء.

وأما الأصول فالبرهان لا يقوم عنده بحجة، وصاحب المنهاج لا يهتدي معه إلى محجة[1]، وأما النحو فلو أدركه الخليل لاتخذه خليلا، أو يونس لأنس بدرسه وشفي منه غليلا، وأما المعاني فالمصباح[2] لا يظهر له نور عند هذا الصباح، وماذا يفعل المفتاح[3] مع من ألقت إليه المقاليد أبطال الكفاح!إلى غير ذلك من علوم معدودة، وفضائل مأثورة مشهودة»[4]، **قلتُ**: وإنها لتزكية وتحلية رفيعة عجيبة.

درَّس بالمدرسة الجمالية الحنفية[5] مدة، ثم ولي المشيخة والخطابة في مساجد القاهرة ومدارسها، منها مدرسة اللالا[6] بجامع الطواشي، ومما أقرأ بها التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجم الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه، وطُلب لقضاء الحنفية بالقاهرة سنة 868هـ فامتنع[7].

ختم الإمام السيوطي تحلية شيخه بالقول: «وهو إمام علامة متفنن، منقطع القرين، سريع الإدراك، مع الخير والعفة والتواضع والشهامة وحسن الشكل

---

(1) يريد: **منهاج الوصول إلى علم الأصول** للإمام البيضاوي (ت:685هـ).

(2) يريد: **المصباح في المعاني والبيان والبديع** لبدر الدين بن مالك ابن الناظم (ت:686هـ).

(3) يريد: **تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع**، للخطيب القزويني (ت:739هـ).

(4) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، ج:01، ص:101.

(5) قول المقريزي: هذه المدرسة بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر، بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجماليّ، وجعلها مدرسة للحنفية، وخانقاه للصوفية، وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية، وتعدّ من أجلّ مدارس القاهرة، ولها عدّة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها، وتخريبهم أوقافها، وتعطل منها حضور الدرس والتصوّف، وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه وقرب الخراب منها، وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة. انظر: «**المواعظ والاعتبار**»، ج:04، ص:246.

(6) وهي مدرسة الطواشي جوهر السحرتيّ اللالا، وهو من خدّام الملك الناصر محمد بن قلاون، تأمّر في تاسع عشري شهر رجب سنة 745هـ، وبناها قبل توليه. انظر: «**المواعظ والاعتبار**»، ج:04، ص:136.

(7) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، ج:01، ص:377.

والأبهة والانجماع عن بني الدنيا... ولم يزل الشيخ أطال الله عمره يودني ويحبني، ويعظمني ويثني عليَّ كثيرا، توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرب العشاء ليلة الأحد سابع عشرين ذي الحجة سنة ثنتين وسبعين وثمانمائة، ودفن يوم الأحد وصلى عليه الخلق، وفجعوا به[1].

- **من آثاره وتصانيفه:**

1. «المصنف من الكلام على مغني ابن هشام»، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية، برقم حفظ: 01601. وهو مطبوع متداول.

2. «مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا» وهو «مختصر الشفا بتعريف حقوق المصطفى» لعياض، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، الرياض، برقم حفظ: -1957 فب. وهو مطبوع متداول.

3. «منهاج المسالك إلى ألفية ابن مالك»، بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية، برقم حفظ: 11145.

4. «كمال الدراية في شرح النفاية» منه نسخة بمكتبة الأوقاف بحلب، سوريا، برقم حفظ: 566/2788, 567/2789. ونسخة ثانية بمكتبه الحرم المكي، برقم حفظ: 251 حنفي، ونسخة ثالثة برقم حفظ: 151 حنفي.

5. «عالي الرتبة في شرح نظم النخبة» وهو شرح نظم النخبة لوالده، منه نسخة بالمكتبةالأزهريةبالقاهرة، مصر، برقم حفظ: [94] 4538,[922 مجاميع] بخيت 46175، ونسخة ثانية بمكتبة برنستون، بالولايات المتحدةالأمريكية، برقم حفظ: 5577.

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:379/377.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام تقي الدين الشُّمُنِّي أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير تدريسا وتأليفا، فقد ذكر تلميذه السيوطي مجالس شيخه في التفسير، وأنه كان مقيما على تدريسه في المدرسة الجمَّالية ومدرسة اللالا، وفي تحليته نبَّه على بصمته ومكانته التفسيرية بأن جعله صنو ونظير صاحب «البحر المحيط» الإمام أبو حيان الأندلسي (ت:745هـ) والإمام الزمخشري (ت:538هـ) صاحب «الكشاف» كذا ابن عطية (ت:541هـ) صاحب «المحرر الوجيز»، والإمام الواحدي (ت:468هـ) صاحب التفاسير الثلاث «الوسيط» و«البسيط» و«الوجيز» إذ يقول: «أما التفسير فهو بحره المحيط، وكشَّاف دقائقه، بلفظه الوجيز الفائق على الوسيطوالبسيط... وأقرأ التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجم الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه»[1].

وبهذا النص جعل صاحب «المعلمة»[2] تفسيرا للإمام الشُّمُنِّي بعنوان «الوسيط والبسيط» وهو وهم كبير، والعبارة ذكرها السيوطي في معرض الثناء عليه وعلى علمه في التفسير كما هو ظاهر.

وقد صنَّف الإمام الشُّمُنِّي في التفسير مؤلَّفه «**الأمور الناجحة في كشف أسرار الفاتحة**»، منه نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، سوريا، برقم حفظ: 506. ونسخة ـ مصورة منها ـ بمركز جمعة الماجد بالإمارات، رقم حفظ: 225571، خط نسخي، 42 لوحة، وعدد الأسطر: 27.

أورد صلاح الخيمي في فهرسته[3] عن الظاهرية بعض بدايته وخاتمته بالقول:

---

(1) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، ج:1، ص:375/377.

(2) **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط:02، ت:2007، ص:41.

(3) **فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة**، صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط:01، ت:1983م، ج:02، ص:44.

«**بدايته**:الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ووعد من تلاه وعمل به جزيل الثواب ... أما بعد:

فإن علم كتاب الله **لمَّا**[1] كان من أجل العلوم قدرا وأعظمها خطرا وأجملها آثارا وأحسنها دثارا وأكملها شعارا **وأمتنها حبالا وأرسخها جبالا**صنَّفتُ فيه مختصرا على فاتحة الكتاب جمعته من دقائق ذوي الألباب، على وجه لا يصد اللبيب عن نظرة صاد ولا يرد الذكي عن تعلقه راد، **جعلته برسم حضرة المولى... الصاحب التاجي... وهأنا أشرع في ذلك...**﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وآخره: وروى المدنيون عنه: يؤمِّن، لقوله ﷺ: **(إذا أمّن الإمام فأمّنوا)** ضرورةٌ أن ظاهره يقتضي تأمين الإمام، ورُدّ بأنمعناه إذا بلغ الإمام التأمين إلا أنه أمّن، وأجيب بقول ابن شهاب: كان رسول الله ﷺ يقول: آمين. وهو وإن كان مرسلا فقد أسنده بعضهم.

كمل الكلام على هذه السورة الكريمة والحمد لله، ولنختم كلامنا بهذا الدعاء المأثورعن **أهل البيت**: اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر**أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وألا تشوه خلقتي بالنار وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله...وأن تغفر لي ... والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام ... على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.»**

ويمكن من خلال هاته البداية الوجيزة والخاتمة القصيرة التنويه على ما يلي:

1. أن تفسير الإمام الشُّمُنِّي يمكن تصنيفه ضمن التفاسير التي مزجت بين المأثور والرأي.

2. أن المسائل الفقهية كانت حاضرة في تفسيره هذا، ولا يحكم بانتصاره

(1) ما كان داكنا فليس من فهرس الأستاذ صلاح الخيمي، بل من نسخة بجامعة أم القرى عرَّفت بالمخطوط أيضا.

للحنفية فيه وإن كان أحد أقطابها وشيوخها في تلك المرحلة.

3. أنه كان صاحب بصمة حديثية فيه، تخريجا للأحاديث واستدلالا بها، وهو صاحب مؤلفات في تلك الصنعة، فلا يستبعد إعماله لها في تفسيره.

4. ملاحظة حضور البصمة التصوفية التزكوية في تفسيره من خلال بدايته وخاتمته، وهي سمة غالبة على أعلام تلك المرحلة، تمايزوا في نوعيتها فقط.

وفي غياب أصل المخطوط لا يمكن تحرير أكثر من هذا.

- **عاشرا: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، أبو زيد (ت: 875هـ):**

الشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي **الجعفري** الجزائري، ولد سنة: 786هـ بوادي يسر بمدينة «يسر» الواقعة حاليا بولاية بومرداس شمال شرقي العاصمة الجزائرية، أحد أعيان الجزائر وشيوخها، حلاَّه أبو زرعة العراقيالمحدِّث بالقول: «الشيخ الصالح، الأفضل الكامل، المحرِّر المحصِّل الرّحال»، ووصفه في «شجرة النور»: «الإمام عَلم الأعلام الفقيه المفسِّر المحدّث الراوية العمدة الفهامة الهمام الصالح الفاضل العارف بالله الواصل»[1]، وقال عنه تلميذه الشيخ أحمد بن زروق: «كانت الديانة أغلب عليه من عِلمه»، أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين المتين، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب وعرَّف بهم وبنفسه وما له من التأليف في فهرسة «غنية الوافد وبغية الطالب الماجد».

انتقل سنة: 802هـ إلى حاضرة بجاية وقضى فيها حوالي سبع سنوات أخذ فيها عن شيوخ تلك الحاضرة، كالإمام علي بن عثمان الزواوي أبو الحسن الذي قال عنه: «وعليه كانت عمدة قراءتي»، وأبو العباس أحمد النقاوسي المفسِّر، ثم انتقل إلى تونس سنة 809هـ، ومكث فيها قرابة (08) سنوات فأخذ عن جلة من أعلامها وشيوخها، منهم أبو مهدي عيسى الغبريني(ت: 813هـ) والإمام أبو

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:382.

القاسم البرزلي[1] (844هـ)، والإمام ابن خِلْفة الأبي[2] (ت:827هـ)، ثم توجه إلى القاهرة سنة:817هـ حيث لقي الشيخ محمد البلالي[3] (ت:820هـ) الذي ذكره بالقول: «فسمعت عليه البخاري، وقرأت عليه كثيرا من اختصاره لإحياء علوم الدين»، ثم توجه صوب «بورصة» من بلاد الترك، وأكمل منها حجا إلى بلاد الحجاز وأخذ عن بعض شيوخها، وعاد إلى القاهرة أين أخذ عن عبد الله البساطي[4] (ت:842هـ) وشيخ المحدثين ولي الدين العراقي (ت:826هـ).

وفي سنة:819هـ رجع إلى تونس وتتلمذ على يد العلامة ابن مرزوق الحفيد حين دخلها ولازمه وأخذ عنه جملة من الفنون والعلوم، ثم عاد إلى وطنه واستقر بالجزائر ووهب نفسه لخدمة العلم وطلابه، واشتغل بالتدريس والتأليف، فتتلمذ على يده جملة من أعلام الجزائر كعبد الكريم المغيلي وابن سلامة البسكري وابن مرزوق الكفيف ... وغيرهم كثير.

---

(1) أبو القاسم بن أحمد بن محمد البَلَوِي القيرواني، المعروف بالبرزلي: أحد أئمة المالكية في المغرب، حج ومر بالقاهرة سنة 800هـ وسكن تونس، وانتهت إليه الفتوى فيها. وكان ينعت بشيخ الإسلام. وعمّر طويلا، قال السخاوي: توفي بتونس عن مئة وثلاث سنين، سنة:844هـ. من كتبه «جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام». انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:172.

(2) محمد بن خلفة بن عمر الأَبِّي الوشتاني المالكي: عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى (آبَهْ) من قراها. وَلِيَ قضاء الجزيرة، سنة 808هـ له: «إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم» سبعة أجزاء، في شرح صحيح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، و«شرح المدونة» وغير ذلك، مات بتونس، توفي سنة:827هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:06، ص:115.

(3) محمد بن علي بن جعفر، شمس الدين أبو عبد الله العجلوني ثم القاهري المعروف بالبلالي: فقيه شافعيّ من أهل بلالة من أعمال عجلون، تميز بالتصوف ولازم النظر في كتاب «الإحياء» للغزالي، وصنف مختصرا له، «السول في شيء من أحاديث الرسول» ولم يكمله، وعمل مختصرا في فروع الفقه. واستقدمه نائب السلطنة إلى مصر في حدود سنة 790هـ، فتولى مشيخة سعيد السعداء، ولد سنة:570هـ، توفي سنة:820هـ بمصر. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:06، ص:287.

(4) محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي، أبو عبد الله، شمس الدين: فقيه مالكي، من القضاة. ولد في بساط (من الغربية، بمصر) وانتقل إلى القاهرة. فتفقه واشتهر، ودرس وناب في الحكم، ثم تولى القضاء بالديار المصرية سنة 823هـ واستمر 20 سنة، لم يعزل إلى أن مات. من كتبه «المغني» فقه، و«شفاء الغليل في مختصر الشيخ خليل»، توفي سنة:842هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:332.

أما عن تصانيفه فتفوق التسعين مؤلفا، بين مطول ومختصر ونظم ونثر وشروح وحواش في فنون متعددة وعلوم مختلفة، تُنظر في فهرسته«غنية الوافد وبغية الطالب الماجد»، وهي مطبوعة متوفرة باعتناء الأستاذ: محمد شايب شريف.

توفي الشيخ الإمام الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صبيحة يوم الجمعة 23 من رمضان المعظم سنة 875هـ، ودفن بجبانة الطلبة خارج باب الواد بالعاصمة، وإن من شيء يؤسف له ويحير، فتحول ضريحه مرتعا للطقوس الخرافية وبريدا للممارسات الشركية، والله الهادي وهو العاصم والإمام منهم براء.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام الثعالبي أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير وعلومه تدريسا وتأليفا، فقد ذكر مترجموه أنه كان يُدرِّس بمسجد «جنان الطلبة» بالعاصمة ويعقد مجالس لقراءة تفسيره على الطلبة، وهو مجلس خصه الإمام لتدريس تفسيره «الجواهر الحسان» على طلبته والقيام بشرحه وتسهيله للمريدين.

وصنَّف تفسيره الشهير «**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**» الذي **اختصر فيه تفسير ابن عطية(ت: 541هـ)** «**المحرر الوجيز**» وشحنه بفوائد كثيرةاقتنصها من مراجع ومصادر جمة فاقت المئة، جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، غير أنه يعتبر في الجملة تفسيرا أثريا ذا نزعة صوفية وعظية يهتم بالقضايا الاجتماعية.

اهتم فيه صاحبه بالمقارنة بين مختلف التفاسير وترجيح بعضها على الآخر، وذكر في مقدمته أنهاختصره من تفسير ابن عطية وزاد عليه من الفوائد التي التقطها من قريب مائة تأليف من كتب الأئمة المشهورين ـ بعضها لا يزال مخطوطا ـ ولم ينقل شيئاً منها بالمعنى بل نقل النصوص كما هو ظاهرها، ونوَّه على أن ما نقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبدالله محمد اللخمي

النحوي[1]، وأن كل ما آخره «انتهى» فليس من كلام ابن عطية وإنما هو مما انفرد بنقله عن غيره، وجعل علامة «ت» بدلاً من قوله: «قلت»، وعلامة «ع» إشارة إلى ابن عطية، وعلامة «ص» إشارة إلى تفسير الصفاقسي«المجيد في إعراب القرآن المجيد»الذي اختصر فيه تفسير أبي حيان، وما زاده عليه الصفاقسي عليه علامة «م».

يقول الباحث عبد الحق سيف قاضي «قام ـ الثعالبي ـ إلى تفسير ابن عطية ونحى منه وفرة وفيرة من الأقوال المتشعبة والاختلافات الكثيرة والروايات المتعددة، واختار منها ماهو أقرب إلى الروح القرآنية السمحة... وهو بهذا يطمع أن ينتفع بذلك جمهرة كبيرة من العامة والخاصة كما نوَّه بذلك في مقدمة تفسيره، وكان حريصا أثناء اختصاره لتفسير ابن عطية على تنقية الآراء، وعلى إبقاء الطابع العام كما هو دون تغيير أو تبديل، حتى تبقى شخصية ابن عطية ماثلة واضحة جلية، إلا أنه أحيانا كانت تجذبه العاطفة الدينية كلما سنحت له الفرصة فيطلق لقلمه العنان في سرد الأحاديث والأقوال المتعلقة بالترغيب والترهيب والتذكير بأمور الآخرة والتزهيد في الدنيا والتقليل منشأنها».

أما عن **موقفه من الأحاديث والأسانيد**، فقد كان ينقل من الكتب الستة و«الأذكار» للنووي و«الترغيب والترهيب» للمنذري و«التذكرة» للقرطبي و«العاقبة» لعبدالحق الأشبيلي و«مصابيح السنة» للبغوي، وغيرها بلا إسناد غالباً وبعضها بلا عزو لمصدر، بل يصدِّره بقوله: رُوي عن عائشة كذا وكذا أو قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يورد الحديث مباشرة، دون ذكر للسند ولا لاسم الصحابي.

وعن**الأحكام الفقهية**، فقد اعتمد خاصة على«المدونة» لسحنون بن سعيد، و«مختصر ابن الحاجب الفرعي» و«الإلمام في أحاديث الأحكام» لابن دقيق العيد، إضافة إلى«البيان والتحصيل» لابن رشد، وقدكان يورد الأحكام الفقهية

(1) مفقود لا يوجد لحد الساعة.

كلما واتته الفرصة خاصة عند بعض آيات الأحكام وإن لم يكن مكثرا منها، فكان يذكر أقوال الفقهاء وخصوصاً مذهب الإمام مالك ـ باختصار ـ ويرجح في بعض الأحيان.

كما كان مهتما **باللغة والنحو والشعر**في تفسيره هذا، فيعرب كثيراً من المواضع في القرآن نقلاً عن ابن عطية ومن مختصر الصفاقسي لأبي حيان، ويذكر الشواهد الشعرية للألفاظ القرآنية.

وعن **القراءات القرآنية** فقد كان يذكر القراءات السبع في كتابه ويورد الشاذة أيضاً أحياناً، كما كان يورد بعض **الروايات الإسرائيلية**، ويتعقبها بما يفيد عدم صحتها أو عدم القطع بصحتها.

يقول عبد الحق سيف قاضي: «ولم يخل منهجه من عنصر النقد، فكما نقد كثيرا من الآثار والروايات سندا ومتنا، نقد أيضا في مواضع متعددة جماعة من المفسرين وعلى رأسهم ابن عطية الذي اختاره المصنف ليكون أساس تفسيره، فيصرح أحيانا ببعد تفسيره أو لفظة عن السياق فيقول مثلا: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية كما ترى.ويكشف أحيانا عما يسميه قلقا في التوجيه أو في التعبير، ويبين أحيانا أخرى أن ابن عطية خصَّص بدل أن يعمم بدون دليل مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ والصواب عندي أن يقال: «أما ثقله باعتبار سائر الأمة فهو ما ذكر من ثقل المعاني»[1]، كما ينبه في مواضع أخرى على تناقض ابن عطية فيقول مثلا: «وماضعفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحَّحه في سورة البقرة»[2]، ويقول: «وفي نظره رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظر يمنعني من البحث معه ماأنا له قاصد من الإيجاز والاختصار دون البسط والانتشار»[3].

وقد خلُص الباحث عبد الحق سيف قاضي في رسالته «عبد الرحمن الثعالبي

(1) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، ج:05، ص:502.

(2) نفس المرجع، ج:03، ص:17.

(3) نفس المرجع، ج:03، ص:48.

ومنهجه في التفسير» إلى ملاحظات دقيقة من خلال مقارنة الإمام الثعالبي بالإمام ابن عطية تتلخص مجملها فيمايلي :

1. تفوق الثعالبي على ابن عطية في مجال الحديث.
2. تعقب الثعالبي ابن عطية في مسائل قال بها ثم عدل عنها .
3. استدراك الثعالبي على ابن عطية فيما يتعلق بمنزلة الأنبياء وعصمتهم.
4. ترجيح الثعالبي لغير آراء ابن عطية في فهم بعض الآيات القرآنية.
5. مناقشة الثعالبي لابن عطية في بعض القضايا المختلفة.
6. مخالفة الثعالبي لابن عطية في بعض الألفاظ اللغوية والنحوية.

تجدر الإشارة إلى أن الكتاب قد طبع أكثر من مرة، فهو مطبوع في الجزائر سنة: 1905م بعناية مصطفى بن الخوجة في أربعة أجزاء، ثم سنة: 1909م طبع طبعة قديمة في المطبعة الثعالبية بالجزائر دون عناية أو تحقيق، ثم اهتم به الدكتور عمار طالبي فطبعه طبعة ثانية بمطبعة المؤسسة الوطنية للكتاب في خمسة أجزاء، ثم اهتم به الغماري الإدريسي فطبعه أيضا سنة: 1996م بدار الكتب العلمية ببيروت، وتوالت عليه الطبعات المعاصرة، كما نشير إليأن معجمه «مختصر في شرح غريب بعض ألفاظ القرآن» قد طبع بآخر التفسير.

ومن أعمال الإمام الثعالبي في التفسير وعلومه أيضا:

1. «تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن» أشار له صاحب «هدية العارفين» (532/1)، ونويهض في «معجم المفسرين»(276/1)، ولم أجد مخطوطاته، كما لم يُشر إليه من طرف الباحثين.

2. «الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز» قيل: هو المعجم الذي طبع بآخر تفسير «الجواهر الحسان» للألفاظ الغريبة في تفسيره.

نسخ من مخطوط: «الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز» الإمام عبد الرحمن الثعالبي

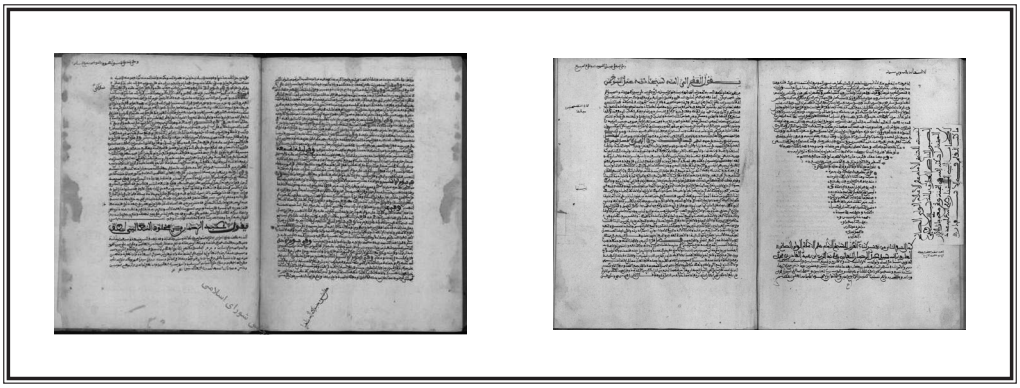

○ الحادي عشر: إبراهيم بن محمد الصدقاوي، الزواوي البجائي، المصعصع (ت: 882هـ):

الإمام الشيخ إبراهيمبن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان بن مهيب الصدقاوي، الزواوي البجائي، الفقيه المالكي المجاور، نشأ وتعلم في حاضرة بجاية وإليها نسبته، لا نعلم تاريخ ولادته ولا مكانه بالتحديد، ممن أخذ عن محمد بن أبي القاسم المشدالي المفسِّر، ويحضر دروس البرهاني بن ظهيرة (ت: 891هـ)[1]، **قلتُ**: هو برهان الدين ابن ظهيرة المجاور بمكة المكرمة، رحل إلى المشرق وسكن بالمدينة المنورة مدة، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها نحو خمس عشرة سنة حتيمات سنة: 882هـ ضحى يوم الاثنين عاشر رمضان وهو ابن ست وستين سنة، وأبوه ممن ولي قضاء زواوة بحاضرة بجاية.

ولم أجد له ترجمة إلا في«الضوء اللامع» للسخاوي ولم يشر له بصحبة أو

(1) براهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي، أبو إسحاق، برهان الدين، ولد سنة: 825ه، قاضي مكة، ولي قضاءها نحو 30سنة، ومولده ووفاته فيها. كان شافعيا، انتهت إليه رياسة العلم في الحجاز ورحل إلى مصر مرتين. انظر: «الأعلام» للزركلي، ج:01، ص: 52.

معرفة، وظهر لي أن الشيخ المصعصع أخذ من الإمام المشذالي أبو الفضل حينما حج سنة 849هـ وجاور بها كما ذكرنا في ترجمته، ووجدت في ترجمة ابنه محمد بن إبراهيم الصدقاوي السراج[1] 895هـ نزيل مكة، أنه هو من أفاد السخاوي بترجمة والده زمن إقامة السخاوي بمكة، إذ يقول السخاوي: «واستفدت منه ترجمة أبيه وجده»[2].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يكن للشيخ المصعصع أي تصنيف في التفسير أو علوم القرآن، إنما أشار إليه السخاوي بأنه «**كان ذا إلمام بالتفسير يستحضر من ابن عطِيَّة**»[3]، وقوله: يستحضر دليل إقامته على التدريس في الحلقات، وأنه ربما كان مقيما بالتدريس على تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز» شارحا له، وظاهر أن هاته الإفادة هي من كلام ابنه محمد الصدقاوي الملقب بالسراج، ولم يزد عن ذلك، ولن نزيد.

o الثاني عشر: محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني، الرصَّاع أبو عبد الله (ت:894هـ):

الإمام الشيخ محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني، أبو عبد الله الرصَّاع، قاضي الجماعة بتونس، ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس سنة: 831هـ، عاش وتوفي بها، وله فيها عقب إلى الآن، حلَّاه الإمام الونشريسي بالقول: «شيخنا ومقيدنا المقدم»[4]، والوزير السراج بقوله: «الشيخ الإمام البارع الذي غدا

(1) محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان بن مهيب الصدقاوي الزواوي الأصل ثم البجائي المالكي نزيل مكة ويلقب سراجا. ولد سنة 846هـ وقطن مكة دهرا قبل أبيه وبعده، وناب فيها عن البرهان بن ظهيرة بالطائف ثم أعرض عنه ودخل مصر وغيرها، وهو إنسان ساكن فيه فضيلة بل أوقفني على أشياء جمعها وتكرر تردده لي بمكة في سنتي ثلاث وأربع وتسعين ومات بعد انفصالنا عنه في رمضان سنة خمس وتسعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: «**الضوء اللامع**» للسخاوي، ج:06، ص:275.

(2) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:06، ص:275.

(3) نفس المرجع، ج:1، ص:149.

(4) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:537.

وليس له في مشاركة مرتبته العلمية ولطائف تصريفه الحكيمة من منازع»[1]، عُرِف بالرصَّاع لأن جده الرابع كان نجارا يرصع المنابر المسجدية[2]، أخذ عن شيوخ حاضرة تونس كأبي القاسم البرزلي (ت:844هـ)، وأحمد بن محمد المسيلي المفسِّر أبو العباس (ت:830هـ)، الذي حلاَّه بالقول: «ومن أشياخي الذين أخذت عنهم وقرأت عليهم الشيخ الفقيه العالم أبو العباس أحمد البسيلي، وكان شيخنا هذا عالما مشاركا عليه وقار»[3]، وقد صنَّف فهرسا خاصا بأشياخه وكل من أخذ عنه أو لاقاه أو أجازه، ويُعرف بفهرست الرصَّاع، وقد اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه[4]، متصدرا للإفتاء وإقراء الفقه والعربية وأصول الدين والمنطق وغيرها[5].

توفي الإمام الرصَّاع سنة:894هـ، ودفن قرب سوق النحاس بتونس، **من آثاره المصنَّفة:**

«تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، رقم حفظ: 01292.

«تذكرة المحبين بأسماء سيد المرسلين» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، رقم حفظ:-1554ف.

«مختصر فتح الباري شرح صحيح البخاري» منه نسخة بالمكتبة المركزية، بالسعودية، رقم حفظ:6431/ف.

«التسهيل والتقريب النصيح لرواية الجامع الصحيح» منه نسخة بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم حفظ تسلسلي:5787. ونسخة ثانية بالمكتبة العبدلية

(1) **فهرست الرصَّاع**، محمد الأنصاري الرصاع، ص: م.
(2) نفس المرجع، ص: م.
(3) نفس المرجع، ص:175.
(4) نفس المرجع، ص:175.
(5) نفس المرجع، ج:08، ص:287.

بجامع الزيتونة، برقم حفظ: 547.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

اشتغل الإمام الرصَّاع بالإمامة في جامع الزيتونة، وبتدريس التفسير وبقية العلوم للرواد، وقد ذكر الوزير السراج في كلامه عن الرصَّاع أنه: «كم جال في ميدان التفسير وأفحم في عريض ذلك الميدان كل نحرير، ولا عيب فيه إلا أنه المفرد وأخجل الجم الغفير المتعدد»[1] بعد إيراده أنه كان يقوم بالتدريس في الجامع الأعظم، وليس بين أيدينا ما يمكن اعتماده في بيان طريقة التدريس وأي كتب كان يقوم بتدريسها أو أنه كان يقوم بالتفسير من عنده.

وفي التصنيف فللإمام الرصَّاع تفسيرٌ يعتبر في عداد التفاسير المفقودة، ذكره السخاوي بالقول: «بلغني أنه شرع فِي تفسير»[2]، كما ألَّف في الشواهد القرآنية من «المغني» لابن هشام ورتبها على السُّور وقام بتفسيرها، وسمَّاه «الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب»[3] أتى فيه على جميع سور القرآن الكريم، ولا يمكن اعتباره عملا تفسيريا بل لغويا.

وأورد الإمام الونشريسي في معياره جوابا مطولا للشيخ في تفسيرهلقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾، بعد أن حُمل مع السؤال جواب مشايخ الحاضرة التلمسانية الأربع: الإمام السنوسي والإمام التنسي والإمام ابن زكري

---

(1) **فهرست الرصاع**، محمد الأنصاري الرصاع، ص:م.

(2) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:8، ص:287.

(3) وقد حقق منه الطالب: أحمد بن مصلح من سورة إبراهيم على آخر سبأ، كرسالة للماجستير سنة:1430هـ، بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية بالسعودية، وحقق الطالب: أحمد بن مضيف، من أول فاطر إلى آخر الناس، أيضا كرسالة ماجستير بنفس القسم والجامعة سنة:1429هـ، والطالب: المهدي بن لخضر من سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، كرسالة دكتوراه بكلية الآداب بتطوان بالمملكة المغربية سنة 2003م، منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بتونس برقم:4115، في 228 لوحة، كما توجد منه نسخة للجزء الأول بالزاوية الحمزاوية بتافيلالت المملكة المغربية، برقم:89، بخط مغربي واضح.

والإمام ابن أبي العيش لينظر فيها ويعطي رأيه فيها وفي أصوبها، فقال:

«... وتقيّد بعقب هذه الأجوبة المسطورة سؤال طوله به مقام مفتي الحضرة التونسية الشيخ الإمام العالم العامل، الصالح البركة الخاشع لله المؤلف الرواية المسند، أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع نصّه: الحمد لله، سيدي ـ رضي الله عنكم ـ تأملوا هذه الأجوبة من هذه السادات الكرام، الأئمة الأعلام، وما تختارونه منها، وأيها أجرى على طريق العلماء، وما يظهر لكم من الفوائد فيها، والله تعالى يسددكم ويجعل لنا في عمركم البركة بفضله، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

فأجاب مبتغياً من الله جزيل الثواب بما نصه:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرة من قلب سليم، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله، عزيز القدر عنده صاحب الخلق العظيم، ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم أزكى الصلاة وأفضل التسليم.

أما بعد، فإني لما رأيت ما بُعث به إلي من هذه الأجوبة المباركة، لمشايخ حضرة بلد تلمسان، أدام الله بها الإسلام والإيمان، وحرسها عن أغيار الأزمان، يظهر لي أنه لا بد من الإشارة إلى ما ذكره السائل وطلبه، وبيان ما يدل به على ذلك من فوائد يحتاج إليها، وفوائد ينبغي لطالب العلم الوقوف عليها فنقول: أما ما ذكر عن تكملة الأبرار، فهو كلام صحيح حقٌّ جار على مذهب أهل السنة الأخيار، لأن غاية أمره أنه قسم الناس إلى قسمين: مؤمنوكافر، والمؤمن قسَّمه إلى ثلاثة أقسام، الثلاثة في الجنة، وهذا هو مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة الذين لا يطلقون على العاصي مؤمناً وأنه لا يدخل الجنّة، وإنما يطلقون عليه فاسقاً وهو مخلد في النار. وقد ذكر أولاً أنهم استووا في دخول الجنة الأقسام الثلاثة وهذا حق لا شك فيه، ومعناه استووا في الخلود فيها، والاستواء في دخولها هو أعم من دخولها ابتداء ودخولها بعد النار.

وإذا صح ذلك فكيف ينسب الإرجاء إلى قائل ما ذكر، وليس فيها ما يشار إليه بوجه، وهذا جلي ونزيده وضوحاً بعد.

ثم إن الذي قرره هو مقتضى ظاهر الآية فما تتأول به الآية يتأول به كلام هذا القائل، وعندي أن هذا الاعتراض وضع في غير محل، والحق أبلج لا يمنع من فهمه إلا عليل، فكيف يفتقر النهار إلى دليل؟ وما قرره الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله صحيح جارٍ على ما قلناه، والأمر فيه جليّ ظاهر كما أشرنا إليه وأشار إليه الشيخ المذكور وذلك مشهور عند أهل السنة ومنشور، وأما إشكال ذكر الاصطفاء من الله تعالى لمن ذكر، فلا أظن أن ذلك يرد على قلب سليم من الأكدار صافٍ، ولا لمن هو بالعهود وافٍ، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، فاصطفاؤه واجتباؤه لأهل الإيمان ثابت في طائعهم وعاصيهم، وهذا ضروريّ من الدين، ومن الاصطفاء لهم استغفار حملة العرش لهم في كتابه.

ودل عليه وحقّ الشيخ المذكور أولاً أن يُخرج كلام صاحب «تكملة الأبرار»وينفي عنه الإرجاء، ويتأول كلامه بأن المراد بالدخول ابتداء وهذا جارٍ على مذهب أهل السنة، إلا أنه قد أشار إلى ذلك في آخر كلامه بالمعنى، وظهر لي زيادة البسط في زوال الإشكال وذلك أن نقول: قوله يدخلونها من باب الكناية عن الخلود والأبدية، لأن قرينة دخول الجنة ملازمة الخلود فيها قطعاً سمعياً، فكأنه قال: جنات عدن لا يخرجون منها، والكناية أبلغ من الحقيقة، لأن فيها الانتقال من الملزوم إلى لازمه، وإعطاء الشيء بدليله، وعلى ذلك لا يرد سؤال على الآية بوجه، وهذا الوجه مغاير لمدلول الحقيقة، ولكنه في الحقيقة مقيد بالآيات الأخر التي فيها التقييد، فيرجع هذا المعنى إلى معنى الكناية والكناية أبلغ.

وأما ما ذكره الشيخ الفقيه العالم أبو عبد الله محمد التنسي فهو كلام حسن، موافق لما ذكره أن الآية الكريمة في الأمة المحمدية، وأن الجمهور على ذلك،

فهو كلام صحيح. وما أورده من الأحاديث الدالة على فضل هذه الأمة ذلك مقطوع به، وقد رأيت في ذلك تأليفاً جُمعت فيه أحاديث فيما فضلت به هذه الأمة، وذكر في ذلك أزيد من مائة خصلة وكلام صاحب «الشفا»لابن سبع في ذلك كفاية وشفاء، ومن أراد تتبع الإشباع في فضلها فلينشرح به صدره بنظره.

وكلام هذا الشيخ حسن، لكن وقع في لفظه ما يُنبَّه عليه لأجل مقام العصمة والنهرة لها فيقال: ذكر آدم عليه السلام في هذا المقام لا يمكن ذكره، لما فيه من الإيهام على السامعين، وكان المشايخ يقولون: إياك وما يعتذر منه في مقام أهل العصمة.

وما ذكر عن الشيخ الفقيه ابن أبي العيش فهو كلام أيضاً حسن، وما قرره من بيان الاصطفاء في الثلاثة أقسام فذلك حق كما قدمناه، لكن قوله: وقد علمت أن التقوى... إلخ حقه أن يقول: إن التقوى يطلق بالمعنى الأعم وهو تقوى الشرك والمعنى الأخص وهو ما ذكر عن البلالي، والبلالي مسبوق بذلك، لأن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: التقوى ألا يراك مولاك حيث نهاك، وألا يفقدك حيث أمرك. وإذا صح ذلك، فسؤالك يتقرر المشكك على الأقسام الثلاثة بالمعنى الأعم والأخص، وأما بالمعنى الأخص وحده فلا يقع المشكك إلا على إفراد القسم الثالث وما قرر بعد ذلك من أن الأمة على ثلاثة أقسام: ثلث يدخلون الجنة... الحديث، وكذلك ما ذكر بعد هذا الكلام لا يمكن أن نقرر فيه الآية على ظاهرها، لأن الحديث المذكور تمسك المرجئة بظاهره، ولا بد من تأويله عندنا قطعاً لأجل إجماعنا.

والشيخ المذكور وكأنه أشار إلى ذلك بقوله: وهذا عام أريد به الخصوص، فإذا قصد هذا فيصح ما ذكره من التخصيص بمن سبقت له مشيئة الله، لكن كون ذلك عاماً أريد به الخصوص ليس كذلك، بل من العام المخصوص، والفرق بينهماواضح عند أرباب الأصول.

وما ذكره الشيخ المذكور أن كلام من ذكر ليس فيه إرجاء وإنما فيه رجاء

صحيح. وما ذكره من فهم الآية هو قريب مما ذكرناه، وإنما لم يجعل كناية كما ذكرناه، وما أشرنا إليه من أن القضية المطلقة أعم القضايا الفعلية، فدليله معلوم عندهم عقلاً، لأن جهة حمل المحمول على الموضوع فيها بالفعل يعم الذات والدوام والزمان والصفات، وكأن الآية عنده من ذلك، والقضية عنها عنده هي قولنا: الأصناف الثلاثة يدخلون الجنة، وهذه القضية لازمة لما ذكر في الآية فهي مطلقة فعلية، فصح الجواب المذكور، وقول هذا الشيخ فكيف يصح حمل هذا لكلام على كلام المرجئة إلى آخره؟وهذا الكلام يحتاج فيه إلى نظر في كلام المرجئة، والفرق بين المرجئة والجبرية، فلا بد أن يراجع.

وأما ما ذكر عن الشيخ الفقيه المفتي أبي العباس المذكور فهو كلام فيه استعمال العلم والتصرف فيه بالقواعد المنطقية وغيرها من الأصول، لكن عندي أن الاستدلال على دعوى أن أحداً من الكفار لا يدخل في الأقسام المذكورة لا يحتاج إليه، لأن ذلك ضروري من الدين ولا يجهل مثله إلا العليل، والنهار لا يفتقر إلى دليل، إلا أن الاستدلال بأول ضرب من الشكل الثاني فيه تأنيس للطلبة وتعليم لكيفية التصرف بالعلم، وذلك حسن. وقد كنت ذات يوم جالساً بمجلس الشيخ الإمام سيدي أبي عبد الله محمد بن عقاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يقرئ التفسير عند قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فقال بعض الحاضرين: يتركّب من هذا قياس حذفت فيه الصغرى، أصلها إنك رسول، والكبرى كل رسول لا يخاف، والنتيجة لا تخف. فقال الشيخ: هذا غير محتاج إليه، ولا يقصد من الآية، وإنما يذكر ذلك للتمرين مع الطلبة. واستدلال الشيخ المذكور على الكبرى بالإجماع قالوا مستنده قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ والمراد بالإشراك الكفر، ليعلم ذلك. وقول الشيخ: لا يقال بين الاصطفاء والظلم منع الجمع ..إلى آخره جواب حسن لكن فيه ما يبحث معه فيه ويناقش لعلوّ علمه، فإنه اختار أن الظلم لنفسه في العاصي مجاز، وهومقيّد، وقد ذكر في الآية مقيداً أفلا يدخل تحته ظلم الكفر؟ لأنه لم يقل في الآية منهم ظالم

الذي هو أعم منهما، فتأمله مع ما ذكر من الأقسام الثلاثة ثم ما تقع المناقشة به، إن الظالم الذي لم يقيد يقع العموم فيه، فإن صح ذلك فيكون منع خلو لا منع جمع، لأن المصطفى مع الظالم بينهما عموم وخصوص، وربما يقال: ذكر في الآية ما يصلح أن يكون جواباً عن سؤال على تسليم إن الظالم لنفسه أعم، فيقال: إن الآية ذكر فيها: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهذه مهملة في قوة الجزئية، ولم يقل فيها فمنهم كل ظالم لنفسه فما سر ذلك؟ فيقال في الجواب: لو قيل كذلك لكان قسيم الشيء قسماً منه، وما اختاره الشيخ المذكور من أن إطلاق الظلم في حق المؤمن إذا عصى مجاز وعيّنه بما ذكر فيه ما يبحث. أما ما ذكره من دليل الآية في قوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فالنص للمذكور، ولا يعين الحقيقة في ظلم الكافر، بل ذلك أعم والأعم لا إشعار له بالدلالة على أخصه المعين، وبيان الأعمية أن الحصر مفهم لأحد معنيين: إما لأنه لا يصدق حقيقة إلا بمعنى الكفر، أو لا يصدق قوة إلا على الكفر كما تقول: ما البياض إلا في الثلج، فلا ينبغي صادقية البياض عن العاج، ثم إن قوله إنه مجاز في المعصية فهو مردود، وكيف يصح؟ مع أن أرباب اللغة وأصول الشرع ذكروا أن الظلم وضع الشيء في غير محله.

فإذا قلت: ظلم فلان فلاناً أي أخذ له مالاً من غير وجهه، فأخذه المال من غير وجهه ظلم، لأنه وضع الشيء في غير محله، والكافر ظلم نفسه بكفره كذلك، والمؤمن ظلم نفسه بمعصيته كذلك، فإن ثبت ذلك في أصل اللغة بالوضع، فالأصل أن الواضع وضع ذلك للماهية المطلقة أو لواحد من أفرادها من غير تعيين، على الخلاف في الوضع لأي شيء وقع وعليه بنوا الفرق بين علم الجنس واسم الجنس، وإذا صح ذلك فذلك إما للقدر المشترك، وإما من باب المشكك على القول به. وعليه بنى البخاري كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «باب ظلم ذوي القربى» وسلموه له.

وأيضاً إن سلم أن الوضع إنما هو لظلم الكفر فغلبة استعمال الشرع الظلم

في أهل المعاصي من أهلالإيمان تترى فيه مرة بعد أخرى والغلبة في مثل ذلك تصيره حقيقة شرعية أو عرفية، ولو لم يكن من ذلك في الدليل إلا فهم الصحابة ﷺ الكاملين في فهمهم وفصاحتهم ومداركهم عن الله ورسوله، وذلك حيث أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ لما سمعوا الآية شق ذلك عليهم فقالوا للنبي ﷺ: وأينا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ فما معناه في الحديث؟ فأجابهم الصادق المصدوق المبلغ عن الله الفاهم عنه نبي الرحمة الكاشف للغمة، فقال: (ليس الأمر كما تظنون) فأرشدهم إلى قوله تعالى في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ على معنى ما وقع في البخاري وغيره. فإيراد الصحابة السؤال ﷺ إنما أوردوه بناء منهم على أن إطلاق ظلم النفس من العاصي حقيقة، فلذلك قالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ وأقرهم نبينا ﷺ في فهمهم أن إطلاق الظلم في حق الله من غير المعصوم قلَّ أن يسلم منه أحد، وأجابهم بأن المراد بالظلم المذكور في الآية هو ظلم الكفر، فذلك يدل على أن الظلم يصدق في الاستعمال الشرعي على معنيين، وأن القصد أخص معنيه، وما قررنا به فهم الآية التي ذكرها النبي ﷺ هو التحقيق الذي كان يمر لنا عند المشايخ.

وكلام صاحب «الكشاف» هناك كاد أن يكون كفراً نعوذ بالله من فهمه، وقد أشرنا إليه في الشرح على كتاب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فما ذكرناه كأنه يرجح ما اخترناه من إطلاق ظلم النفس في حق المذنب العاصي حقيقة.

لا يقال: لعل الصحابة ﷺ فهموا المجاز، وأصله لم يلبسوا إيمانهم بظلم كفر ولا بظلم المعصية الشبيهة بالكفر، والنكرة بعد النفي عامة فشق عليهم أنهم يتشبهون بظلم الكفر وإن كان ذلك مجازاً في الإطلاق، فالمعنى لم تقع منهم معصية حقيقة ولا مجازاً وذلك كافٍ، لأنا نقول ذلك يبعد من وجوه:

الأول: أنه يلزم تعميم اللفظ في الحقيقة والمجاز وهو مجاز، والأصل عدمه.

الثاني: أنهم لم يقولوا أينا لم يتشبه بل لم يظلم، والأصل الحقيقة.

الثالث: تقرير النبي ﷺ ذلك على ظاهره ولم ينكر الظاهر في الإطلاق، والأصل الحقيقة، ولو كان مجازاً لبين لهم ذلك. وما ذكره الشيخ المذكور في ترجيح المجاز ذكر مثله أرباب الأصول. وما أورد على ذلك أشار إليه الفخر، وما أورد على الإيراد فليبحث.

والجواب الحق عن ذلك الإيراد أن ذلك إذا كان تجويزاً أو احتمالاً ضعيفاً من غير استناد إلى ما يرجع في أمر ثبت فيه الاشتراك بالوضع في حقائق خارجية، كالعين مثلاً، وأما إن ذكر في ذلك ما يرجح الدعوى من الاستعمال أو قرائن في قدر مشترك، فيرجح بذلك بلا ريب.

وقد وقع للشيخ الإمام الشيخ ابن عرفة شيخ شيوخنا ـ أسكنه الله دار السلام ـ في كتاب «الإيمان»وفي كتاب«العدة»من مختصره لما تكلم على الحقائق الشرعية، ما وقع للأشياخ البحث فيه وأشرنا إليه في شرح الحدود وذكرنا فيه ما يبحث به هنا، وما ذكرناه هو الذي اعتمد عليه، فإن المؤمن يقال له عاص إذا عصى حقيقة وإذا ظلم نفسه حقيقة، وما رجح به المجاز من التقييد قد وقع التقييد به في الكفر في آيات مثل قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ وهي في أهل الكفر بإجماع، فتأمله. وما ذكره الشيخ المذكور في علاقة المجاز وقرينته، لا بد من التأمل فيه في محل شروط العلاقة وذلك قريب.

فإن قلت: إذا تحققت أن الوضع يقع للماهية المطلقة، فحيث أطلق الظلم على ظلم النفس الشخصية، هل يكون مجازاً؟ لأن ذلك من إطلاق الأعم وإرادة الأخص.

قلت: هذا توهمه بعضهم في فصل الاستعارة وحقق المحققون خلافه، وإنك إذا قلت رأيت إنساناً وقد رأيت شخصاً من غير قيد خصوصية، فذلك الإطلاق حقيقة، كذلك ذكر المحقق التفتازاني وصوبه غير واحد.

ولا يقال: إن القول بأن الظالم لنفسه حقيقة، يلزم منه قول المعتزلة لأنهم

صيروا ذلك بمنزلة لازم الكفر في الإحباط وذهاب اسم الإيمان، لأنا نقول: قد قلنا إن ذلك لا يلزم بوجه، لأن نور الإيمان إذا وجد لا يطفأ بظلمة الظلم والعصيان، وأصل المعتزلة باطل قطعاً، وما ذكره الشيخ المذكور بعد مما نسبه إلى بعض الناس لم أر في كلامه ذلك التعيين، وإنما معناه ما قررناه لا ما قرره عنه، على أن الشيخ صادف الحق بعد ذلك وذكر ما يجب تأويله، غفر الله للجميع وسامحنا وحفظنا من الخطأ والزلل في القول والاعتقاد والعمل، وما ذكره الشيخ عن المفسِّرين من العبارات صحيح ولها معان وأسرار في كل عبارة، ولأهل التصوف فيها فوائد أوردوها عن صفى زلالة الإخلاص على طريق أهل الفتح من الخواص، ولنشر إلى نكتة تتم بها الفائدة للناظر والمذاكرة مع أهل التذكرة وأهل المنابر.

وقد رأيت للشيخ الإمام الصالح العالم العلامة أبي عبدالله محمد المواق تأليفاً على الآية بعثه لي لنتأمله، فرأيت فيه كلاماً حسناً ونكتاً ومعانٍ أصولية ومسائل فقهية، فعلمت أن الرجل من أهل العلم والفهم، والتخلق بطريق السلف الصالح، فكتبت له بما ظهر لي ووعدته بتقييد على الآية بما عندي.

فلنشر إلى بعض ما ذكره في الآية الكريمة من الأسئلة التي يحتاج إليها كل طالب يطلب الفهم في كتاب الله ويتشوق إلى معاني أسرار رسول الله ﷺ.

أسئلة عشرون تتعلق بالآية الكريمة ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾:

- **السؤال الأول**: ما سر التعبير بـ﴿ ثُمَّ ﴾ ولم يكن بذلك لغيرها من الأحرف، وقد وقع الفرق بين معانيها؟

- **السؤال الثاني**: ما سر التعبير بالوراثة ولم يقل آتيناهم وقد قال في الآيات ﴿ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟

- **السؤال الثالث**: هلا قيل الذين اخترنا من عبادنا؟ وهل فرق بين الاصطفاء والاختيار؟ وقد قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾.

• **السؤال الرابع**: ما سر قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾، وقال ﷺ: «**أهل الله حملة القرآن وخاصته**»، وعبر بالقرآن في كثير من الآيات.

• **السؤال الخامس**: ما سر التعبير بالموصول ولم يقل المصطفين من عبادنا كما قال: ﴿لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

• **السؤال السادس**: ما سر التعبير بالعباد ولم يقل بالعبيد؟

• **السؤال السابع**: ما سر تقديم الظالم لنفسه؟ والعرب يقدمون ما هو أغنى وأهم، والسابق بالخيرات معلوم العناية عند الله.

• **السؤال الثامن**: ما سر التقييد في السابق بالخيرات بقول: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل ذلك في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾.

• **السؤال التاسع**: ما سر التقييد بقوله ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ في القسم الأخير؟ ولم يقيد بمثل ذلك في باقي الأقسام؟

• **السؤال العاشر**: ما سر قوله ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولم يقل كتابنا كما قال قبلها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾.

• **السؤال الحادي عشر**: كيف يتقرر معنى الوراثة وترتيبها بعد ذكر الجهل قبلها، وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؟

• **السؤال الثاني عشر**: ما سر قوله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ولم يقل أولئك هم أهل الفضل الكبير، كما قال في قوله ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الآية؟

• **السؤال الثالث عشر**: ما سر ذكر هذه الجملة وتقديمها على التي بعدها في قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾؟

• **السؤال الرابع عشر**: ما سر التعبير بالفضل ولم يعبر بالفوز، كما قال في غيرها: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؟

• **السؤال الخامس عشر**: ما سر التعبير بقوله الكبير ولم يقل الأكبر؟ مع أن الآية ذكرت في فضل الأمة وثوابها أكثر الثواب.

• **السؤال السادس عشر**: ما سر التعبير في الآية بالمضارع ولم يعبر بالماضي؟ كما قيل في قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة**» وإن كان ذلك جرى على الأصل في الآية، لكن تلوين العبارة في الآية مع الحديث ما سره؟

• **السؤال السابع عشر**: ما سر التقديم في ذكر تحليتهم في الجنة على لباسهم، مع أن اللباس عادة يكون قبل التحلية، والخطابُ يكون على ما جرى في عرف المخاطبة من الذي جرت العادة به في الدنيا.

• **السؤال الثامن عشر**: ما سر قولهم في إذهاب الحزن عنهم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وهل قالوا: إن ربنا لغفور رحيم؟

• **السؤال التاسع عشر**: إن الله تعالى ذكر قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ فهلا قالوا هنا: إن ربنا لخبير بصير بنا وبأعمالنا؟

• **السؤال الموفي عشرين**: ما ذكره المفسرون في معنى الآية وسبب نزولها، وما قاله الجمهور فيها مشهور معلوم، وهل يمكن أن يقال إن الآية معناها خاص بأهل تلاوة القرآن، وهم حفاظه وهم أقسام ثلاث: سابق في حفظه وعلمه وعمله به، ومقتصد، وظالم لنفسه، وقد يؤخذ ذلك من كلام من ذكر فضل القرآن وألف فيه، وذكر الآية في فضل أهل كتاب الله تعالى ولم يبعد عندي ذلك. وإذا تحقق ذلك فلا تخصيص في الآية ولا إشكال فيها، ويكون الدخول أولياً في طائفة من أهل الإيمان في الثلاثة الأقسام منهم وهذا لا نمنعه، لأن القرآن شافع مشفع لأهله، لكن يقال: لا بد من تخصيص الآية بما ورد في بعض من حفظ القرآن ولم يعمل به، وأنه لا بد له من الوعيد والورود للنار.

فهذا بعض ما يورد من الأسئلة، والكلام على كل سؤال منها يحتاج إلى

طول كثير، ولم أنظر كلام الشراح، حين الكتابة وأنظر إن شاء الله تعالى، لكن نختصر بالإشارة إلى الأجوبة من غير إكثار والله المستعان وعليه التكلان، سأمضي على شرطي وبالله أكتفي، وما خاب ذو جد إذ هو حسبي ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾[1]، **قلتُ**: ثم أورد الأجوبة عن تلك الأسئلة التي فاقت العشرين سؤالا، وأجاب عليها باقتضاب، والعجيب أني وقعت على مخطوط الإمام الجمالي الميلي أورد فيه نفس الأسئلة وأجاب عليها، ولم يشر إلى نقله من الإمام محمد المواق، بل نسب الأسئلة لنفسه، وسيتطرق لها في حينها من أعلام التفسير في الجزائر زمن العهد العثماني.

ملاحظة:

تجدر الإشارة إلى أن أئمة كبارا قد صُنِّفوا كأعلام في التفسير وعلومه من طرف بعض الباحثين، ولم أجد ما يؤيد تلك النسبة وهذا التوصيف ولم يدخلوا ضمن ضوابط المفسِّرين التي حُدِّدت في بداية المحاور ولا بواحد منها، كالإمام محمد بن الحسن القلعي، أبو عبد الله[2] (ت:673هـ)[3]، والإمامأبو إسحاق بن

(1) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي وجماعة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دط، ت:1981م، ج:01، ص:383-395.

(2) أبو عبد الله، التميمي القلعي: نحوي، عالم بالأدب، له نظم جيد، نسبته الى قلعة بني حماد وكان جده ميمون قاضيا فيها. نشأ بمدينة الجزائر وأخذ عن محمد بن منداس وغيره، وانتقل الى بجاية فاستوطنها، وبها برع واشتهر، أخذ عنه أحمد الغبريني مات ببجاية. له «الموضح في علم النحو» و«حدق العيون في تنقيح القانون» و«نشر الخفي». توفي ببجاية. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:1، ص:267. «**تعريف الخلف**»، ج:2، ص:357.

(3) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01، ت:2012م، ج:2، ص:358.

العرافة البجائي[1] (ت: 675هـ) والإمامأحمد بن أحمد الغبريني أبوالعباس[2] (ت: 704هـ).

(1) ابن العرافة أبو إسحاق، الشيخ الفقيه، الخطيب العارف المحصل، كان له منصب وحظ ووجاهة وتخصيص، وولي صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم من بجاية، وكان معتكفا على ما هو بسبيله منزويا عن الناس، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه، وكان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرواية والدراية. انظر: «**عنوان الدّراية**»، ج:01، ص:256. و«**المفسرون الجزائريون عبر القرون**»، ج:1، ص:83.

(2) أحمد بن أحمد وقيل: محمد بن علي، أبو العباس، الغبريني: قاض، مؤرخ، له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والعربية والمنطق، من كبار فقهاء المالكية. نسبته إلى «بني غبري» بطن من قبائله الأمازيغ في أعلى وادي سباو. نشأ في بجاية وتعلم بها وبتونس، وبلغ عدد الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم نحو السبعين شيخا من أعلام المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس. ولي قضاء بجاية، استوحش منه السلطان وتقبض عليه، ثم أغروه بقتله فقتل بمحبسه سنته تلك، وتولى قتله منصور التركي. من آثاره: «عنوان الدراية». انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:1، ص:248-249. «**معجم المؤلفين**»، ج:1، ص:151.

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور التاسع:

التفسير والمفسِّرون الجزائريون

زمن الدولة الزيانية

ت س: 957 هـ

أعلام التفسير في الجزائر المحروسة

المحور التاسع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الزيانية ت س:957هـ:

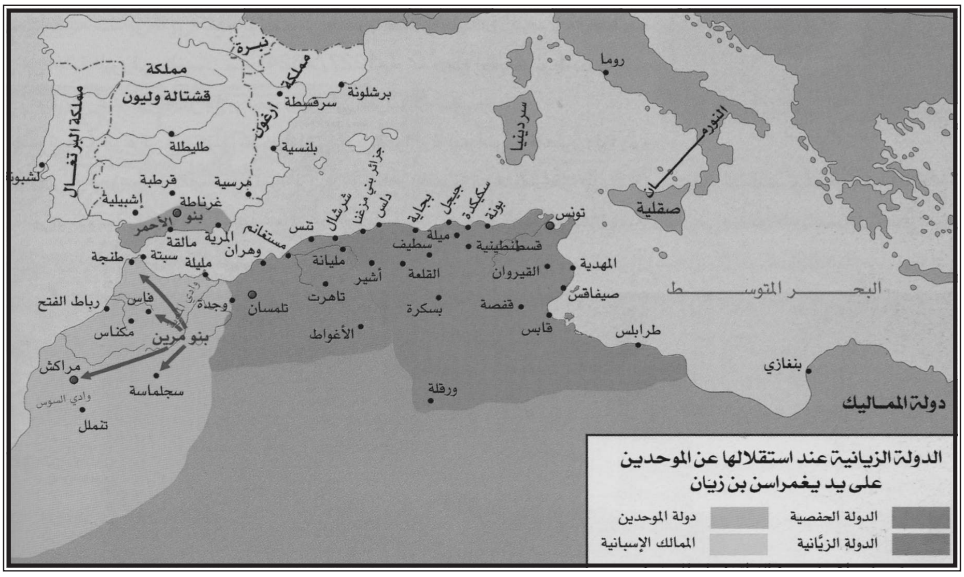

بعد سقوط الدولة الموحدية بمراكش على يد المرينيين وإعلان الدولة الحفصية بتونس، أعلن بنو عبد الواد بزعامة قائدهم أبو سعيد إيغمراسن بن زيان[1] سنة: **633**هـ دولتهم واستقلالهم عن الموحدين وتأسيسهم الدولة الزيانية التي جعلوا تلمسان عاصمة لها، ولم تُرسم وتَظهر حدودها الجغرافية بدقة واستمرارية، بل عرفت تغيرات ورسومات متنوعة بسبب الاضطرابات والثورات وحركة المد والجزر الجغرافي بينهم وبين المرينيين من جهة والحفصيين من جهة أخرى.

(1) وهم من قبيلة زناتة البربرية الكبيرة.

حاصر المرينيون تلمسان سنة 737هـ، ودخلوها واستولوا عليها قرابة 23 سنة، فانتهت مؤقتا دولة الزيانيين التي دامت قرنا و04 سنوات، وفي سنة 760هـ جهز أبو حمو الزياني جندا من تونس واستطاع إعادة تلمسان من جديد، وأقام دولته وبدأ في التوسع شرقا وغربا، وفيها أنشد الخليفة أبو حمو موسى الثاني قائلا:

وجبتُ الفيافي بلدة بعد بلدة وطوَّعتُ فيها كل باغٍ وباغمٍ

وجئتُ لأرض الزاب تذرف أدمعي لتذكري أطلال الربوعِ الطواسمِ

وتكررت الثورات والحروب على حاضرة تلمسان من طرف المرينيين الذين دخلوها وخرجوا منها مرات ومرات، ثم تَدخل الحفصيون، وباتت تلمسان مسرحا للحروب والاقتتال بين الأشقاء، واشتهرت بالدولة التي يكثر فيها قتل الأبناء للآباء، حتى أعطى أبو حمو الثالث ولاءه للإسبان مقابل بقائه خليفة على تلمسان، وكان الإسبان قد احتلوا وهران ومستغانم ودلس، فأمدوه بالقوة العسكرية لمحاربة أعدائه الذين هم أعداؤهم، حتى استنجد أهل تلمسان بالإخوة خير الدين وعروج، **وهنا محطة دخول العنصر التركي العثماني**.

استطاع القائد عروج أن يدخل تلمسان بعد فرار أبي حمو الثالث لوهرانالتي كانت تحت حكم الإسبان، فأمدوه بقوة كبيرة أعلن بها الحرب على عروج وانتهت بقتل عروج واستعاد خلافة تلمسان، وتوالت الأحداث حتى وصول حسن باشا بن خير الدين الذي تمكن من دخول تلمسان وابتداء حكم الأتراك فيها وجعلِها تحت نفوذ الدولة العثمانية نهائيا، ومنه القضاء على حكم الزيانيين فيها.

أحداثٌ كبيرة لسنوات طويلة دامت لقرون، كان فيها مظهر الحروب والثورات والانقلابات والدسائس والخيانة واضحا ظاهرا جليا، وهو ما يضفي حتما بظلاله على الواقع المعرفي الثقافي إبان تلك المرحلة، وعلى العلماء والمشايخ والمفكرين وصناع المسار التعليمي فيها، غير أن تميز الخلفاء في

الدولة الزيانية بحب العلم والعلماء وظهور بعض الخلفاء كطلبة علم كان منقذا لتلك المرحلة، إذ يذكرون في ترجمة مؤسسها الأول أنه كان «مولعا بالعلماء يستقدمهم ويحثهم على إعمار تلمسان والتدريس فيها»[1]، والسلطان أبو تاشفين بن أبي حمو الأول الذي كانت مجالسه عامرة بالمناظرة بين العلماء وكان ملتزما بالحضور في هاته المجالس، يستمع لما يبث فيها من علم وما يثار فيها من مناقشات، و كان فيها من رحابة الصدر ما يسر للصبية حضورها ومناقشة العلماء فيها[2]، وقد حكى ابن الخطيب في مصنفه «الإحاطة» بعض المجالس التي كان يعقدها ويحضرها، حتى أنه جعله في مصاف العلماء، «ويشهد لاحتفائه بالعلم وتقديره لأهله، أنه لما بنى مدرسته قدَّم للتدريس فيها الشريف أبا عبد الله، وحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، فلما انقضى المجلس أشهد تلك الأوقاف وكسا طلبتها كلهم وأطعم الناس، وطوَّل الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله المذكور تفسير القرآن العزيز فيها، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيه الناس وكان موسما عظيما»[3].

كل ذلك وغيره دلائلُ على احتفاء الخلفاء الزيانيين بالعلم وأهله، وأن الإنتاج المعرفي الثقافي في تلك المرحلة بما فيه المنتوج التفسيري تدريسا أو تأليفا، كان يُلقَّب عند دارسي العهد العثماني **بالتركة المعرفية الزيانية**، إذ يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذ يعتبر ـ القرن التاسع ـ من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء والمؤلفات... وكثير من إنتاج القرن التاسع ظل موضع عناية القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك... وذلك باعتباره التركة التي وَرِثَها العهد

(1) **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، عبد الجليل قريان، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:01، ت:2011م، ص:73.

(2) نفس المرجع، ص:73.

(3) نفس المرجع، ص:75.

العثماني، والذي هو في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين، وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر»[1].

ومن أعلام تلك المرحلة ـ الممتدة زمنيا ـ في التفسير وعلومه بحاضرة تلمسان خصوصا وباقي الحواضر ما يلي:

- **أولا: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو زيد، ابن الإمام (ت: 741هـ):**

الشيخ الإمام عبد الرحمن المشهور **بابن الإمام** البرشكي، فقيه مالكي، من مواليد مدينة «برشك» ـ بين تنس وشرشال ـ حلَّاه نويهض بالقول: «أجمع كُتَّاب التراجم والسير بالمغرب العربي الكبير أنه كان من أشهر علماء عصره، ولم يكن فيه أعظم رتبة ولا أعلم منه»[2]، والتنبكتي **بشيخ الإسلام** الإمام العلامةالمجتهد أبي زيد ابن الإمام[3]، والإمام العلامة الجليل الكبير المجتهد الشهير[4]، ووصفه ابن فرحون في «الديباج»بشيخ المالكية بتلمسان، العلاَّمة الأوحد[5]، دخل حاضرة تونس وأخذ عن شيوخها وأعلامها ثم رحل إلى بلاد الشام، يقولالإمام المقري عن شيخه ابن الإمام وعن أخيه عيسى أبو موسى المشهور أيضا بابن الإمام: «ورحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة فلقيا علاء الدين القونوي[6] وكان بحيث لا نظير له، ولقيا أيضًا

(1) **تاريخ الجزائر الثقافي**، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص:39.

(2) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:22.

(3) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:53-54.

(4) نفس المرجع، ج:01، ص:245.

(5) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون، ج:01، ص:486.

(6) علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية سنة:668هـ، نزل بدمشق سنة 693هـ وانتقل إلى القاهرة، فتصوف، وتلقى علوم الأدب الفقه. ثم ولي قضاء الشام سنة 727هـ فأقام بدمشق إلى أن توفي بها سنة:729هـ. له «شرح الحاوي الصغير» فقه، و«الابتهاج في انتخاب المنهاج» و«التصرف في التصوف». انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:01، ص:264.

الجلال القزويني[1] صاحب«التلخيص»[2]، وسمعا البخاري على الحجار[3]، وقد سمعت أنا عليهما، وناظرا التقي بن تيمية فظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته»[4].

ومما يوحي بذيوع صيتهما وانتشاره ما حكاه الإمام المقري أيضا عند زيارته لبيت المقدس إذ يقول: «وكانا يذهبان إلى الاجتهاد وترك التقليد، وحسبك ما صار لهما من الصيت بالمشرق، ولما حللت ببيت المقدس وعُرف مكاني من الطلب وتناظرت مع بعضهم، أتى إليّ بعض المغاربة فقال لي: إن مكانك في النفوس مكين، وقدرك عندهم رفيع، وأنا أعلم أخذك عن ابني الإمام، فإن سُئلت فانتسب إليهما وقل: سمعتُ منهما وأخذتُ عنهما، ولا تعدل عنهما فتضع من قدرك، فما أنت عند هؤلاء الناس إلا خليفتهما، وأن الأمر فوقهما... وكان أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين يخشون الله»[5].

عاد ابن الإمام إلى مدينة الجزائر يبث بها العلم ويعقد المجالس، ومنها انتقل إلى حاضرة مليانة ـ عين الدفلى ـ فتلمسان أين «اغتبط به السلطان أبو حمو موسى الأول وابتنى له مدرسة أقام يدرِّس فيها إلى أن استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة:737هـ فأدنى مجلسه وخصَّه بالتكريم والاحترام»، وقد تتلمذ على يد الشيخ ابن الإمام ثلة من أعلام الجزائر كالشريف

(1) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعيّ، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجليّ: قاض، أصله من قزوين، ومولده بالموصل سنة:666هـ. ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة 724هـ فقضاء القضاة بمصر ثم الشام، فاستمر إلى أن توفي سنة:739هـ. من كتبه «تلخيص المفتاح» في المعاني والبيان، و«الإيضاح» في شرح التلخيص، و«السور المرجاني من شعر الأرجاني». انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:06، ص:192.

(2) يريد: **تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع**، للخطيب القزويني (ت:739هـ).

(3) أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحجار، أبو العباس، ولد سنة 624هـ تقريبا وتوفي سنة:730هـ. انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**» ابن حجر، ج:01، ص:165.

(4) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:245.

(5) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:246.

التلمساني والمقري وأبي عثمان العقباني والخطيب ابن مرزوق الجد وأبيه وعمه وآخرون[1].

ذكر ابن فرحون أن له «التصانيف المفيدة والعلوم النفيسة»، غير أني لم أجد له من آثاره غير «شرح على ابن الحاجب الفرعي» ذكره كل من ترجم له، وقد توفي الإمام سنة: 741هـ بتلمسان ودفن بها.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم يذكر لابن الإمام اهتمام بالتصنيف في التفسير وعلومه، وكل من ترجم له ذكر اهتمامه بخدمة التفسير تدريسا، وذلك في مدرسته التي ابتناها له السلطان أبو حمو موسى الأول الزياني، والتي كان يدرِّس فيها العلوم، وكان التفسير أحدها، ذكر التنبكتي في ترجمة الإمام الشريف التلمساني أنه «حضر يومًا **مجلس أبي زيد ابن الإمام في تفسير القرآن**، فذكر نعيم الجنة، فقال له الشريف وهو صبي: هل يُقرأ فيها العلم؟ قال له: نعم، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فقال له: لو قلت: لا لقلت لك: لا لذة فيها، فعجب منه الشيخ ودلَّه»[2].

كما ذكر الإمام المقري في «نفح الطيب» أن ابن الإمامذَكر يوما في مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال: 23]، فإنهما تستلزمان بحكم الإنتاج، لو علم الله فيهم خيرا لتولوا، وهو محال، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم[3]. ثم أورد جواب ابن الحكم[4] على هذا الاستشكال.

---

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:248. وستأتي تراجمهم ضمن أعلام التفسير زمن الزيانيين.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:430.

(3) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، شهاب الدين أحمد المقري، ج:5، ص:225.

(4) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حكم السلوي، ورد تلمسان بعد العشرين، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دخلت على بني عبد الواد، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة. انظر: «**نفح الطيب**»،

ثانيا: محمد بن محمد بن عبد الرحمن المَقَّرِي التلمساني، أبو عبد الله (ت: 759هـ):

الإمام الشيخ أبو عبد الله المقَّري التلمساني، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة، كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وكذا الونشريسي وزاد أنها قرية من قرى بلاد الزاب[1] من إفريقية سكنها سلفه ثم تحولوا لتلمسان[2]، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته، ولد ونشأ بتلمسان أيام أبي حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيّان، حلاَّه في «شجرة النور» بالقول: «الإمام العلامة المحقق القدوة الفهامة، الفقيه الأصولي الحجة النَّظار المتحلي بالوقار، أحد محققي المذهب الثقات وأكابر فحوله الأثبات، العمدة المتفنن في العلوم، الحامل لواء المنثور والمنظوم»[3]، ووصفه تلميذه ابن الخطيب بالقول: «كان مشارًا إليه اجتهادًا ودؤوبا وحفظًا وعناية واطلاعًا ونقلًا ونزاهة، سليم الصدر، قريب الغور، صادق القول»[4].

تعلم الإمام المقري وأخذ في بداية أمره عن أعلام الحاضرة التلمسانية كالإمام أبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام، وأخيه أبي موسى عيسى، وأبي موسى عمران المشذالي[5]

ج:5، ص:224.

(1) **قلتُ**: هي بلدية مَقْرَة -بثلاث فوق القاف- حاليا، التابعة إداريا لولاية المسيلة، ولابن مرزوق الحفيد كتاب في ترجمته سماه «النور البدري في التعريف بالفقيه المقري» ضبطه فيه بفتح الميم وسكون القاف، وهي لغة ثانية في اسم (مقر) البلدة التي نسب إليها هو وحفيده. انظر ترجمته في «**الأعلام**» للزركلي، ج:07، ص:37.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:420.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:334.

(4) **الإحاطة بأخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، ج:02، ص:118.

(5) أبو موسى عمران بن موسى المشذالي: صهر الناصر المشذالي الفقيه الحافظ العالم الكبير المحقق العمدة الشهير أخذ عن أئمة منهم صهره المذكور، وعنه جماعة منهم الإمام المقري له رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة وفتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في معياره، مولده سنة 670هـ وتوفي سنة 745هـ. انظر: «**شجرة النور**»، ج:01، ص:316.

وأبي عبد الله محمد الآبلي[1]، ثم رحل إلى حاضرة بجاية مشرّقا، فلقي بها جلّة من الأعلام منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ابن المسفّر[2]، وأبو عبد الله محمد بن أبي يوسف يعقوب الزّواوي[3] وآخرون، ثم ارتحل لحاضرة تونس فأخذ عن الشيخ محمد الأجمي[4] وابن هارون[5] وآخرون، ثم حجّ فلقي بمكة أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التّوزري المعروف بخليل، وإمام المقام أبا العباس رضيّ الدين الشافعي، وغير واحد من الزّائرين والمجاورين وأهل البلد، ثم دخل الشام فلقي بدمشق شمس الدين بن قيّم الجوزية صاحب ابن تيميّة وحكى قصة شرحه حديث: (من مات له ثلاث من الولد كانوا له حجابا من النار)، وصدر الدين الغماري المالكي، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم، ثم رحل نحو بيت المقدس فلقي أبا عبد

(1) محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي، أبو عبد الله: شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، وأحد أساتذة ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب. ولد بتلمسان سنة:681هـ، وأصله أندلسي من مدينة آبلة **Avilla** في الشمال الغربي لمدينة مدريد، وعكف على تحصيل العلم وتدريسه، رحل إلى المشرق وحج، ولقي كثيرا من العلماء. وعاد إلى تلمسان ثم اندمج في طبقة العلماء، توفي بتلمسان سنة:757هـ. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**» لنويهض، ج:01، ص:12.

(2) تمت ترجمته سابقا.

(3) محمد بن يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي البجائي أبو عبد اللّه يعرف بالزواوي، كان حافظًا فقيهًا مستبحرًا في حفظ المسائل والفروع، ولي قضاء بجاية ثم أخر عنه، وكان صديقًا للناصر المشذالي، توفي سنة:730هـ، أقرأ فرائض مختصر ابن الحاجب بحضرة جماعة. أخذ عن والده وعن الشيخ المحدّث أبي محمد عبد العزيز بن مخلوف بن كحيلا وغيرهما. انظر: «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» للتنبكتي، ج:01، ص:390.

(4) محمد الأجمي، أحد فقهاء تونس وقاضي الأنكحة بها، أخذ عنه الإمام المقري، وقال: إنه حافظ فقهائها في وقته، وأخذ عنه أيضًا الخطيب ابن مرزوق وابن عرفة ونقل عنه في مختصره قصة في أجرة الشهادة. توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. انظر: «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» للتنبكتي، ج:01، ص:405.

(5) محمد بن هارون الكناني التونسي الإمام العلامة الحافظ أحد مجتهدي المذهب، وصفه ابن عرفة ببلوغه درجة الاجتهاد المذهبي، له تآليف كشرح مختصرَيْ ابن الحاجب الأصلي والفرعي، ووقع بينه وبين ابن عبد السلام نزاع في مسائل، تولى القضاء بغير تونس، أخذ عنه الأئمة كالمقّري والخطيب ابن مرزوق وابن عرفة وخالد البلوي وذكره في رحلته وبالغ في ثنائه، توفي سنة:750هـ. انظر: «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» للتنبكتي، ج:01، ص:407.

الله بن مثبت والقاضي شمس الدين بن سالم، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان، وغيرهم كثير[1].

أقرأ الإمام المقَّرِي ببلدته مَقَّرَة إلى أن خرج صحبة الملك المتوكل أبي عنان أمير فاس عام: 749هـ إلى مدينة فاس المحروسة فولَّاه القضاء، فنهض بأعبائه علما وعملا وحمدت سيرته[2]، إلى أن توفي وهو قاض بها.

وقد أخذ عنه الخلق الكثير وتتلمذ على يديه أعلام مشتهرون كالإمام الشاطبي ولسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون وغيرهم.

ذكر غير واحد أن الإمام المَقَّرِيتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم سنة: 759هـ، ونُقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان.

- **من تصانيفه وآثاره:**

«رسالة في ولادة النبي ﷺ» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: 02121-11.

«القواعد» في الفقه، وهو مطبوع بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، تحقيق ودراسة: أحمد بن عبد الله بن حميد.

«عمل من طبَّ لمن حبَّ» منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط، بالمغرب، رقم حفظ: 2687/ م.

«الحقائق والرقائق» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموع رقم حفظ: 2705.

«حاشية على مختصر ابن الحاجب».

---

(1) ذكر شيوخه بإسهاب ابن الخطيب في «الإحاطة» وقد ترجم له ترجمة مطولة مسهبة فلتنظر في ج:02، ص:116/144.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:297.

و«لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض»و«رحلة المتبتل».

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم للإمام المقَّرِيلم يجعلوا له أي تصنيف في التفسير وعلومه، بل ذكروا أنه خدم التفسير بدروسه التفسيرية التي كان يقيمها في حلقاته بالجوامع والمساجد والمدارس الخاصة والعامة، وصفه ابن الخطيب بالقول: «كان يقوم أتم القيام على العربية والفقه **والتفسير**»، درَّس في مساجد تلمسان ومَقَّرَة وفاس وغيرها وعقد فيها حلقات للتفسير والحديث، ذكر التنبكتي أن الشيخ أبا يحيى المطغري ذكر أنه لما اجتمع العلماء عند أبي عنان ـ أمير فاس ـ أمر الفقيه العالم المَقَّرِي بإقراء التفسير، فامتنع... فقال له السلطان: إنك عالم بعلوم القرآن وأهل لتفسيره فأقرأه[1].

وقد أورد صاحب «البستان»[2] تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[النور: 55]. وكلامه فيها عن التفريق بين الخلافة والملك، وأنه «لم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط إلا خليفة، وأما الملوك فعلى ما ذكرتَ ـ السائل ـ إلا من قلَّ، وغالب أحوالهم غير مرضية»[3].

وتجدر الإشارة إلى الوهم الذي وقع فيه صاحب «هدية العارفين»[4] حينما نسب له كتاب «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من معاني السنة وآي الفرقان» والكتاب هو تفسير الإمام القرطبي المالكي كما هومعروف، وزيادة لفظة «معاني» ليست دليلا في ذلك، فذيع صيت الإمام المقَّرِي يمنع

(1) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:435.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:309.

(3) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:309.

(4) **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد البغدادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دط، ت:1951م، ج:02، ص:160.

المترجمين أن يجتمعوا على ترك هذا التصنيف له لو صح.

ثالثا: محمد بن أحمد بن علي الإِدْرِيسي الحسني، الشَّرِيف التِّلِمْسَاني (ت: 771هـ):

الإمام الشيخ أبو عبد الله العَلويني المعروف بالشريف التلمساني، وعَلوين قرية من أعمال تلمسان، ولد سنة: 710هـ، ونشأ بتلمسان وأخذ عن مشايخها وأعلامهافانتهت إليه إمامتهم بالمغرب، حلَّاه تلميذه ابن مرزوق بالقول: «شيخ شيوخنا وأعلم أهل عصره بإجماع»، وابن مريم في «البستان» بأنه: «إمامها وعالمها بل إمام المغرب قاطبة وعلامته»، اختص بأولاد الإمام أبي زيد وأبي موسى، وتفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام، وكان يحمله خاله إلى مجلس أبي زيد في التفسير وهو صغير، ثم لزم الشيخ الآبلي التلمساني وتضلع من معارفه، كما أخذ عن الشيخ أبي محمد المجاصي وأبو موسى عمران المشذالي، والقاضي أبو الحسن علي بن الرماح وغيرهم.

ثم ارتحل إلى تونس سنة: 740هـ، فلقي الشيخ أبا عبد الله ابن عبد السلام المفسِّر، وحضر في مجالسه التفسيرية، وقد حكى ابن مريم سؤال الشيخ الشريف لشيخه ابن عبد السلام في نوع الذكر المراد في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾، واستعظم الشيخ رتبته في العلم وكان يقول مثنيا عليه: ما أظن أن في المغرب مثل هذا، وكان يخلو بالشريف في بيته ويقرأ عليه فصل التصوف من كتاب «الإشارات»، وفصل التصوف من كتاب «الشفاء» لابن سينا وغيرها، ولقي الشريف بحاضرة تونس أكابر مشايخها كابن عرفة الذي قال للشيخ الشريف: غايتك في العلم لا تدرك، ولما سمع بموته قال: لقد ماتت بموته العلوم العقلية.

رجع الإمام إلى تلمسان وانتصب لتدريس العلم وبثه، فملأ المغرب معارف وتلاميذ، وحينما نهض أبوعنان الفاسي إلى تلمسان وملكها، استخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة، ورحل به إلى فاس، فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى حتى خرج منها سنة: 756هـ،

ولقيه أبو حمو الزياني وأصهر له في ابنته، فزوجها إياه، وبنى له المدرسة اليعقوبية، التي شرع في التدريس فيها سنة: 765هـ، وأقام الشريف يبث العلم بها على أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أخذ عنه جملة من الطلبة والتلاميذ كالإمام الشاطبي وولده الآتي أبو محمد المفسر، وابن خلدون، وابن السكاك، وابن مرزوق الخطيب، وإمام فاس وكبير فقهائها موسى العبدوسي وغيرهم كثير.

- **من تصانيفه الكثيرة المتنوعة:**

«مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول»في أصول الفقه، كتب عليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس شرحا مختصرا، والكتاب مطبوع متداول.

وله عليه «مختصر»، منه نسخة بخزانة القرويين بفاس المغرب، رقم الحفظ: 3/ 1378.

«شرح الجمل في ضبط قواعد المنطق»منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم الحفظ: 1388.

«شرح المعالم في أصول الدين» منه نسخة بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة بتونس، رقم الحفظ: 3/ 43(1374/ 5).

«الوظائف في علم المنطق» منه نسخة بشستربيتي بإيرلندا، دبلن، رقم الحفظ: 6/ 4796 (6).

«مثارات الغلط في الأدلة» في أصول الفقه، منه نسخة بخزانة ابن يوسف بالمغرب، مراكش، رقم الحفظ: 491/ 2,168/ 2. وقد قام الشيخ الدكتور محمد علي فركوس بتحقيق هذا الكتاب ودراسته جمعا مع «مفتاح الوصول»، وقد طبع سنة: 1998م بالمكتبة المكية بمكة.

وللإمام الونشريسي(ت: 914هـ) صاحب «المعيار» جزء في ترجمة الإمام الشريف التلمساني سمَّاه «القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف»

منه نسخة بمكتبة المسجد النبوي، 77ق، 21س، برقم حفظ: 80/ 133(3). رقم الحاسب: 3810، رقم الفلم: 21.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كل من ترجم للإمام الشريف التلمساني ذكر مساهمته في التفسير وقيامه عليه بالتدريس، ولم يذكرله أي تأليف فيه أو في علومه، وقد أقام دروسه التفسيرية بالمدرسة اليعقوبية التي أنشأها له أبو حمو الزياني.

وفي ترجمة ابنه أبي محمد المفسِّر ذكر أنه «حَضر عليه في التفسير من سورة النحل إلى الختم، ومن أوله إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾، وقرأ عليه التفسير أيضًا فاشتغل بكثير من هذه العلوم حياة أبيه الإمام»[1].

وأورد بعض طلبته أنه كان يقرأ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم[2]، ولما كانت سنة وفاته وصل في التفسير إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: 171] فمرض نحو ثمانية عشر يوما ثم مات[3].

وذكر ابن مريم أن الشريف التلمساني فسَّر القرآن الكريم كاملا في خمس وعشرين سنة، وكان مجلسه عظيما يحضر فيه الملوك والحكام والولاة والعلماء والصلحاء وصدور الطلبة لا يتخلف منهم أحد[4]، وذكروا أنه كان «عالما بقراءته ورواياته وفنون علومه، من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها»[5].

قال الشيخ أبو يحيى المطغري[6]: لما اجتمع العلماء عند أبي عنان أمر

(1) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:226.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:327.

(3) نفس المرجع، ص:330.

(4) نفس المرجع، ص:323.

(5) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:436.

(6) **قلت**: هو ليس علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري أبو الحسن المتوفى سنة:951هـ. ولم أجد أبو يحيى المطغري.

الفقيه العالم المقَّرِي بإقراء التفسير فامتنع منه وقال: الشريف أبو عبد الله أولى مني بذلك، فقال له السلطان: تعلم أنت علوم القرآن وأهلُّلتفسيره فأقرئه، فقال له: إن أبا عبد الله أعلمُ بذلك منّي، فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من انصافه، ففسَّر أبو عبد الله بحضرة العلماء كافة في دار السلطان، ونزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير فأتى بما أدهش الحاضرين، حتى قال السلطان عند فراغه: إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره، وجاء إليه القاضي الفشتالي[1] بعد خروجهم فطلب منه تقييد ما صدر منه ذلك اليوم فقال: إنه من كتاب كذا وكذا، وذكر كتبا معروفة عندهم، فعلم القاضي أن الحسن للشنب وأن الأمر غير مكتسب[2].

ولاشتهار الإمام الشريف التلمساني بالعلوم العقلية وإحيائه لها، فيستبعد وصف دروسه التفسيرية أنها ذات مسحة أثرية وبصمة نقلية تميل للمأثور وترجحه، بقدر كونها دروسا تفسيرية يغلب عليها طابع الرأي، وتحرير المسائل اللغوية والفقهية والأصولية فيها. كما أنه قد يكون مهتما بمسائل القراءات واختلافها وأحكام الناسخ والمنسوخ وغيرها، كل ذلك من وصفهم له بأنه كان: «عالما بقراءاته ورواياته وفنون علومه، من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ».

o رابعا: عبد الله بن محمد الإدريسي الحسني التلمساني، أبو محمد (ت: 792هـ):

الإمام الشيخ أبو محمد عبد الله بن الشريف التلمساني، ولد بتلمسان سنة 748هـ ونشأ بها، وكان والده قد بُشر به في النور، رأى قائلا يقول له: يزداد عندك ولدٌ عالمٌ لا تموت حتى تراه يقرئ العلم، فكان كذلك[3]، من أكابر

(1) محمد بن أحمد بن عبد الملك، أبو عبد الله الفشتالي: قاضي فاس. من العلماء بفقه المالكية والأدب، وأحد الكتّاب البلغاء في عصره. ولّاه سلطان المغرب قضاء فاس سنة 756هـ وكان يوجهه في السفارة عنه إلى الأندلس. له تآليف في «الوثائق» بفاس، يعرف بوثائق الفشتالي، ولأحمد ابن يحيى الونشريسي تعليق عليه سماه «غنية المعاصر والتالي» توفي سنة:777هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:328.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:435-436.

(3) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:225.

علماء تلمسان ومحققيهم في وقته، حلاَّه التنبكتي بالقول: «الإمام العلاَّمة المحقق الحافظ الجليل المتفنن المتقن»[1]، قرأ القرآن على الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس وأبوه بها حينئذ، حفظ القرآن و«جمل الزجاجي» و«ألفية ابن مالك»، وقرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح ابن حياتي[2] جملة صالحة من «كتاب» سيبويه و«التسهيل»[3] وانتفع به واعتمد عليه، وعلى الخطيب ابن مرزوق جملة من البخاري، وعلى الفقيه أبي عمران العبدوسي[4] جملة من «المدونة»، وعلى الفقيه الصالح أحمد القباب[5] «التلقين»[6] و«الرسالة»[7] و«قصيدة الكفيف» في أصول الدين، وحضر على الشيخ الفقيه

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:225.

(2) محمد بن علي بن حياتي الغافقي، نشأ بغرناطة وقرأ بها ولازم المحقق شيخ الجماعة ابن الفخار البيري، قرأ عليه بالسبع ثمان ختمات وعرض عليه الرسالة حفظا وقرأ عليه كثيرا. وانتقل لفاس وأخذ بها عن الأستاذ أبي العباس اليفرني المكناسي والفقيه قاضي الجماعة ابن عبد الرزاق وغيرهما، ولد سنة ثمانية عشر وسبعمائة، وتوفى يوم الخميس ثامن جمادى الأولى عام ثمان وثمانين سبعمائة. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:460.

(3) يريد كتاب «**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**» لابن مالك النحوي.

(4) أبو عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي وبه عرف، الفاسي عالمها ومفتيها الإمام الحافظ العلامة كان آية في معرفة المدونة أقرأها نحواً من أربعين سنة وله مجلس لم يكن لغيره يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء. أخذ عن أئمة منهم عبد العزيز القوري وعبد الرحمن الجزولي وعنه جماعة منهم ابناه عبد العزيز ومحمد وحفيده عبد الله وابن عباد وابن الخطيب القسنطيني ومن لا يعد كثرة. له تآليف منها تقييدان على المدونة وتقييد على الرسالة، توفي سنة 776هـ. انظر: «**شجرة النور**»، ج:01، ص:338.

(5) أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، شهر بالقباب، الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد، أحد محققي المتأخرين من الحفاظ المشهورين بالدين والصلاح والتقدم في العلوم، تولى الفتيا بفاس، وله فتاوى مشهورة مجموعة وقفت عليها، وهو أول من نقل الونشريسي عنه في المعيار، ودخل غرناطة عام اثنين وستين موجها من قبل السلطان أبي القاسم، ثم رفض التمعش من الشهادة وتنسك على عادة الفضلاء، توفي سنة:779هـ. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:102-103.

(6) يريد كتاب: «**التلقين في الفقه المالكي**» للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت:422هـ).

(7) رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت:386هـ).

الحسن الونشريسي[1] والشيخ الصالح أبي العباس الشماع[2] «فرعي ابن الحاجب»، وعلى القاضي أبي العباس أحمد بن حسن[3] «الموطأ»تفقها و«التهذيب» و«ابن الحاجب الفرعي».

ثم أقبل أبوه عليه وقد كمل تهيئته لقبول الحقائق وفهم الدقائق، فقرأ عليه في الأصول و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي، و«محصل»[4] الفخر وبعض كتاب«النجاة»[5] لابن سينا، و«المقاصد»[6] للغزالي و«مختصر ابن الحاجب»، وتأليفه المسمى «مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول»...وفي الهندسة كتاب«اقليدس»، وفي المنطق «جمل الخونجي»مرارا، و«المطالع»[7] للسراج

(1) الحسن بن عطية التجاني المكناسي المعروف بالونشريسي، قال ابن الأحمر في فهرسته: «شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي أبو علي ابن الشيخ الصالح عطية، توفي عام أحد وثمانين وسبعمائة، أجازني الموطأ رواية يحيى بن يحيى، أخذ عن الفقيه الإمام أبي عبد الله بن الصباغ الخزرجي المكناسي».انتهى. مولده في حدود أربع وعشرين وسبعمائة، وكان حيا قرب التسعين وسبعمائة. ذكر الونشريسي في المعيار جملة من فتاويه. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:158-159.

(2) أحمد بن محمد الخزرجي، اشتهر بابن الشماع المراكشي نزيل فاس، قال ابن الخطيب القسنطيني: هو شيخنا ومفيدنا كان عالما بالمنطق.اهـ. قال ابن الأحمر في فهرسته: شيخنا الفقيه المعمر الخطيب الصالح الأصولي المنطقي المعدل، أجازني عامة، أخذ عن الإمام ابن البنا العددي وابن جابر القيسي وغيرهما.اهـ. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:105-106.

(3) أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني، التلمساني: قاض، محدث، حافظ، من فقهاء المالكية، وهو جد الإمام ابن مرزوق الحفيد لأمه. رحل إلى المشرق قبل سنة 739هـ ولقي جلال الدين القزويني وغير واحد من أعلام مصر والشام. نشأ بتلمسان وأخذ عن ابني الإمام، استعمله أبو الحسن المريني في الزكوات وسماع الشكاة إلى أن ولي قضاء تلمسان في زمن أبي عنان واستمر عليه إلى أن توفي سنة:768هـ. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:01، ص:65-66.

(4) يريد به كتاب: «**محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**» لفخر الدين الرازي (ت:606هـ).

(5) يريد به كتاب: «**النجاة في المنطق والإلهيات**»، لابن سينا.

(6) يريد به كتاب: «**مقاصد الفلاسفة**» لأبي حامد الغزالي.

(7) يريد كتاب: «**مطالع الأنوار في المنطق والحكمة**» لسراج الدين الأرموي (ت:682هـ).

الأرموي، وفي التصوف «ميزان الغزالي»[1]، وسمع منه أكثر الصحيحين رواية، و«الأحكام الصغرى» لعبد الحق فقها وسماعا، و«سيرة ابن إسحاق»و«الشفاء»سماعا، **وحضر عليه في التفسير من سورة النحل إلى الختم**، ومن أوله إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ وقرأ عليه التفسير أيضا فاشتغل بكثير من هذه العلوم حياة أبيه الإمام ودرس فيها فقرأ العربية زمانا طويلا وانتفع به فيه وختم إقراء الرسالة في حياة أبيه»[2].

بعد وفاة والده الإمام الشريف»جلسَ مجلس أبيه وحضره من يحضر أباه، ولم ينتقد عليه أحد منهم، فجرى على مذهبه نظرا ونقلا وتحقيقا، واعترفوا بتقديمه حتى كان القاضي علي أبو الحسن المغربي[3] يقول: انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيهلحسن تقريبه وبسطه»[4].

أقام دروسه بالجامع الأعظم بتلمسان، وكانمشتغلا بتدريس العلوم بمدرسة أبيه اليعقوبية، يحضرها ويتنافس عليها الطلبة من فاس وبجاية وغيرها، ثم رحل ودخل غرناطة من الأندلس وأقرأ بها، وأخذ عنه بها القاضي أبو بكر بن عاصم وغيره.

توفي الإمام أبو محمد بن الشريف التلمساني غرقا في البحر أثناء عودته من مالقه قاصدا بلده تلمسان وله من العمر نحو خمس وأربعين سنة.

---

(1) يريد به كتاب: «**ميزان العمل**» لأبي حامد الغزالي.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:226.

(3) علي بن محمد بن منصور الغماري، أبو الحسن عرف بالأشعب، قال تلميذه الإمام ابن مرزوق الحفيد في حقه: شيخنا العلامة توفي بفاس وقد أرسل إليها من تلمسان عام أحد وتسعين وسبعمائة.اهـ. وقال المنتوري في فهرسته: شيخنا الأستاذ الحج الراوية نور الدين أبو الحسن، توفي بفاس يوم الجمعة خامس رمضان عام أحد وتسعين.اهـ. «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:329.

(4) نفس المرجع، ج:01، ص:226.

• **صلته بالتفسير وعلومه:**

سبقت الإشارة إلى أن والده هو الشريف التلمسانيالإمام المفسِّر، وقد حضر مجالسه التفسيرية من سورة النحل إلى الختم، ومن أوله في المرة الثانية[1] إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: 171]، وقد أشار ابن مريم إلى أنه كان يقرأ على والده الشريف كتابا في التفسير ليلا[2].

وكان الإمام مشتغلا بتدريس العلوم بمدرسة أبيه اليعقوبية بما فيها علم التفسير، ولم تذكر المصادر أنه ترك تأليفا في التفسير أو علوم القرآن إلا ما كان من مجلس التفسير الخاص به بالجامع الأعظم بتلمسان[3]، والذي أشار الإمام ابن مرزوق للطيفة تفسيرية وقعت في ذلك المجلس إذ يقول: «سمعت شيخنا الإمام العلامة أبا محمد الشريف، وقد سئل في مجلس تفسيره وهو يفسِّر قوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ عن حكمة ذكر الذهب دون الياقوت ونحوه مما هو أرفع قيمة من الذهب، لأن القصد المبالغة في عدم ما يتقبل من الكافر في الفداء؟ فأجاب بأنه: إنما عظمت قيمة ما ذكر لأنه يباع بذهب كثير فإذا المقصود الذهب، وغيره وسيلة إليه»[4].

o خامسا: سعيد بن محمد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني، أبو عثمان (ت: 811هـ):

الإمام الشيخ سعيد العقباني التلمساني، من أكابر فقهاء المالكية، مولده بتلمسان سنة: 720هـ وبها نشأ، والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس أصله منها تجيبي النسب، إمامٌ فاضل فقيه متفنن في علوم شتى، حلاَّه ابن مريم بالقول: «علَّامتها وإمامها» يريد تلمسان، وابن فرحون بالقول: «إمام عالم فاضل، فقيه

(1) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:241.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:241.

(3) نفس المرجع، ص:244.

(4) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:228.

مذهب مالك، متفنن في العلوم»[1]، وذكر التنبكتي بأنه كان»يقال له: رئيس العقلاء، وقال ابن صعد: كان فقيها علَّامة، خاتمة قضاء العدل بتلمسان»[2].

أخذ عن ابني الإمام أبي زيد المفسِّر وأبي موسى بحاضرة تلمسان وتفقه عليهما، كما لازم وأخذ الأصول عن أبي عبد الله الآبلي، وأخذ الفرائض على الحافظ السطي[3] وبعض العلوم عن شيوخ الحاضرة التونسية، كما روى البخاري و«المدونة» عن السلطان أبي عنان المريني عن عز الدين بن جماعة وغيره.

تتلمذ على يديه ثلة من الأعلام، وكان يقيم دروسه في مختلف العلوم والفنون بالجامع الأعظم بتلمسان وبالمدرسة التاشفينية التي شيَّدها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول تكريما لأبي موسى عمران المشذالي الزواوي، وقد هدَّمها المستعمر الفرنسي إبان الاحتلال.

وممن أخذ عنه من الأعلام ابنه القاسم العقباني، وابن مرزوق الحفيد، والولي إبراهيم المصمودي[4]، وأبو يحي الشريف المفسِّر الآتي، والإمام ابن زاغو المفسِّر الآتي أيضاوغيرهم كثير.

ولي قضاء الجماعة ببجاية أيام السلطان أبي عنان المريني، كما ولي قضاء

---

(1) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي ابن فرحون، ج:01، ص:394.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:190.

(3) محمد بن سليمان السطي الفقيه حافظ المغرب، قال ابن خلدون: «وسطة» بطن من أوربة بنواحي فاس، أخذ العلم عن إمام المالكية بالمغرب الطائر الذكر أبي الحسن الصغير وتفقه عليه، وكان أحفظ الناس للمذهب وأفقههم فيه، اختاره السلطان أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته، وحضر معه واقعة القيروان وخلص معه إلى تونس وأقام معه بها نحو من سنتين ثم غرق في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم سنة:750هـ. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:409.

(4) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني: قال ابن صعد التلمساني: كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيّا، وحلّ من رياسة العلم والزهد مكانا عليّا، من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، بها ولد ونشأ ثم طلب العلم، وأخذ بفاس عن جماعة من الأكابر، وقرأ كثيرا على الإمام شريف العلماء أبي عبد الله الشريف التلمساني، ثم انتقل بعد وفاته للمدرسة التاشفينية فقرأ بها على العلامة سعيد العقباني، توفي 805هـ. انظر: «**نيل الابتهاج**» للتنبكتي، ج:01، ص:56/54.

تلمسان وسلا ومراكش أيضا، وله في ولاية الفتيا ما يزيد عن أربعين سنة.

- **من مصنفاته وتآليفه:**

«شرح الحوفي في الفرائض»ومتن الحَوفية هو مختصر في علم الفرائض للشيخ أحمد بن محمد بن خلف أبو القاسم الحوفي القاضي المالكي (ت588هـ). منه نسخةبمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ: -5312فب. ونسخة ثانية بخزانة القرويين بالمغرب بفاس، رقم الحفظ:1145.

«شرح العقيدة البرهانية» في التوحيد، وهو شرح على عقيدة الإمام أبي عمرو عثمان السلالجي (ت:594هـ) التي اختصرها من كتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»لإمام الحرمين الجويني، منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم الحفظ: رقم التسلسل:1426.

«رسالة في الأسماء والصفات»منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ: ب 9575. وعند بعضهم هي «الوسيلة بذات الله وصفاته».

«شرح مختصر ابن الحاجب»منه نسخة بخزانة القرويين بالمغرب بفاس، رقم الحفظ: 1383.

«شرح الجُمل للخونجي» في المنطق، منه نسخة بمكتبة حسين جلبي، ضمن مكتبة بروسه الوطنية، تركيا. تحت رقم 725.

«شرح التلخيص لابن البناء»وهو كتاب«تلخيص أعمال الحساب» لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي (ت:721هـ).

«شرح قصيدة ابن ياسمين» في الجبر والمقابلة، لم أجده.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام أبو عثمان العقباني أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير وعلومه تأليفا، فقد ألَّف «تفسير سورة الأنعام» و«تفسير سورة الفتح»[1] قال فيهما ابن صعد التلمساني: «أتى فيهما بفوائد جليلة»[2]، وقال ابن فرحون: «وشرحه لسورة الفتح أتى فيه بفوائد جليلة»، وقدذكر الداودي كلا من التفسيرين في طبقاته[3].

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في العثور على هاته التصانيف التفسيرية للإمام العقباني، فإننا لم نعثر لها على أي أثر، والظن أنها مقيدة لمجهول، ولم أجد من أثر فيه تفسير آية أو استدلال بآية غير ما أورده التنبكتي في ترجمة تلميذه الإمام أبو الفضل ابن الإمام التلمساني، إذ يقول: «أخبرنا شيخنا القاضي سعيد العقباني قال: اجتمعت بمدينة مراكش بيهودي يشتغل بالعلوم فقال: ما دليلكم على عموم رسالة نبيكم؟ قال قلت قوله: (بعثت للأحمر والأسود)، فقال لي: هذا خبر آحاد لا يفيد إلا الظن، والمطلوب في المسألة القطع. فقلت له: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ فقال: هذا لا يكون حجة إلا على من يقول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور، وأنا لا أقول بصحته ـ اهـ.»[4].

والظن كبير أن الإمام العقباني أقام على تدريس التفسير بالجامع الأعظم بتلمسان، وهو المشتهر بالاشتغال بالتفسير وإقامة الدروس العلمية، غير أنه لا دليل على ذلك من قول أو تصنيف.

---

(1) وقد وهم صاحب «طبقات المفسرين» الأدنهوي، فنسب التصنيفين لابنه قاسم بن سعيد العقباني، وجعل سنة وفاته: 830هـ. وهو وهم كبير لحقه بعض الباحثين فيه دون تنبه.

(2) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج:2، ص:222.

(3) **طبقات المفسرين**، شمس الدين الداودي، ج:01، ص:189.

(4) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:522.

○ سادسا: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي يحيى الحسني التلمساني، أبو يحيى (ت: 826هـ):

الشيخ الإمام أبو يحي، الابن الثاني للشريف التلمساني، وأحد أعلام حاضرة تلمسان المشهورين، مفسِّر، محدَّث، حافظ، أصولي، من أكابر فقهاء المالكية، من أهل تلمسان مولدا ووفاة، ولد في رمضان سنة: 757هـ، وبُشر به والده في منامه كأخيه عبد الله المفسِّر، واتفق ليلة مولده أن بات عند أبيه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون والفقيه قاضي الجماعة بفاس أبو يحيى ابن السكاك (ت: 818هـ) وساهما في تسميته، حلَّاه التنبكتي بالقول: «السيد العارف المفسِّر ابن يحيى الشريف»[1]، وبالقول «الإمام العلامة المحقق الأعرف، ابن الإمام العلامة المحقق أبي عبد الله الشريف، كان من الآيات في القيام بتحقيق العلوم والإتقان لها ومعرفتها، محققا نظارا حجة، قال الإمام ابن العباس: الإمام العلامة الأوحد، شريف العلماء وعالم الشرفاء، آخر المفسِّرين من علماء الظاهر والباطن، ابن العلماء الأئمة»[2]، ووصفه في «شجرة النور» بالقول: «الإمام العلامة العمدة الفهّامة، شريف العلماء وعالم الشرفاء وخاتمة المفسِّرين والفضلاء، كان آية من آيات الله في القيام بتحقيق العلوم مع الإتقان، حاملاً لواء المعارف والعرفان»[3].

أخذ عن شيوخ الحاضرة التلمسانية، وكان والده أوَّل شيوخه، فقرأ عليه «ابن الحاجب الأصلي»، و«الموطأ» و«مثارات الغلط»، ثم لما مات والده أخذ عن أخيه علوما جمة وقرأ عليه كتبا كثيرة، وعلى العالم الصالح أبي عثمان العقباني المفسِّر «أصلي ابن الحاجب» و«إيضاح الفارسي»[4] و«جمل

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:119.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:252.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:362.

(4) يريد به كتاب **الإيضاح العضدي**، للحسن بن أحمد عبد الغفار الفارسي (ت:377هـ).

الخونجي»، وحضر عليه في مجالسه التفسيرية، وعلى الأستاذ الصالح ابن حياتي الغرناطي[1] «المقرِّب»[2] والزجَّاج[3]، وسمع من الشيخ العالم أبي القاسم بن رضوان[4] «صحيح مسلم» و«شفاء عياض» وأجازه[5].

وقد تتلمذ على يديه الكثيرون من أعلام حاضرتي تلمسان وفاس كالشيخ أبي زيد الجاديري[6] وابن زاغو المفسِّر[7] والشيخ أبي عبد الله القيسي[8] وأبي يحيى المطغري وغيرهم، وقد أقرأ في حاضرة فاس بحضرة السلطان والفقهاء الأعلام.

كل من ترجم للإمام أبي يحيى لم يذكر له تصانيف وتآليف، إذ لم يؤثر أنه صنَّف في غير التفسير، وربما يرجع ذلك لاشتغاله بالتدريس في الحواضر، قال أبو الفضل بن مرزوق الحفيد: توفي سيدنا الشريف العلامة أبو يحيى مع

(1) اشترك في الأخذ عنه مع أخيه عبد الله، وقد تمت ترجمته هناك.

(2) يريد به كتاب **المقرِّب**، لأبي الحسن علي بن مؤمن، ابن عصفور الإشبيلي (ت:669هـ).

(3) يريد كتب الإمام أبو إسحاق الزجاج (ت:311هـ) في النحو والأدب.

(4) عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي ثم الفاسي، الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الراوية، مولده عام 718هـ، ووفاته سنة:783هـ، وقد ترجم له السراج أبو زكريا في فهرسته. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:222.

(5) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:253.

(6) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن عطية المديوني الفاسي الشيخ الفقيه العالم الموقت الإمام، ولد سنة 777هـ واستوطن فاسا، من شيوخه أبو زيد المكودي، روى عنه مقصورته وغيرها. له تآليف منها «روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار» و«اقتطاف الأنوار» ذكر فيه مسائلها نثرا كالشرح لها، و«مختصر الاقتطاف» وكتاب جمع فيه بين العمل بآلة الاسطرلاب وبالصفيحة الشكارية، توفي سنة:848هـ. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:254.

(7) أحد أكبر أعلام التفسير في تلك الحقبة، وستأتي ترجمته.

(8) محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، أبو عبد الله: شاعر أديب، كاتب، من أهل تلمسان، ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها. وصفه المازوني: بالإمام العلامة الأديب الأريب الكاتب، كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، له قصائد كثيرة. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:01، ص:92.

الفجر السادس والعشرين من رجب عام ستة وعشرين وثمانمائة[1].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام أبو يحي عبد الرحمن أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير وعلومه تدريسا وتأليفا، فقد صنَّف «تفسير سورة الفتح» قال عنه ابن مخلوف: «على غاية من التحقيق»، وقال عنه أخوه الإمام عبد الله المفسِّر ممتدحا تفسيره هذا: «وقفتُ على ما أولتموه وفهمت ما أردتموه، فألفيته مبنيا على قواعد التحقيق والإتقان، بعد مطالعة كلام المفسرين ومراجعة الأفاضل المتأخرين»[2]، وتجدر الإشارة إلى أن تصنيفه هذا في عداد التفاسير المفقودة التي لم نعثر عليها.

وقد أشار أبو يحي المطغري إلى مجلسه التفسيري بالمدرسة اليعقوبيةوالذي استخلفه فيه أخوه الإمام عبد الله المفسِّر عند مرضه إذ يقول: « ولما مرض أخوه عبد الله أمره بالجلوس في موضعه للإقراء فامتنع تأدبا، حتى قدم عليه فساعفه سنة أربع وثمانين، وبلغ الغاية في العلم والنهاية في المعارف الإلهية وارتقى مراقي الزلفى ورسخ قدمه في العلوم، **وناهيك بكلامه في أول سورة الفتح**»[3].

- **سابعا: محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، أبو عبد الله العجيسي التلمساني الحفيد (ت: 842هـ):**

الإمام الشيخ ابن مرزوق الحفيد أبو عبد الله، حجة المذهب المالكي وأحد أقطابه، المحدِّث المفسِّر الأصولي الفقيه المؤرخ، ولد بتلمسان في ربيع الأول سنة: 766هـ، حلَّاه ابن مخلوف بالقول: «الإمام المحقق العلامة

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:253.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:253.

(3) نفس المرجع، ج:01، ص:253.

المفسِّر المحدّث الراوية الفهّامة الحافظ النظّار المتحلي بالوقار المتبحر في العلوم، الماهر الولي الصالح، فارس المنابر الوارث المجد كابراً عن كابر»[1]، وترجم له التنبكتي ترجمة مطولة زكية تنبئ عن مقامه ومكانته، لا أُغرب إن قلتُ أنه ملأها تحلية وتزكية لم يسدها لغيره إذ يقول: « السيد الزكي الفهامة القدوة الذي قل سماح الزمان بمثله أبدا... أحد الأفراد العلية في جميع الفنون الشرعية، ذو المناقب العديدة والأحوال الصالحة العتيدة، شيخ الإسلام وإمام المسلمين ومفتي الأنام... كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...أما الفقه فهو فيه مالك، ولأزِّمة فروعه حائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له: تقدم فلك العهد والولاية وتكلم فمنك يسمع فقهي لا محالة، أو رآه ابن القاسم لقرَّ به عينا وقال له: طالما دفعتَ عن المذهب عيبا وشينا، أو أدرك الإمام المازري لعلم أنه من أقرانه الذي معه يجاري، أو الحافظ ابن رشد لقال له: هلم يا حافظ الرُّشد، أو اللخمي لأبصر منه محاسن «التبصرة»، أو القرافي لاستفاد من قواعده المقررة.

إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودرره، والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال له: تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشَّاف النكت على الحقيقة وقال لكتابه: تنح لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة، أو ابن عطية لعلم كم لله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره، إلى الإحاطة بالحديث وفنونه وحفظ رواياته ومعرفة متونه، ونظم أنواعهووصف فنونه، فإليه الرحلة في رواياته وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته...وأما النحو فلو رآه الزمخشري لتجلجل في قراءة «المفصل» واستقل ما عنده من القدر المحصل، أو الرمَّاني لاشتاق إلى

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:364.

مفاكهته وارتاح، واستجنى من ثمار فوائده وارتاح، أو الزجاج لعلم أن زجاجه لا يقوم بجواهره، وأنه لا يجري معه في هذا العلم إلا في ظواهره، بل لو رآه الخليل لأثنى عليه بكل جميل وقال لفرسان النحو: ما لكم إلى لحوقه من سبيل... وما قلناه من أوصافه فمما عُلم من حاله فلا يحتاج لنقله عن معيَّن، ومتياحتاج شمس الضحى لدليل!!!»[1].

أخذ القرآن الكريم بقراءة نافع عن شيخه عثمان بن رضوان الوزروالي الفاسي[2] وانتفع به في القراءات والعربية[3]، ثم عن جده الإمام المقَّريالمفسّروأبي محمَّد الشريف التلمساني وأخيه أبي يحييالمفسِّر وسعيد العقباني وابني الإمام، وبتونس عن ابن عرفة وحجَّ معه، وأبي إسحاق المصمودي، وأبي العباس القصَّار التونسي، وبفاس عن أبي زيد الماكودي[4]، وابن حياتي الغرناطي.

ثم أكثر ابن مرزوق الحفيد من الترحال وتنوع شيوخه فأخذ عن الإمام سراج الدين البلقيني بمصر وأبي الفضل العراقي والحافظ محمَّد بن مسعود الصنهاجي والسراج بن الملقِّن[5]

(1) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:499-500.

(2) عثمان بن رضوان الوزروالي، الفاسي الفقيه الأستاذ النحوي المقرئ الحسابي، أبو سعيد، شيخ أبي الوليد بن الأحمر، توفي بفاس سنة:798هـ، ذكره أبو زيد الفاسي في تأليف له في بيوتات فاس القديم. انظر: «**سلوة الأنفاس**»، ج:03، ص:396، ترجمة رقم:1420.

(3) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:07، ص:50.

(4) أبو زيد عبد الرحمن بن علي الماكودي الفاسي، الفقيه النحوي. أخذ عن جماعة منهم عبد الله الوانغيلي وعنه ابن مرزوق الحفيد وعبد الرحمن بن عطية المديوني والكاواني وغيرهم، وهو آخر من درس كتاب سيبويه، له تآليف مفيدة منها مقصورة في مدح النبي ﷺ وله شرح على منظومة ابن مالك في المقصور والممدود وشرح الأجرومية ورجز في التصريف وشرح الخلاصة. توفي سنة 807هـ. انظر: «**شجرة النور**»، ج:01، ص:359.

(5) عمر بن علي بن أحمد الأَنْصَارِي الشافعيّ، سراج الدين، أبو حفص ابن النحويّ، المعروف بابن الملقن، ولد سنة:723هـ، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس) ومولده ووفاته في القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف، منها «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» تراجم، و«التذكرة في علوم الحديث»، و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام»، توفي سنة:804هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:57.

والشمس الغماري[1] والفيروزآبادي صاحب «القاموس» وابن خلدون وناصر الدين بن التنسي، وغيرهم من أعلام حواضر القاهرة والشام والإسكندرية ومكة، وغالبهم أجازه. كما أخذ عنه وتتلمذ على يديه جملة من الأعلام والشيوخ كابنه المعروف بالكفيف والشيخ المفسِّر عبد الرحمن الثعالبي وانتفع به وأبو حفص القلشاني[2] ونصر الزواوي[3] والولي الحسن أبركان[4] والغماري[5] وأبو الفضل المشذالي وأبو العباس بن أبي يحيى الشريف التلمساني وأخوه أبو الفرج وابن كحيل التجاني والقلصادي وأبو عبد الله المازوني والحافظ التنسي وابن زكري المفسِّر الآتي وأحمد بن يونس القسنطيني، وعيسى بن سلامة البسكري وخلق كثير.

ذكر تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني أنه أخذ وقرأ عليه جملة من الكتب والفنون، فقال: « قرأت عليه جملة من التفسير، ومن الحديث الصحيحين والترمذي وأبي داود بقراءتي، و«الموطأ» سماعا وتفقها، والعمدة وأرجوزته «الحديقة في علم الحديث» وبعض أرجوزته «الروضة» فيه تفقها،

(1) أحمد بن الحسن الغماري التلمساني، الولي الكبير الشأن ذو الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة، أبو العباس، توفي بتلمسان ثاني عشر شوال سنة أربع وسبعين وثمانمائة، ودفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم منها، أخذ عنه الإمام أحمد زروق. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:121.

(2) عمر بن محمد بن عبد الله الباجي التونسي عرف بالقلشاني، أبو حفص، أصله من باجة تونس لا باجة الأندلس، قاضي الجماعة بتونس، الفقيه العالم كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكابر علماء تونس ومحققيهم وحفّاظهم الأجلاء، أخذ عن جماعة كوالده أبي عبد الله والقاضي أبي مهدي الغبريني والإمام الأبّي والإمام محمد بن مرزوق وغيرهم، وفي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:305-306.

(3) ترجمته في البستان، ص:489.

(4) الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان أبو علي، الفقيه العالم العامل الولي الصالح القطب الغوث الكامل الشهير الذكر والكرامات. أخذ عن إبراهيم المصمودي وابن مرزوق الحفيد وغيرهما، وعنه أبو عبد الله التنسي والشيخ علي التالوتي وأخوه لأمه الشيخ السنوسي لازمه كثيراً، وانتفع به وحضر درسه الشيخ القلصادي وأثنى عليه في رحلته كما أثنى عليه الشيخ السنوسي المذكور وأطال. توفي في شوال سنة 857هـ. انظر: «**شجرة النور الزكية**»، ج:01، ص:379.

(5) علي بن محمد بن منصور الغماري، أبو الحسن عرف بالأشعب. ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:329.

ومن العربية نصف «المقرِّب» وجميع كتاب سيبويه تفقها، و«ألفية ابن مالك» وأوائل «شرح الإيضاح » لابن أبي الربيع وبعض «المغني» لابن هشام، وفي الفقه «التهذيب» كله تفقها، و«ابن الحاجب» وبعض «مختصر خليل» و«التلقين» وثلثي الجلاب[1] وجملة من «المتيطية»[2]، و«البيان والتحصيل» لابن رشد و«الرسالة» تفقها، وتفقهت عليه في كتب الشافعية ... ومن كتبالحنابلة، وفي القراءات الشاطبية تفقها وفي البيان «التلخيص» و«الإيضاح» و«المصباح» كلها تفقها، وفي التصوف «إحياء» الغزالي إلا الربع الأخير منه، وألبسني خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه، وهما ألبسهما أبوهما جده»[3].

وقال تلميذه الإمام الثعالبي: وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله ابن مرزوق فأقام بها وأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع «الموطأ»بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني، واختصصت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزله قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع، ثم أخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب، وهو من أولياء الله تعالى الذين إذا رؤوا ذكر الله»[4]، وذكر تلميذه أبو الحسن القلصادي في رحلته مجموعة من المجالس العلمية التي حضرها عند شيخه بالقول: قرأت عليه بعض كتابه في الفرائض، وحضرتُ عليه إعراب القرآن و« صحيح البخاري» والشاطبيتين وفرعي ابن الحاجب و«التلقين» و«تسهيل» ابن مالك و«الألفية» و«الكافية» وابن الصلاح في علم الحديث، و«منهاج العابدين»للغزالي و«الرسالة».

توفي الإمام ابن مرزوق الحفيد يوم الخميسعصر رابع عشر شعبان سنة:

(1) يريد به كتاب «**التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس**» لأبي القاسم عبيد الله الجلاب (ت:378هـ).

(2) يريد به كتاب «**النهاية والتمام بمعرفة الوثائق والأحكام**» لعلي بن عبد الله المتيطي (ت:570هـ)، وله مختصر لمحمد بن هارون الكناني (ت:750هـ).

(3) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:502-503.

(4) نفس المرجع، ج:01، ص:503.

842هـ الموافق لـ:1438م، وصُلي عليه بالجامع الأعظم بتلمسان بعد صلاة الجمعة، وحضر جنازته السلطان فمن دونه.

- **من تصانيفه وتآليفه الكثيرة والمتنوعة:**

«روضة الأعلام بعلم أنواع الحديث السام»منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: 16391 ـ ف.

«شرح فرائض مختصر خليل» منه نسخةبالمكتبة المركزية، السعودية، رقم الحفظ: 5182/ 4 مجاميع.

«إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة»منه نسخة بخزانة القرويين بفاس، المغرب، رقم الحفظ: 742.ونسخة بمكتبة سليم آغا باستانبول، تركيا، رقم الحفظ: 966. ونسخة أخرى بمكتبة البلدية، الاسكندرية مصر، رقم الحفظ: 10 أدب.

«المتجر الربيح والمسعى الرجيح في شرح الجامع الصحيح» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: 00311. ونسخة ثانية برقم/ 00310.

«كنز الأماني والأمل في نظم منطق الخونجي في الجمل» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: 1396 ـ فب.

«المنزع الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم الحفظ: 1136.

«برنامج الشوارد» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم الحفظ: 1277، ونسخة ثانية بالمتحف البريطاني، لندن، رقم حفظ: 243.

«فراجة الكروب ومنية المطلوب»منه نسخة بدار الكتب الوطنيةبتونس، رقم الحفظ:رقم التسلسل 1200,1963.

«حواش على مختصر السعد» منه نسخة بدار الكتب الوطنيةبتونس، رقم الحفظ:رقم التسلسل: 4355.

«المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: 21203 ـ ف.

«كعبة الأسرار الزاهرة وعرفات الأنوار الباهرة» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: ب 17276- 17277.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام ابن مرزوق الحفيد أحد علماء الجزائر الذين خدموا التفسير وعلومه تأليفا وتدريسا، فقيامه بالمجالس التفسيرية والتدريسية كان مشتهرا منتشرا، وذكر كثير من طلبته نهلهم من مجالسه التفسيرية وأخذهم عن شيخهم فيها، كأبي الفرج بن أبي يحي الشريف التلمساني، الذي ذكر أنه قرأ عليه جملة من تفسير القرآن[1] في مجالسه التي كان يقيمها بالجامع الأعظم بتلمسان، والرحالة القلصادي الذي ذكر أنه حضر دروسه فيإعراب القرآن الكريم[2]، وتلميذه البلوي الوادي آشي أبو جعفر الذي ذكر أنه «حضر إلقاءه تفسير بعض سورة آل عمران من كتاب الله تعالى، على ما يجب في ذلك وله من التحقيق والتحرير»[3].

روى كل من ترجم له حادثة دخوله مجلس ابن عرفة في التفسير بجامع الزيتونة وأنه وجد الإمام ابن عرفة يفسِّر قوله عزّ من قائل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[الزخرف: 36][4]. مستشكلًا قائلًا: قرئ ومن يعشو بالرفع

(1) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:369.

(2) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:505.

(3) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1403هـ، ص:248.

(4) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:364-365.

ونُقيِّض بالجزم، ووجَّههما أبو حيان بكلام لم أفهمه، والظاهر أن في النسخة تحريفاً، فقلتُ ـ ابن مرزوق ـ: يا سيدي معنى ما ذكر أن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية مما تضمنه من معنى الشرط، وإذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه الشرط بذلك، فما يشبه لفظه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة، فوافق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفرح وكان الإنصاف طبعه، وأنكر عليَّ ذلك جماعة من أهل المجلس، وطلبوا مني إثبات معاملة الموصول معاملة الشرط بنص من إمام أو شاهد من كلام العرب، قال: وكنت قريب عهد بحفظ «التسهيل» فقلت: قال ابن مالك في «التسهيل» فيما يشبه المسألة، وقد يجزمُ مُتسبِبٌ عن صلة الذي تشبيهاً بجواب الشرط، وأما الشاهد فقوله:

فلا تحفرنّ بئراً تريد بها أخا

فإنك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذي يبغي على الناس ظالماً

تصبه على رغم عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقاً للحال[1].

صنَّف الإمام ثلاثة مصنفات في التفسير هي:

الأول: «اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة» مسائل في الفقه والتفسير، وهي أجوبة على مجموعة من المسائل في الفقه والتفسير وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى أبو بكربن عقيبة القفصي[2] فأجابه عنها وقد نقل الإمام المسيلي أبو العباس(ت:830هـ) في تقييداته بعض تلك الأجوبة، وتجدر الإشارة إلى أنها نوقشت كأطروحة دكتوراه للطالب: سقساق أحمد، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي، بتطوان، سنة: 2008م.

(1) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:387-379.

(2) ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:635.

الثاني: «تفسير سورة الإخلاص» أوردها له صاحب «نفح الطيب» الشهاب المقَّري (ت: 1041هـ) وذكر أنها على طريقة الحكماء[1]، وأبو جعفر الواد آشي في ثبته إذ يقول: «ومن مؤلفاته جزء في الكلام على قل هو الله أحد»[2]، ولم أعثر على نسخها المخطوطة فهي ضمن المخطوطات المفقودة.

الثالث: «تقييد على سور من الكتاب العزيز» انفرد الوادي آشي أبو جعفر بذكره إذ يقول: «ومن مؤلفاته جزء في الكلام على قل هو الله أحد... وتقييد على سور من الكتاب العزيز»[3]، وهو أيضا في عداد المفقود.

ويمكن التنويه إلى نسخة بعنوان «بروز الكنز من الإشارة والرمز» «تفسير سورة الإخلاص» بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، رقم حفظ: ب2727، قد تكون تفسير سورة الإخلاص لابن مرزوق التي ذُكر أنها على طريقة الحكماء.

قلتُ: والظن كبير في كون مخطوط «صدق الإخلاص في تفسير سورة الإخلاص» المجهول الصاحبهو نفسه مخطوط «تفسير سورة الإخلاص» لابن مرزوق، وأن ابن مرزوق ألَّفه في رحلته للقاهرة وأهداه للسلطان قايتباي الأشرفي، إذ قد كتب على حاشيته إهداء بذلك، والمسألة قيد البحث.

(1) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، شهاب الدين أحمد المقري، ج:05، ص:430.

(2) **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ص:294.

(3) **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ص:294.

لوحة من مخطوط «صدق الإخلاص في تفسير سورة الإخلاص»

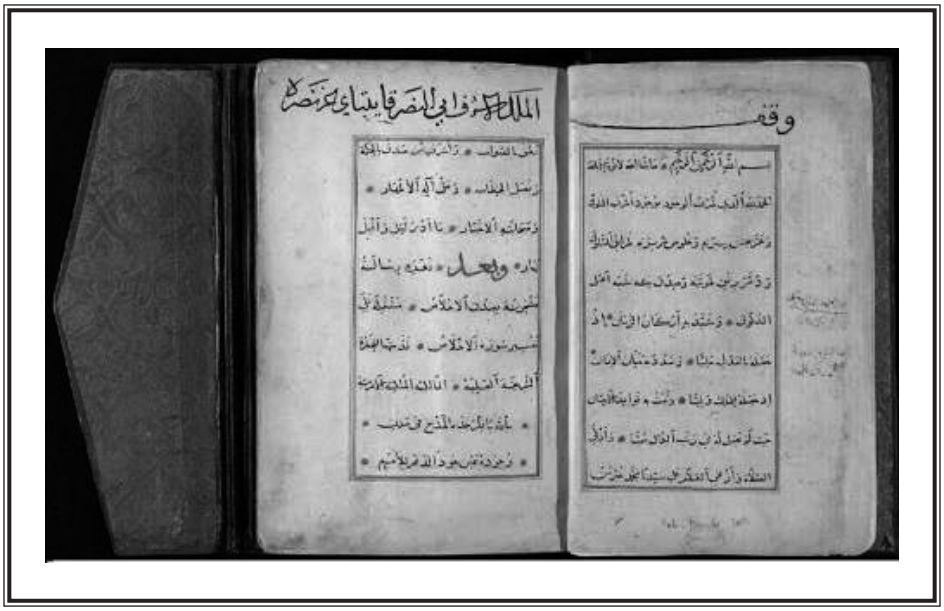

ثامنا: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو المغرواي التلمساني (ت: 845هـ):

الشيخ الإمام ابن زاغو المغراوي، المفسِّر المحدِّث الأصولي المنطقي الصوفي، مولده في حدود سنة 782هـ بتلمسان، من أهل مغراوة بتلمسان، حلَّاه التنبكتي بالقول: « الإمام العالم الفاضل الولي الصالح الصوفي الزاهد العلامة المحقق المتفنن القدوة، المصنف الناسك العابد»[1] وابن مخلوف بوصفه: « العالم العامل الولي الصالح الشيخ الكامل المؤلف المحقق العمدة الفاضل»[2]، وتلميذه القلصادي بالقول: « شيخنا وبركتنا الفقيه الإمام المفتي المصنف المدرس المؤلف، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم في التعبير، فاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبل والمسالك، ذي سبق في الحديث والأصول والمنطق، وقدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم، وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة، وعند كلامه يقف الفتى في الأذكار والإرادة،

(1) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:118.

(2) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:366.

مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا عار عن زخرفها، إلا ما يتخذه من ثوب حسن أو هيئة فيها جمال، أكرمه الولي بقراءة القرآن وشرَّفه بملازمة قراءة العلم والتصنيف والتدريس والتأليف، له نسب أشهر من الشمس في السماء، وحسبٌ كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء، وخلق أندى من الزهر وأسوغ من الاء، ونزاهة الهمة العالية والمشاركة والمباركة للخاصة والعامة من هذه الأمة، مع إيثار الخلوة وإجابة الدعوة، ولما رأيتُ نجاح دعوته وصلاح حالي بالتماس بركاته لازمته وترددت إليه، فكنت أجد في مجالسته فوائد تنسي الأوطان، وأرد من بحر فيضه ما يحيا به الظمآن فسرتُ إلى خدمته مسرعا فصيرني كبعض أولاده وأنزلني منزلة أصدقائه»[1].

أخذ في تلمسان عن شيوخ الحاضرةكأبي عثمان سعيد العقباني وأبي يحيى الشريف وابن أبي القاسم المشذاليوغيرهم، كما أخذ عنه جماعة منهم ابن زكري المفسِّر الآتي، والحافظ التنسي وأبو الحسن القلصادي[2] صاحب الرحلة والشيخ يحي بن يدير[3] وغيرهم كثير.

أقام على تدريس العلوم المتنوعة في المدرسة اليعقوبية، وذكر تلميذه القلصادي أوقات دروسه وأزمنتها إذ يقول: « لزمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه شتاءا، والأصول والعربية والبيان والحساب

(1) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دط، دت، ص:103.

(2) علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن، الشهير بالقلصادي، ولد سنة 815هـ، عالم بالحساب، فرضي، فقيه من المالكية. وهو آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس. أصله من بسطة وبها تفقه. وانتقل إلى غرناطة فاستوطنها. ورحل إلى المشرق، وتوفي بباجة تونس. من كتبه «النصيحة في السياسة العامة والخاصة» و«شرح الأرجوزة الياسمينية»، و«كليات الفرائض» وغيرها، توفي سنة: 891هـ. انظر: «**الأعلام**» للزركلي، ج:05، ص:10.

(3) يحيى بن يدير بن عتيق، أبو زكريا، التدلسي، قاض من كبار فقهاء المالكية، من أهل دلس، تعلم بتلمسان، وولي القضاء بتوات. أخذ عنه محمد بن عبد الكريم المغيلي، توفي بقسنطينة سنة:877هـ. انظر: «**معجم أعلام الجزائر**»، ج:01، ص:62.

والفرائض والهندسة صيفا، وفي الخميس والجمعة التصوف وتصحيح تآليفه»[1].

توفي الإمام ابن زاغو يوم الخميس وقت العصر من رابع عشر ربيع الأول سنة: 845هـ في الوباء، وصُلي عليه يوم الجمعة، وشهد جنازته العام والخاص وأسف الناس لفقده وعمره ثلاث وستين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **من مصنفاته وتآليفه:**

«شرح التلمسانية» في الفرائض، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، رقم الحفظ: 10746.

«منتهى التوضيح في عمل الفرائض».

«الفتاوى» في أنواع من العلوم، علَّق التنبكتي عليها بالقول: «نقل منه جملة في «المازونية» و«المعيار»».

«حكم ابن عطاء الله وشرحها لابن عباد».

«أجوبة فقهية»، و«لطائف المنن».

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام ابن زاغو أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير تدريسا وتأليفا، أما التدريس فقد ذكر تلميذه القلصادي الذي حلَّاه في التفسير بالقول: «»شيخنا الفقيه الإمام المصنِّف المدرِّس، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم»[2]، ذكر أنه «لزمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير»[3]، وهي حلقة كان يعقدها الشيخ في المدرسة اليعقوبية لتفسير القرآن العزيز، غير أنه لم يذكر أي تفسير كان الشيخ مقيما عليه، أو أنه كان يفسِّره من عنديته، لاشتهار تلك

(1) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:104.

(2) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:103.

(3) نفس المرجع، ص:104.

المرحلة بالقراءة من أمهات التفاسير كـ«أنوار التنزيل» أو «تفسير الجلالين» أو «الكشاف» وغيرها، وقيام الشيخ بالتحشية عليها والتعقيب شرحا وتفسيرا، وقد ذكر مجلسا ثانيا قرأ عليه ما ألّفه ابن زاغو في التفسير إذ يقول: «فقرأتُ عليه... تأليفاته «مقدمةفي التفسير» و«تفسير الفاتحة»، و«التذييل في ختم التفسير»»[1].

أما عن التأليف في التفسير وعلومه فقد ترك ثلاثة تصانيف:

الأول: «**تفسير الفاتحة**» قال عنه ابن مريم: «في غاية الحسنكثير الفوائد»[2]، والحجوي: « كثير الفوائد»[3].

الثاني: «**مقدمة في التفسير**» قال عنه التنبكتي: «في غاية الحسن كثير الفوائد»[4]، منه نسخة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا برقم حفظ: 3/ 53. 54(3/ 1381). (242.260).

الثالث: «**التذييل في ختم التفسير**» ذكره له تلميذه القلصادي، وتتابع النقل عنه، ولم أجد غيره أشار إليه، ونفس الأمر ينسحب على التصنيف الأول والثاني.

وكلامن التصنيفين الأول والثاني في عداد المفقود الذي لا يُعلم عنه أي خبر، والظن أنها موجودة لقرب العهد بيننا وبينهم غير أنها مقيدة لمجهول، ويحتاج أمرها لاهتمام وتثبت حتى نستطيع الكشف عنها.

- **تاسعا: محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، أبو الفضل (ت: 845هـ):**

الإمام الشيخ محمد أبو الفضل التلمساني، عالم بالتفسير والفقه، مشارك

(1) نفس المرجع، ص:103.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:116.

(3) **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي، دار المعارف، الرباط، دط، ت:1340هـ، ج:4، ص:91.

(4) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:119.

في علوم الأدب والطب والتصوف، ولد بتلمسان وأخذ في بداية أمره عن شيوخ الحاضرة التلمسانية آنذاك كالإمام العقباني، حلَّاه التنبكتي بـ: «الإمام العالم العلامة الحجة النظار المحقق العارف اللوذعي الرِّحلة، أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد، شهر بابن الإمام، قال الحافظ التنسي: شيخنا صدر البلغاء وتاج العارفين وأظروفة الزمان أبو الفضل»[1] وزدا ابن مريم» من بيت علم وشهرة وجلالة»[2]، وتلميذه القلصادي بـ: «الشيخ الفقيه الإمام الصدر، سيدي أبو الفضل بن الإمام، حضرتُ مجلسه، وكان فقيها إماما صدرا عالما بالمعقول»[3].

وحلّاه المقريزي في عقوده تحلية تنم عن علو المقال وعظيم الاحترام إذ يقول: « بيت بني الإمام مشهور بتلمسان...كان صاحب فنون عديدة من أنواع العلومالعقلية والنقلية، لا يكاد يخفى عليه علم حتى يشارك فيه مشاركة جيدة، ويجاري أربابه مجاراة حسنة، مع حسن السَّمت وفصاحة العبارة وجودة الكلام الموفي المراد الدال على معرفة ما يتكلم فيه من ذلك الفن، ويجمع إلى ذلك طريقة جميلة من تصوف وزهد وشرف نفس وقناعة وإعراض عن حب الشرف والرياسة، اجتمعتُ به غير مرة ورأيت منه ما يسر النفس ويبهجها»[4].

حكى السخاوي رحلاته المطولة والمتنوعة فقال: « ارتحل في سنة عشر ـ 810هـ ـ للحج فأقام بتونس أشهرا، ثم قدم القاهرة فحج منها وعاد إليها، ثم سافر منها في سنة اثنتي عشرة ـ 812هـ ـ إلى الشام فزار بيت المقدس وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضيلته وأجَّلوه وأخذوا عنه، ثم عاد إلى القاهرة فدام بها أشهرا ثم رجع إلى وطنه»[5]، وفي وطنه أقام على التأليف والتدريس

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:521.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:389.

(3) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:108. تجد الإشارة إلى أن زيادة و«كان فقيها إماما صدرا» من «نيل الابتهاج» للتنبكتي، وظهر لي أنها نسخة غير معتمدة في المطبوع وبها زيادات.

(4) ورأيت منه ما يسر النفس ويبهجها.

(5) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:10، ص:74.

في الحواضر والجوامع.

وطوال تلك الرحلات والتنقلات بين الحواضر تنوع شيوخه وطلابه، فأخذ عنه بالقاهرة المؤرخ المقريزي والإمام الشُّمُنِّي المفسِّر[1]، والإمام ابن مرزوق الكفيف والقاضي عبد الله الورياجلي الفاسي[2] بحاضرة تلمسان التي كان يقيم دروسه فيها بالجامع الأعظم، وغيرهم كثير، وكل من ترجم له ذكر أنه أوَّل من أدخل للمغرب «شامل بهرام»[3] و«شرح المختصر» له و«حواشي التفتازاني» على العضد.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

كان الإمام أبو الفضل بن الإمام صاحب صنعة تفسيرية تأليفا وتدريسا، فقد ذكر تلميذه القلصادي أنه كان صاحب مجالس «وأنه حضر مجلسه»[4]، والإمام الونشريسي صاحب «المعيار» الذي ذكر له فتوى تفسيرية طرحها أحد طلبته في مجلسه إذ يقول: «وسئل سيدي أبو الفضل بن الإمام عما أورده بعض الفضلاء عليمدرِّس في مجلس تدريسه، وذلك بأن قال المدرس في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الأنف، وخُص بالسمة لأنه أشرف أعضاء الوجه، فقال المعترض: لو كان الأمر كذلك للزم إذا سجد عليه دون الجبهة أن يجزيه، وليس الأمر كذلك، فسلَّم له المدرِّس الايراد ورآه لازماً، فهل هذا الايراد لازم أم لا؟

---

(1) تمت ترجمته.

(2) القاضي أبو محمَّد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي الفاسي، فقيهها وعالمها ومفتيها الإمام الجليل أخذ عن التازغدري وأبي محمَّد العبدوسي وأبي القاسم بن سراج وابن مرزوق الحفيد والقوري وغيرهم وعنه ابن غازي وانتفع به وأجازه إجازة عامة، وذكره في فهرسته وأثنى عليه كثيراً وله مع أبي العباس الونشريسي نازلة في شأن مرتب بعض مدارس فاس وفي ذلك فتاوى نقلت في المعيار، توفي سنة 894هـ. انظر: «**شجرة النور الزكية**»، ج:01، ص:384.

(3) يريد به كتاب «**الشامل في فقه الإمام مالك**» لبهرام بن عبد الله الدميري المصري (ت:805هـ)، ويعد هذا الكتاب من أهم شروح مختصر خليل وأكثرها فائدة، فمؤلفه من أخص تلاميذ الشيخ خليل.

(4) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:108.

فأجاب: الجواب عندي في الآية الكريمة أنه إنما عدل عن ذكر الأنف إلى ذكر الخرطوم، مع كون الخرطوم لا يطلق لفظه على الإنسان لغة، إنما هو إخراج للموسوم عن الحقيقة، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وخصَّ الأنف بالسمة تنبيها على أن الأنف في كلام العرب موضع الفخر والكناية عن الحسب، قال الحطيئة:

قومٌ همُ الأنف والأذنابُ غيرُهُمُ وَمَنْ يُسوَّى بأنفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَ

وقول من قال:

شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ

وهو أكثر من أن يذكر، وإذا أرادوا الحماية عن الحريم وغيره قالوا: فيه أنفة وأنِفَ من الأمر، وإذا وصفوا بالكِبر قالوا: أنفٌ في السماء وإستٌ في الماء؛ وإذا دعوا له قالوا: لا أصغر الله أنفه، وعلى الضّدّ: أرغم الله أنفه، وجاء: وإنْ رَغِمَ أنْفُ أبي ذَرٍّ، وإنما كان الأنف موضع كناية عن الكبر لأنه حاسة تبعث بإدراكها على ما يستطاب من الروائح الطيبة فيقبل الشامُّ، وتحمل تارة على الأعراض بحسب الصارف من الأمور الكريهة المشمومة. ولما كان كفر هؤلاء الكفار إنما عناد الأكثرين جاءت الآية منبهة على وَسمِه على الأنف المستعمل كثيرا في الأنفة وإلا بآية مناسبة في العقوبة وكون الكبْرِ هو المانع. ولا يرد علينا مثلاً كون الجبهة محلاً للسجود، فإنا نقول: الآية على المخاطبات اللغوية وعلى أسلوب الخطابة من مجاز وكناية وتشبيه وغير ذلك مما تنصرف فيه العرب من أساليب البلاغة، وأما السجود على الجبهة فمن التكاليف الشرعية وهي من السبعة الأعضاء التي أخبر ﷺ أنه أمر بالسجود عليها، والأنف أيضاً لم يخرج عن السجود ولو خرج ما ضر، ولو كلفنا بالجبهة وحدها لم يقدح فيما نحن فيه لاختلاف البابين والله أعلم»[1].

(1) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، ج:01، ص:230.

وأشار نويهض[1] إلى مؤلفه «أبحاث في التفسير»، ذكرها له التنبكتي وعلَّق عليها بالقول: « تكلم فيها مع الإمام المقَّري في مسائله التفسيرية»، ثم وصفها بأنها»مفيدة كتبتها في غير هذا الموضوع مع ما كتبت من فوائده التفسيرية»[2].

قلتُ: ومصنَّفه هذا لم يذكره غير التنبكتي وتوالت النقول عنه، كما لم أتبين من المقَّري هذا، هل هو الإمام المقَّري أحمد بن محمد، شهاب الدين (ت: بعد 847هـ) أو المقّري المفسِّر محمد بن محمد أبو عبد الله (ت:759هـ)، وليس بين يدي ما يمكن به الترجيح.

○ عاشرا: محمد بن أحمد بن النجار التلمساني، أبو عبد الله (ت: 846هـ):

الإمام الشيخ أبو عبد الله النجار التلمساني، أحد أعلام الحاضرة التلمسانية، حلَّاه ابن مريم في «البستان» بالقول: «العلامة الفقيه الأصولي»[3]، والقلصادي بأنه: «شيخنا الفقيه الإمام العلامة المتفنن»[4]، وابن مخلوف بأنه «الفقيه العلامة الأصولي الفهامة»[5]، أخذ عن شيوخ الحاضرة التلمسانية، وكانت له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، لم يُذكر في كتب التراجم والسير، إلا ما وَجدتُ من ترجمة مقتضبة له في رحلة تلميذه القلصادي، وكل من ترجم له لم يزد عمَّا أورده القلصادي.

نورد ترجمة الرحالة القلصادي له كاملة إذ يقول: «شيخنا الفقيه الإمام العلامة المتفنّن سيدي أبو عبد الله محمد بن النجار، كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، قرأت عليه بعض مختصر الشيخ خليل، وبعض «المستصفى» للغزالي وبعض «ابن الحاجب الأصلي»، وكذلك «تلخيص المفتاح»، **وحضرت**

(1) **معجم أعلام الجزائر**، عادل نويهض، ج:01، ص:75.

(2) انظر «**نيل الابتهاج**»، ص:305.

(3) انظر «**نيل الابتهاج**»، ص:305.

(4) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:102.

(5) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:366.

عليه بعض تفسير الكتاب العزيز، وبعض كتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين، و«المنهاج» للبيضاوي و«البرهانية» للسلالجي و«الجمل» للخونجي و«تلخيص المفتاح» غير مرة، وبعض الخفاف وشيئا من «المدونة»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ستة وأربعين وثمانمائة ودفن بمقبرته من بستانه خارج باب الجياد، وهناك صلي عليه»[1].

وعجيب لمن كان مقيما بالتدريس في كل تلك العلوم بحاضرة تلمسان، والتي ذكرها تلميذه القلصادي ألا يُترجم له ولا يُعرف، ولولا ترجمة القلصادي له لما عُرف أنه كان صاحب حلقات في التفسير واللغة وغيرها.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

أقام الإمام ابن النجار على تدريس التفسير في تلمسان، ولم يؤثر أنه ترك تأليفا أو تصنيفا فيه أو في علومه، وقد أشار تلميذه القلصادي إلى حضوره لحلقة شيخه في تفسير القرآن الكريم، وأنه كان صاحب درس تفسيري إذ يقول: «وحضرت عليه بعض تفسير الكتاب العزيز»، وليس بين أيدينا ما يمكن إضافته، وهل كان الشيخ ذا بصمة شخصية في تفسيره هذا أم لا؟ وهل كان يفسِّر القرآن الكريم من عنديته أو كان يقرأ في مجلسه أحد التفاسير المشتهرة ويقوم هو بتسهيلها وشرحها والتحشية عليها والتعليق؟ كلها أسئلة مهمة لا يمكن الإجابة عنها لندرة المصادر التي تحدثت عن هذا العَلم.

- **الحادي عشر: أحمد بن عبد الرحمن الحسني بن أبي يحيى التلمساني، أبو العباس (ت: 895هـ):**

الشيخ الإمام أحمد أبو العباس وقيل أبو جعفر، ابن المفسِّر أبي يحي بن الشريف، الحسني التلمساني، المفسِّر القاضي المحدِّث الحافظ الأصولي، من أكابر فقهاء المالكية، حفيد الشريف التلمساني، نشأ وتعلم بحاضرة تلمسان

(1) **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، ص:102.

وأخذ عن شيوخها كان والده أولهم، حلَّاه ابن مريم بالقول: «العالم العلَّامة المحقق المفسِّر»[1] والحفناوي بـــالعالم العلاَّمة قاضي الجماعة[2].

رحل إلى الأندلس وولي قضاء الجماعة بغرناطة في أواخر العهد الإسلامي بها، أخذ عن والده والإمام ابن مرزوق الحفيد، وممن تتلمذ على يديه بغرناطةالقاضي أبو عبد الله محمد بن الأزرق[3].

اتسمت ترجمته في كتب التراجم والسير بالإيجاز والاختصار المخل، فلم نظفر بكثير عن حياته ورحلاته وشيوخه وتصانيفه.

وفي «الوفيات» للونشريسي ما نصه: «وفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة توفى الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن سيدي أبي يحيى الشريف»[4]، خلافا للسخاوي الذي ذكر أنه: «ممن عمَّر، وهو سنة 896هـ من الأحياء»[5].

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

لم أجد من ذكر الإمام أبا العباس أحمد بالاشتغال بالتفسير تدريسا ولا تأليفا، إلا ما وجدته من تزكية كثير من الأعلام له بأنه العلم المفسِّر، كصنيع صاحب «تعريف الخلف»إذ وصفه بالمحقق المفسِّر[6]، وصاحب «شجرة النور» الذي حلّاه بالمفسِّر الفقيه الفهّامة[7]، والتنبكتي أيضا الذي وصفه بالقول:

---

(1) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:120.

(2) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج:02، ص:101.

(3) حمد بن علي بن محمد الأندلسي أبو عبد الله المشهور بابن الأزرق، كان عالما اجتماعيا، سلك طريقة ابن خلدون، شغل القضاء والسفارة والتدريس والإفتاء، أبرز شيوخه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البدوي، وأبو عمر محمد بن محمد ابن منظور، ولد سنة:831هـ بمالقا، وتوفي سنة:899هـ بالقدس. له كتاب: «بدائع السلك في طبائع الملك» و«شفاء الغليل في شرح مختصر خليل» وغيره.

(4) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:123.

(5) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، ج:02، ص:243.

(6) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج:02، ص:101.

(7) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:385.

«العلامة المحقق المفسِّر»[1].

وليس بين أيدينا أي مصادر تحدثت عن مجالسه التفسيرية أو تآليفه بحاضرة تلمسان أو غرناطة أو غيرها.

○ الثاني عشر: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني، أبو عبد الله (ت: 895هـ):

الإمام الشيخ أبو عبد الله وقيل أبو يعقوب محمد السنوسي التلمساني، الحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أمه، كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد. نشأ بتلمسان وولد بعد الثلاثين وثمانمائة، خصَّه التنبكتي بترجمة مطولة دقيقة حلَّاه فيه بالقول: «عالمها وصالحها وزاهدها وكبير علمائها الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق المقرئ الخاشع... كان آية في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقيه»[2]، وتلميذه الملالي التلمساني[3] بوصفه: «لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والعقول، شارك غيره فيها وانفرد بعلوم الباطن بل زاد على الفقهاء، مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة، سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى، كأنه يشاهد الآخرة، سمعته يقول: ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يُفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد خوفه تعالى»[4]، وابن مخلوف»: شيخ العلماء والزهاد والأساتذة العباد العارف بالله الجامع بين

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:123.

(2) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:563.

(3) محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي الملالي، نسبة على ملالة وهي إحدى قرى مدينة بجاية، ألَّف كتابا كبيرا في مناقب شيخه السنوسي سماه «المواهب القدسية في المناقب السنوسية»، توفي سنة:898هـ.

(4) نفس المرجع، ج:01، ص:564.

العلم والعمل»[1].

أخذ عن جماعة منهم والده يوسف أبو يعقوب والشيخ العلامة نصر الزواوي[2] والعلامة محمد بن توزنيت والسيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني أخذ عنه القراءات، وعن العالم أبي عبد الله الحبَّاك[3] علم الاسطرلاب، وعن الإمام محمد بن العباس الأصول والمنطق، وعن الفقيه الجلاب[4] الفقه، وعن الولي الكبير الصالح الحسن أبركان الراشدي حضر عنده كثيرا وانتفع به وببركته، وكان يحبه ويؤثره ويدعو له، فحقق الله فيه فراسته ودعوته، وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي[5] أخيه لأمه «الرسالة»، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكنابشي[6] إرشاد أبي المعالي، والتوحيد عن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي والصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه ما يجوز له، وعنه وعن الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح إبراهيم التازي[7] ألبسه الخرقة وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها، وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم.

وتتلمذ على يديهمن لا يعد كثرة منهم الملالي التلمساني وابن صعد[8] وأبو

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:384.

(2) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**» ج:01، ص:615.

(3) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:543.

(4) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:552.

(5) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:341.

(6) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:371.

(7) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:59.

(8) محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد وبه عرف، التلمساني الفقيه العالم المحصل العلامة، أخذ عن الإمام خاتمة العلماء محمد بن العباس والحافظ التنسي والإمام السنوسي وألف كتاب «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب»، و«روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين» وهم: الهواري وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن العماري، توفي بالديار المصرية في رجب سنة إحدى وتسعمائة، قاله الونشريسي

القاسم الزواوي[1] وابن أبي مدين وابن العباس الصغير وأبو عبد الله المغيلي الآتي والشيخ زروق وغيرهم كثير.

توفي الإمام عن ثلاث وستين سنة، يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرةسنة:895هـ، ودفن بتلمسان، وتجدر الإشارة إلى أن تلميذه الملالي التلمساني قد جمع في أحواله وسيره وفوائده تأليفا كبيرا في نحو ستة عشر كراسا من القالب الكبير، اختصره التنبكتي في جزء أشار إلى أنه في ثلاثة كراريس.

له مصنفات وتآليف كثيرة مفيدة متنوعة علَّق ابن مخلوف عند إيرادها بالقول: «له تآليف كثيرة تشهد بفضله»[2] نذكر منها:

«المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي» شرحه الكبير على الحوفية[3]، علَّق عليه تلميذه الملالي بالقول: «كبير الجرم كثير العلم ألَّفه وهو ابن تسعة عشر عاما، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان تعجب منه وأمر بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لئلا يصاب بالعين ويقول له: لا نظير له فيما أعلم ودعا لمؤلفه»[4]، منه نسخة بدار الكتب الوطنية التونسية، رقم الحفظ: رقم تسلسل 3230، ونسخة ثانية بدار الكتب الوطنية الجزائرية برقم حفظ: 1450.

«عقيدة التوحيد» علَّق عليها تلميذه الملالي بالقول: «في كراريس من القالب الرباعي، أوَّل ما صنَّفه في الفن ثم **شرحها** ثم **الوسطى وشرحها** في ثلاثة عشر كراسا، ثم **الصغرى وشرحها** في ست وهي من أجلِّ العقائد لا تعادلها عقيدة»[5].

في وفياته. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:575.

(1) انظر ترجمته في «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:150.

(2) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:385.

(3) **متن الحوفية** مختصر في علم الفرائض للشيخ أحمد بن محمد بن خلف أبو القاسم الحوفي القاضي المالكي (ت:588هـ).

(4) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:571.

(5) نفس المرجع، ج:01، ص:571.

«شرحه الكبير على الحريرية»، علَّق عليه تلميذه الملالي: «فيه نكت نفيسة»، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ: 5338 ـ فب.

«مختصر الأبي على مسلم»، علَّق عليه تلميذه الملالي: «في سفرين فيه نكت حسنة». منه نسخة بخزانة القرويين بالمغرب بفاس، رقم حفظ: 493. ونسخة ثانية بالمكتبة الوطنية بالرباط برقم حفظ: 40.

«شرح إيساغوجي في المنطق» تأليف البرهان البقاعي، وإيساغوجي هو عنوان الكتاب الذي وضعه فرفوريوس الصوري ليكون مدخلا للمقولات أو المنطق، وكلمة إيساغوجي يونانية بمعنى المدخل أو المقدمة، علَّق عليه تلميذه الملالي: «كثير العلم»، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ: 01424، ونسخة بدار الكتب الوطنية الجزائرية برقم حفظ: 1307/ 2.

«شرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب»، علَّق عليه تلميذه الملالي: «شرح جليل»، منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ: 10517، وهي فيها بعنوان: «مختصر بغية الطلاب في علم الاسطرلاب».

«شرح على البخاري» وصل فيه التي باب «من استبرأ لدينه»علَّق عليه تلميذه الملالي: «الشرح العجيب».

«شرح مشكلات البخاري» علَّق عليه تلميذه الملالي: «في كراسين».

«مختصر الزركشي على البخاري» و«شرح مقدمة الجبر والمقابلة» لابن الياسمين و«شرح جمل الخونجي في المنطق».

«شرح مختصر ابن عرفة»، علَّق عليه تلميذه الملالي: «فيه حل صعوبته وقال لي: إن كلامه صعب سيما هذا المختصر تعبت كثيرا في حله لصعوبته إلى الغاية، لا أستعين عليها إلا بالخلوة».

«شرح مختصر خليل» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، ، رقم الحفظ: 01423.

«تفسير ماضمنته كلمات خير البرية عن غامض أسرار الصناعة الطبية» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ: 02010 ـ 1.

«رسالة في إثبات وجود الله» منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ: 07711-4.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام السنوسي أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير وعلومه تدريسا وتأليفا، أما عن حلقاته فيه فقد ذكروا في ترجمته أنه فسَّر القرآن الكريم كله في مسجد «درب المسوفة» بحاضرة تلمسان، كما ذكروا له مجلسه التفسيري في حادثة طلب الوزير للإمام بأن يقرأ التفسير بحضرته إذ يقول التنبكتي: «ولما وصل في تفسيره سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما، سمع به الوزير وأراد حضور الختم، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوما واحدا خيفة حضوره عنده، وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته، على عادة المفسرين، فامتنع فألحوا عليه فكتب إليه معتذرا بغلبة الحياء له ولا يقدر على التكلم هناك، فأيسوا منه»[1].

كما ذكره تلميذ أبو جعفر البلوي الوادي آشي أنه حضر دروسه التفسيرية إذ يقول: «لقيته ﷺ وحضرت مجلسه الغاص بالمستفيدين من طلبة العلم والعامة، بمسجده قرب داره بدرب مسوفة من داخل تلمسان ـ أمنها الله تعالى ـ، وحضرت الفاتحة وأوائل سورة البقرة تقرأ عليه بالسبع»[2].

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:566.

(2) **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ص:436.

أما عن تصانيفه في التفسير فقد ذُكر في ترجمته أنه ألَّف تفسير اللقرآن الكريم وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5][1].

وله أجزاء متفرقة كـ«تفسير سورة ص» و«تفسير سورة الكوثر»[2] و«تفسير سورة الفاتحة»[3] ولا يستبعد أن تكون هي نفسها تفسيره الكامل وأن الباقي قد فُقد، خاصة أن صاحب «تعريف الخلف» عند ذكره «تفسير سورة ص» قال: «وما بعدها من السور»[4]، واشكل علي في ذلك بعبارة تلميذه البلوي الوادي آشي إذ يقول: «وكان ابتدأ تفسيرا آخر من سورة صاد ولا أدري حيث انتهى من المصحف لطول عهدي برؤيته»[5] فالله أعلم.

قلتُ: و«تفسير سورة الفاتحة» حققه الأستاذ عبد الرحمن حمادو الكتبي، ونال به الجائزة الثانية في المسابقة الدولية الأولى لإحياء التراث الجزائري.

وله أيضا «مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف» وهو في عداد المخطوطات التفسيرية المفقودة.

كما عثرتُ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، على مخطوط بعنوان: «تفسير بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية» برقم حفظ: 10903، ونسخة ثانية برقم: 13117 ـ 4. وله أيضا تفسيرا لكلام ابن البناء (ت: 721هـ) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن

(1) منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان برقم:826، وأخرى بالمكتبة الوطنية الجزائرية، برقم:656. وانظر دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت ففيها نسخة برقم:127. ومنه نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط. أشار صاحب «البستان» أنه في ثلاثة كراريس في القالب الكبير.

(2) منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان بالمملكة المغربية، برقم:102.

(3) منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية، رقم الحفظ:7-07864، وأخرى برقم:4-12547، وثالثة برقم:1-12757، ورابعة برقم:5-13074، ونسخة بدار الكتب الوطنية الجزائرية برقم حفظ:65، ونسخة بمكتبة خزانة تطوان، بالمغرب برقم حفظ:739م.

(4) **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، ج:1، ص:667.

(5) **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ص:446.

يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[الحجرات: 11]، ولم أعثر عليه ولاعلى أي معلومة حوله.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب «المواهب القدسية في المناقب السنوسية» لمحمد بن عمر الملالي حفظ لنا جملة كبيرة من تفسير الإمام السنوسي، إذ عقد بابا كاملا بنقولاته لتفسير الإمام السنوسي، والكتاب في عداد المخطوط الذي لم يحقق أو يطبع بعد.

لوحات من مخطوط «المواهب القدسية في المناقب السنوسية»

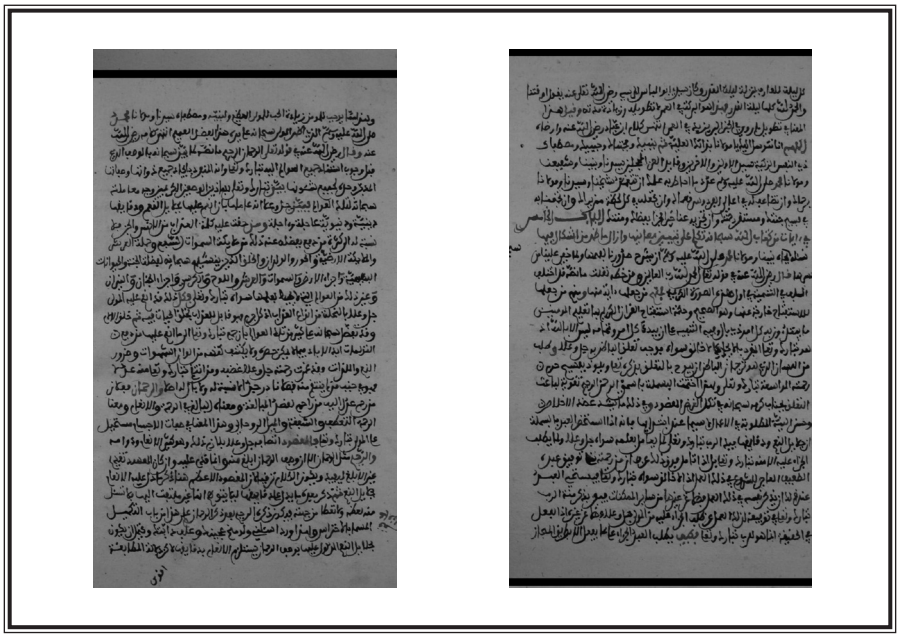

الباب الخامس: تفسير الشيخ السنوسي لبعض الآيات المشكلة

ومما وجدته في «المعيار المعرب» للونشريسي جوابا مطولا للسؤال الذي تطرقنا له في ترجمة الإمام الرّصّاع عن تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ هذا نصه:

«وسئل أصحابنا فقهاء تلمسان أهل الفضل والإحسان، عما وقع في كتاب

«تكملة الأبرار» في تسوية الورثة للجنة بعد تخصيص اسم فرقة وهم ثلاثة في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ بعد قوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ثم سوَّى بينهم في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ بعد جعله سبحانه جملتهم مصطفين في قوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فقسَّم الورثة إلى الأصناف الثلاثة، والظالم لنفسه منهم هو المسرف والجاني على نفسه بمعصية، وبقي له أصل إيمانه، والمقتصد هو المذكور في قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ والسابق بالخيرات هو المسارع إلى أعمال الطاعات، واجتناب المخالفات، فتأمل دخول الأصناف الثلاثة تحت اسم الاصطفاء والإرث، وهي حيث يطلق عليه أنه ممن اصطفي يصح إطلاق الصلاح عليه إطلاقاً نسبياً بحاله من السلامة وتسليمه لربه سبحانه واعترافه بذنبه، فقد فارق بهذا الاسم من ارتسم بالكفر، ولو قدرنا اجتماع العالم بجملته وانحياز أهل الكفر على شر مرتكباتهم في جهة، وجملة المتعبدين والمتقدمين في أعمال البر الذين لم يقع من واحد منهم معصية في جهة، وبين الفريقين أهل المعاصي والظلم لأنفسهم غير مختلطين بأحد الفريقين، ثم نادى هؤلاء العصاة منادٍ لا تمكن مخالفته، ألا يلحق كل إنسان لحزبه من الفريقين، للحق هؤلاء العصاة بفريق المتقين، وتمسكوا بهم. وهذا مشاهدٌ لنا في دنيانا، فإنا نرى العاصي من هذه الأمة إذا نزلت به أزمة أو أصابته شدة، لجأ إلى أهل التقوى وتعلق بهم لأنهم آله وحزبه ما أبقى الله عليه إسلامه، ومن فارق الإسلام وأخذ بمعتقد الكفرة لحق بأهل الكفر لا محالة.

وقد قسَّم الله الخلائق قسمين لا ثالث لهما، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ فشمل قوله سبحانه: ﴿وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ أصناف أهل الإيمان، من صالح وطالح، كما شمل اسم الكفر ضروب الكفار، أعاذنا الله من ذلك، انتهى.

فتأملوا أعزكم الله وأبقاكم هذا الكلام، وبينوا لنا مقتضى هذه الآية الكريمة

على ما تسعه الأفهام، ولكم من الله الأجر الجزيل التام أبقاكم الله، وأدام بكم الانتفاع العام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وكان جواب الشيخ الإمام السنوسي كالآتي:

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، حاصل المعنى فيما نُقل أعلاه أن المؤمنين الذين أخبر مولانا تبارك وتعالى عنهم بالاصطفاء، وحكم لجميعهم بدخول جنات عدن وبالتنعم في مشتهياتها هم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الظالمون لأنفسهم، وهم المسرفون في المعاصي، الذين لا يبالون بما يأتون منها بحسناتهم، وبعض ليس له حسنة إلا حسنة الإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم السلام.

والصنف الثاني: هم المقتصدون وهم الذين توسطوا في الأعمال، وخلطوا بين الحسنات والسيئات.

والصنف الثالث: وهم المسارعون إلى أعمال الطاعات واجتناب المخالفات.

ثم إن المولى تبارك وتعالى منَّ على الجميع فضلاً منه وكرماً وإحساناً بأن أدخلهم تحت اسم الاصطفاء، ويصح إطلاق اسم الصلاح على جميعهم إطلاقاً نسبياً، أي بالنسبة والإضافة إلى من اتصف بالكفر بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام، فإن هؤلاء الكفرة ليس معهم إلا الفساد في بواطنهم وظواهرهم، وأما المؤمنون وإن كانوا مسرفين في المعاصي، فعندهم صلاح بواطنهم بما حل فيها من نور الإيمان وصلاح ظواهرهم بالنطق بكلمتي الشهادة، وهم أيضاً معترفون بحقوق مولاهم عليهم، وأنهم عصاة مستحقون للعقوبة على جرأتهم، ولا يعتقدون حلة ما ارتكبوا من المعاصي، بل يعتقدون شرها

(1) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، ج:01، ص:365-366.

ويتمنون التوفيق لمفارقتها، فقد فارقوا بهذه الأوجه الشريفة التي منَّ مولانا جل وعلا عليهم بها الكفر بالله تعالى وبرسوله، فلهذا ألحقهممولانا سبحانه فضلاً منه بزمرة السابقين، وحكم بدخولهم معهم في جنات عدن، لانحيازهم إليهم في الإيمان بالله تعالى ورسلهم عليهم الصلاة والسلام وكونهم إنما يستصوبون بقلوبهم أعمال السابقين لا أعمال الكافرين.

وأيضاً فمرجعهم عند الشدائد والدواهي وانحيازهم بظواهرهم وبواطنهم إنما هو إلى زمرة السابقين، إذ لو فرضنا حرباً وقع بين أولياء الله السابقين، وبين أعداء الله تعالى الكافرين، لانحاز كل مقتصد وكل ظالم وكل مسرف في الكبائر بين أهل الإيمان إلى فريق السابقين، وحاربوا معهم الكافرين، ووقوهم بأنفسهم وأموالهم، وحرصوا على سلامتهم بقدر استطاعتهم. وأيضاً لو قدرنا اجتماع عوالم المكلفين بجملتهم، وانحاز الكفار منهم على اختلاف أصنافهم إلى جهة، وانحاز أصناف السابقين وأهل الولاية الذين لم يقع من واحد منهم معصية إلى جهة أخرى، وجعل بين هذين الفريقين عصاة المؤمنين بصنفيهم وهم المقتصدون والظالمون في موضع واحد، لم يختلطوا فيه إلا بالسابقين لا بالكافرين، ثم نادى بهؤلاء العصاة من لا تمكنهم مخالفتهم، وأمرهم أن يلحق كل واحد منهم بحزبه من الفريقين وهما فريق الكافرين وفريق السابقين، لسعى كل واحد من أولئك العصاة من غير تردد، وجرى حتى يلتحق بفريق السابقين ويتعلق بهم ويستمسك بأذيالهم.

وأيضاً فمولانا تبارك وتعالى قسّم جميع المكلفين إلى قسمين: مؤمن وكافر، فقال جل من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فدخل في قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ جميع أصناف أهل الإيمان، من صالح وطالح، ظالم ومقتصد، كما دخل في قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ جميع أصناف الكفرة، فكما يجتمع الكفرة في الخلود في العذاب والجحيم، يجتمع جميع أصناف المؤمنين في الخلود في جنات النعيم.

اللهم احشرنا مع الآباء والأمهات والزوجات، والإخوة والمشايخ، والذرية والأحبة، في زمرة السابقين في جنات عدن في عافية، فلا محنة بجاه الشفيع المشفع عندك سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ذوي السبق في الدنيا والآخرة، إلى كل فضل ومنة»[1].

قلتُ: وهو سؤال تطرقنا له سابقا، وأن مشايخ الحاضرة التلمسانية قد أجابوا عليه، ثم تم رفعه للإمام الرصاع أبي عبد الله بحاضرة تونس لينظر فيه ويسدد وأوردته هناك، وكلام الشيخ هنا مغمور بروح التخشع لله تعالى، مصبوغ بالرحمة والرأفة، مع مسحة علمية زكية ـ رحم الله أعلامنا ـ.

○ الثالث عشر: محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله التنسي (ت: 899هـ):

الشيخ الإمام محمد أبو عبد الله التنسي التلمساني، من أكابر علماء حاضرة تلمسان، وبها ولد ونشأ وتعلم، أصله من تنس، حلَّاه ابن مخلوف بالقول: «من أكابر علمائها، الإمام الجليل الفقيه المطلع بقية الحفاظ الأديب العالم المتفنن»[2] والتنبكتي بالفقيه الجليل الحافظ الأديب المطلع، من أكابر علمائها الجلة[3]، ووصفه ابن القاضي في «درة الحجال» بأنه كان فقيها جليلا حافظا أديبا، من أكابر علماء تلمسان[4].

أخذ عن والده عبد اللهبن عبد الجليل التنسي الذي حفظ على يديه القرآن الكريم وأخذ عنه علوم العربية وآدابها والحديث الشريف، ثم انتقل إلى حاضرة الزيانيين مدينة تلمسان فتتلمذ على يد أئمة الحاضرة كأبي الفضل بن

(1) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، ج:01، ص:367-369.

(2) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:385.

(3) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:572.

(4) **درة الحجال في أسماء الرجال**، أحمد بن محمد ابن القاضي، تحقيق: محمدالأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ط:01، ت:1971م، ج:02، ص:143.

مرزوق المفسِّر وقاسم العقباني المفسِّر والمفسِّر ابن الإمام، والإمام أبو عبد الله محمد النجار المفسِّر والولي إبراهيم التازي والإمام الشهير بابن العباس وابن زاغو وغيرهم.

وتتلمذ على يديه ثلة من أعلام الحواضر كابن صعد وابن مرزوق السبط وأبو العباس الصغير الذي لازمه وانتفع به، وأبو القاسم الزواوي وعبد الله بن جلال ومحمد بن العباس بن محمد بن عيسى العباديوغيرهم، ولما خرج أبو العباس المذكور من تلمسان سئل عن علمائها فقال: العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري[1].

لم يُشر في تراجمه إلى أنه رحل وارتحل ولو حجا، ونقل السخاوي ترجمته بصيغة «بلغني» واقتضب جدا فيها، ووجدت فيها» انتقل إلى مدينة فاس حيث أخذ عن علمائها، وسافر أيضا إلى المشرق ليستفيد مما يرويه محدثوه وعلماؤه» ولم يشر صاحب المعلومة لأي مرجع أو مصدر.

توفي الإمام التنسي أبو عبد الله بتلمسان ودفن بها سنة: 899هـ، وكان يوما مشهودا بوفاته ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأعلى مراتبه ـ.

- **من مصنفاته وتآليفه:**

«نظم الدرر والعقيان في دولة آل زيان» اختصارا، وهو«نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان» مطبوع متداول، وهو موسوعة تاريخية وأدبية عن تاريخ بني زيان وتاريخ المغرب الأوسط، ويعتبر المصدر العربي الوحيد لفترة من تاريخ هذه الدولة، تزيد على سبعين سنة، وقد حققه الدكتور محمود بوعياد مدير المكتبة الوطنية الجزائرية.

«الطراز في شرح ضبط الخراز» ذكره بعضهم بـ«تأليف في الضبط»، وهو من أشهر مؤلفاته في فن الضبط، وهو علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف،

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:573.

التي هي الفتح والضم والسكون والكسر والشدّ والمدّ ونحو ذلك، ويرادف الضبط الشكل، وصفه أبو جعفر أحمد بن علي البلوي تلميذ مؤلفه بقوله: «أجاد فيه وأفاد، وأحسن ما شاء وأراد»، شرح به منظومة«مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن» لأبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز، وهي أرجوزة في ضبط رسم القرآن الكريم، وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصَّص منها صاحبها الخراز 454 بيتا للرسم، والباقي وهو 154 بيتا للضبط، وهو مطبوع متداول معتمد في المصاحف، وقد حققه الدكتور أحمد بن أحمد شرشار سنة: 1420هـ.

والكتاب عليه حواش عديدة كـ«حاشية على الطراز» لأبي علي الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي (ت: 1023هـ) منها أربع نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط.و«حاشية على الطراز» أيضا لأبي زيد عبد الرحمان المنجرة، وهي مخطوطة في نسختين بالخزانة الحسنية برقم حفظ: 6950، مجموع (1)6128. و«طرر على الطراز» لعبد الواحد بن عاشر صاحب فتح المنان المروي بمورد الظمآن، أثنى عليه فيها القادري في «نشر المثاني» فقال: وله طرر عجيبة على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي.

«راح الأرواحفيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح»، جمع فيه القصائدالتي قالها الخليفة الأديب أبو حمو موسى الثاني.

«تعليق على فرعي ابن الحاجب» مصنَّف مفقود.

«نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط» كذا سمَّاها الونشريسي، وهي جواب مطول عن مسألة يهود توات، أثنى عليه فيها عصريه الإمام السنوسي المفسِّر غاية الثناء، فمما قال: «لقد وفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفا غليل أهل الإيمان في المسألة، وما بالى لقوة إيمانه ونصوع إلقانه بما يشير إليه الوهم الشيطاني، الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ

المحقق أبو عبد الله التنسي جزاه الله خيرا، قد أمد لإبانة الحق ونشر أعلامه النفس، وحقق نقلا وفهما، وبالغ فأبدى من نور إيمانه الماحي ظلمة الكفر أعظم قبس»[1]. انظرها في«المعيار».

«فهرست» بأسماء مشايخه.

وصنَّف في «إسلام أبي طالب»اتهم فيه بالرفض، وهو مصنَّف مفقود.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

الإمام التنسي تلميذ أشهر أعلام المفسِّرين الجزائريين كابن الإمام وقاسم العقباني، وابن مرزوق الحفيد وابن زاغو، لم يترك تصنيفا في التفسير، ولكنه صاحب تأليف «الطرّاز في رسم الخّراز»للقرآن الكريم، كان صاحب مجلسٍ يُدرِّس فيه التفسير حكى عنه تلميذه أبو عبد الله بن أبي العباس الصغيربالقول: «لازمت مجلس الشيخ الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام، **وحضرتُ لإقرائه تفسيرا** وحديثا...»[2].

وذكر تلميذه أبو جعفر الوادي آشي حلقاته ودروسه التفسيرية محليا له مفتخرا بالقول: « سمعت على شيخنا جملة وافرة من تفسير كتاب الله العزيز، من سورة الأعراف ـ فاتني منها أقلها ـ بما يجب لذلك من التحقيق والتحرير مما ذكره المفسرون، وما لم يذكره صاحب تفسير، بل من نتائج فكره المصيب، ومتلقياته عن مشايخه الأعلام الذين ورث مقاماتهم بالفرض والتعصيب»[3].

ونفس السؤال الذي أورده صاحب «المعيار المعرب» حول تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ ثم أورد إجابته للإمام السنوسي، أورد أيضا نفس

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:573.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:431.

(3) **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، ص:319.

السؤال والإجابة للإمام التنسي التي كتبها بيده، فقد رُفع السؤال أيضا إليه فأجاب بما يلي:

«الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم:

الذي عليه جمهور المفسِّرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هذه الآية الكريمة لأمة سيدنا محمد ﷺ بأقسامها الثلاثة، وأن المراد بالكتاب فيها هو القرآن الكريم، إذ ما من أحد من هذه الأمة إلا وهو مصدق بالقرآن وآخذ منه بنصيب، حفظاً وفهماً وعملاً ولو لم يكن إلا القدر الذي يصلي به، إذ ما من أحد من هذه الأمة لا يخلو من حفظ ذلك المقدار، وإن لم يحافظ عليها فهو إذلم يحافظ عليها وعلى غيرها من سائر التكاليف ظالم لنفسه، من أجل أنه وضعها في غير موضعها الحقيقي الذي خلقت له، لكن اسم الإرث حاصل له، إذ ما من حرف يقرأ مما حُفظ من القرآن ولو لم يكن إلا سورة الحمد لله له به عشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء. كما أن وصف الاصطفاء باقٍ عليه حيث لم يخرج عن دائرة الأمة فهو من جملة من اصطفاهم الله، أي اختارهم من سائر الأمم حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وظلم النفس لا ينافي الاصطفاء، فقد قال آدم عليه السلام مع كونه مصطفى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ فإذا ثبت كون الظالم لنفسه وارثاً للكتاب، متصفاً بالاصطفاء، كان ذلك في المقتصد أظهر، إذ هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأما السابق فلا إشكال في أنه سابق إذا حفظه الله من التلبس بشيء مما يؤثر في درجة السبقية.

فالأصناف الثلاثة داخلة في وراثة الكتاب وفي الاتصاف بالاصطفاء، وإن كانت منازلهم متفاوتة، ولذلك وصفهم الله عز وجل بالفضل وجمعهم في دخول الجنة والتنعم فيها وبالثناء عليه بما أولاهم من إذهاب الحزن عنهم بانعدام موجبه وانكشافه، وباعترافه بما منَّ عليهم من عظيم غفرانه للفريقين الأولين، وعظيم شكره بجزيل الثواب للفريق الثالث، حسبما دلت عليه صيغة المبالغة في الوصفين الكريمين، فمن تأمل الآية الكريمة من أولها إلى آخرهاوقف على

صحة ما قلناه، وموافقته إلى ما أشار إليه صاحب الكلام المتقدم في كتابه.

ويؤيد ذلك كله ما رواه عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**سَابِقُنَا سَابِقٌ، ومُقْتَصِدُنا لاحقٌ، وظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ**)، فأنت ترى ما في هذا الكلام النبوي من إضافة الأقسام الثلاثة إلى ضمير الأمة المحمدية شرفها الله، فهم كلهم داخلون فيما وُصفت به من الاصطفاء، حيث كانت خير أمة أخرجت للناس، ويزيد ذلك بياناً وإيضاحاً ما ذكره أبو الخليل عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال: تلومني أحبار بني إسرائيل على أن دخلت في أمة فرقهم الله أولاً ثم جمعهم فأدخلهم الجنة جميعاً، ثم تلى هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

وقد جاء عن كعب الأحبار ما يدل على فضل الأمة المحمدية آثارٌ مذكورة في الحلية وغيرها، أقربها مطابقة لما نحن نتكلم فيه، منها ما روي أنه رأى حبراً يهودياً يبكي، فقال له ما يبكيك؟ فقال: ذكرت بعض الأمر، فقال له كعب: أنشدتك الله تعالى لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقني، قال: نعم قال: أنشدتك الله هل تجد في الكتاب المنزل على موسى ﷺ نظر في التوراة، فقال: إني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الدجال، فقال موسى: رب اجعلهم أمتي، فقال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبرُ: نعم، قال: فأنشدتك الله هل تجد في الكتاب المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي؟ قال: هم أمة أحمد. قال الحبر: نعم. قال كعب: فأنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأول يحرقون صدقاتهم بالنار، غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل، فلا

يجد عبداً مملوكاً ولا أمة إلا اشتراه ثم أعتقه، وما فَضُل حفر له بيراً عميقة القعر فألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيها وهم: المسبحون والمسبحات، والشافعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم. قال كعب: فأنشدك الله، هل تجد في الكتاب المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبَّر، وإذا هبط وادياً حمد الله تعالى، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد، حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء، حيث لا يجدون الماء، غُرٌّ محجلون من آثار الوضوء، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم. قال كعب: فأنشدك الله هل تجد في الكتاب المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإذا عملها ضعفت له إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وإذا همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإذا عملها كتبت سيئة مثلها، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم. قال كعب: فأنشدك الله هل تجد في الكتاب المنزل أن موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء، يوتون الكتاب واصطفيتهم، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً فاجعلهم أمتي قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم قال كعب: فأنشدك الله هل تجد في الكتاب المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم، يلبسون ثياب أهل الجنة، يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل، لا يدخل النار منهم أحد إلا من برئ من الحسنات كما برئ الحجر من ورق الشجر، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم.فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمته، قال: يا ليتني من أصحاب محمد، فأوحى الله تعالى إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وقال:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

قال: فرضى موسى كل الرضى، انتهى.

فقوله في السؤال السادس: إني أجد أمة مرحومة ضعفاء، يوتون الكتاب واصطفيتهم، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً مطابق لما فيه من الكلام. وهو نص صريح في أن هذه الأمة المحمدية مذكورة في التوراة بأنواع من الفضل، منها أنهم الذين ورثوا الكتاب، وإن الله اصطفاهم على ما هم عليه من الأقسام الثلاثة التي هي الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، فقد اتفق ما في التوراة وما في القرآن على أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة أنهم الذين أوتوا الكتاب وورثوه، واصطفاهم الله على غيرهم، فهنيئاً لهم بما خصهم الله به من الكرامات، فليتلقوا ذلك بالشكر بالقلب واللسان والجوارح.

جعلنا الله من المسارعين إلى القيام بأداء حقه في ذلك...**قاله وكتبه محمد بن عبد الله التنسي**»[1].

قلتُ: وقد انتصر الإمام الرصاع لجواب الإمام التنسي واستملحه واستلطفه، وأثنى عليه كثيرا وعلى علمه.

○ الرابع عشر: أحمد بن محمد ابن زكري، أبو العباس (ت: 899هـ):

الشيخ الإمام ابن زكري التلمساني، أبو العباس، علامة تلمسان ومفتيها في زمنه، مفسِّر أصولي بياني، من أكابر فقهاء المالكية بحاضرة تلمسان في زمانه، ولد بها وبها نشأ، حلَّاه التنبكتي بالقول: «علامتها ومفتيها العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي الفروعي المفسِّر الأبرع المؤلف الناظم الناثر»[2]،

(1) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، ج:01، ص:369-374.

(2) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:129.

وابن مخلوف بأنه «عالمها ومفتيها الإمام العالم المتفنن الهمام الفروعي الأصولي النظار الشاعر»[1]، وأيضا ابن مريم بالقول: «الفقيه الأصولي البياني المنطقي»[2]، انتخبه للعلم شيخه ابن زاغو بقصة مفيدة جاء فيها: «كان في أول أمره حائكا فدفع له شيخه ابن زاغو غزلا ينسجه له، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلا يكمل به، فوجدهيدرِّس ويقرر قول ابن الحاجب، وخرج في الجميع قولان، فأشكل معناه على الطلبة وعسر عليهم فهمه، فقال له ابن زكري: أنا فهمته ثم قرَّره أحسن ما ينبغي، فقال له الشيخ: مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة، وكانت أم زكري أيِّما، فذهب إليها الشيخ ابن زاغو وحضها أن تحرض ولدها على طلب العلم، ـ وعاهدها بأن يدفع لها نصف دينار أجرة عمله السابق التي كان يحصلها ـ فاشتغل حينئذ بالعلم فكان منه ما كان»[3].

أخذ عن شيوخ الحاضرة وأعلامهاكالإمام ابن مرزوق الحفيدوالشيخ قاسم العقباني، والإمام أحمد بن زاغو والمفتي محمد بن العباس وغيرهم كثير، **كما أخذ عنه وتتلمذ على يديه** خلق كبير من أجلهم الإمام أحمد زروق والخطيب محمد بن مرزوق حفيد الحفيد، والشيخ أبو عبد الله محمد بن العباس وغيرهم، ووقع له منازعة ومشاحة مع الإمام السنوسي المفسِّر في مسائل كلٌّ يرد على الآخر.

كان يقيم دروسه بالجامع الأعظم، مشتغلا بالتدريسبمدرستهالخاصة بحي «باب الحديد» بتلمسان، وصف ابن مريم طريقته بالقول: «وكان يكرر المسألة الواحدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى يفهمها الخاص والعام، وانتفع به المسلمون كلهم»[4].

(1) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:386.

(2) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:111.

(3) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:129-130.

(4) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:115.

توفي الإمام ابن زكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة 899هـ، وعند بعضهم سنة: 900هـ، وقبره مشهور بروضة الشيخ السنوسي.

- **من مصنفاته وتآليفه:**

«محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد» منظومة في علم الكلام تنيف على 1500 بيت، منها نسخة مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، رقم الحفظ: ب 10556.

وله مختصر بعنوان: «مختصر نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد» منه نسخة بخزانة ابن يوسف بمراكش بالمغرب، رقم الحفظ: 248/ 1.

«غاية المرام بشرح مقدمة الامام» شرح الورقات لأبي المعالي الجويني، منه نسخة بدار الكتب المصرية، القاهرة، رقم الحفظ: 1/ 390 (348).

«معلم الطلاب فيما للأحاديث من الألقاب» والظن أنها لابن زكري الفاسي، منه نسخة بالخزانة العامة، بالمغرب، رقم الحفظ: 503/ 2.

«بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب»، و«مسائلالقضاء والفتيا»، وهي مفقودة.

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام ابن زكري الذي ذكروا في ترجمته أنه المفسِّر الأبرع، أحد الأعلام الذين خدموا التفسير تدريسا بالجامع الأعظم بتلمسان وبمدرسته الخاصة بحي الحديد، فقد كان يعقد دروسه التفسيرية وغيرها من العلوم فيها، أورد صاحب «البستان»نموذجا من احتفاء شيوخ الحاضرة به في التفسير إذ يقول: «أن علماء تلمسان توافقوا على قراءة التفسير، فقدموا سيدي محمد بن العباس يقرئ، فطالع ما في التعوّذ وما في البسملة والفاتحة وفسَّرها الشيخ، ثم إن القارئ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح: 1]. خلاف ما طالع الشيخ، فعسر عليه الأمر لأن الفقهاء أرادوا أن يفضحوه لأن هذه القراءة بين يدي السلطان، ثم إن

سيدي أحمد ـ بن زكري ـ وقف بين يدي الشيخ وقال له: يا سيدي إن محلها من الإعراب محل خال، ثم إن الشيخ رضي الله عنه فتح له طريقه في كل فن، فلما فتح له الطريق صار من الضحى وهو يفسِّر ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ إلى الزوال، فلما فرغ الشيخ ضمَّ سيدي أحمد بن زكري إلى صدره»[1].

وأورد الإمام الونشريسي في معياره أيضا نموذجا من جوابه لنفس السؤال الذي ورد للإمام التنسي والسنوسي وابن أبي العيش وغيرهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ إذ يقول:

وأجاب صاحبنا الفقيه العالم المفتي أبو العباس أحمد بن زكري بما نصه:

الحمد لله، قد اتفق أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآيةالكريمة القرآن المنزل على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وهو المنزل للإعجاز بسورة منه، وأن المراد بـ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ المؤمنين به من أمته. فالأقسام الثلاثة وهي الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق، مؤمنون كلهم، فلا واحد من الكفار بداخلٍ في الأقسام المذكورة.

والدليل على ذلك أن تقول: كل واحد من الأقسام في الآية مخبر عنه بدخول الجنة، ولا شيء من الكفار بمخبر عنه بدخول الجنة، فمن أوَّل الثاني لا شيء من الأقسام في الآية من الكفّار، وأما الصغرى فلقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ على ما هو الصحيح في عود الضمير الذي هو الواو في الآية، فإنه عائد على الأقسام الثلاثة لا على الثالث فقط، كما هو مبين في كتب المفسّرين والمعربين. وأما الكبرى فهي إجماعية، فمعنى الآية على هذه آتينا القرآن المؤمنين بمحمد ﷺ تسليماً، فأخذوه وصدّقوا به كلهم، فمنهم ظالم لنفسه فهو المسيء، ومنهم المقتصد وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومنهم

(1) **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، ص:114.

سابق بالخيرات وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السيئات، ولا يقال بين الاصطفاء والظلم منع الجميع، فلا يدخل الظالم في المصطفين، وإلا لزم أن يكون قسيم الشيء قسماً منه، لأنّا نقول: الظالم أعم من الكافر، ولا إشعار للأعم بالأخص، **فإن كل كافرٍ ظالم، وليس كل ظالم كافر** وبيان ذلك: هو أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فيصدق على الكافر أنه ظالم باعتبار كفره وباعتبار معصيته، على القول بخطابه بالفروع، ولا يصدق الظالم على المومن، ولا يصدق على المومن إلا بالمجاز، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، أي لا غيرهم. وغير المؤمنين على ما تقتضيه قاعدة الحصر المقررة في البيان في مثل ذلك. ومن جهة المعنى أيضاً، فإن الكافر وضع قلبه الذي به اعتبار الدين في غير موضعه، وهو الكفر فهو الظالم الحقيقي. وأما المؤمن فإنه وضع قلبه في موضعه، وهو الإيمان فلا يصدق عليه ظالم إلا بالمجاز، وعلاقته وضع النفس في غير موضعهاباعتبار المعصية وقرينته التزام التقييد، فيقال: ظالم لنفسه، كما في هذه الآية ومنه قوله عليه السلام: (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن**) ولا يقال: الأصل في الإطلاق هو الحقيقة لا المجاز، لأنا نقول: الأصل عدم الاشتراك، والمجاز خير منه على ما لاح في أصول الفقه.

ولا يندفع بذلك بدعوى الاشتراك المعنوي والتشكيك، لاستلزامهما نفي الاشتراك اللفظي، فالتحقيق ثبوت العناد بين الاصطفاء وظلم الكفر، لا بينه وبين ظلم المعصية كما قال النبي ﷺ تسليماً فيما روى عنه عمر رضي الله عنه: (**ظالمنا مغفور له**).

واعلم أن إطلاق القول بالمغفرة للظالم من المؤمنين في الآية والخبر من غير تقييد بنفوذ الوعيد في طائفة من عصاة المؤمنين الذين لم يتوبوا، هو مذهب المرجئة القائلين بأن الذنب لا يضر مع الإيمان، وهو خلاف مذهب أهل السنة، فقد أجمعوا على أن الوعيد لا بد من إنفاذه في الطائفة المذكورة، فليس كل ظالم يدخل الجنة من غير عقاب كما يظهر من تقرير بعض الناس

للكلام المسؤول عنه. على أنا نقول: إن صدر ذلك الإطلاق من سُنيّ حملناه على ما يؤول إليه أمر من ينفذ فيه من عصاة المؤمنين، فإنه لا بد من دخول الجنة فقد تناوله الضمير الذي هو في الواو في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾. حيث وقعت الشركة في دخول الجنة بين الأقسام الثلاثة، ولا يمنع من ذلك الاشتراك اختلاف الدخول، فعلى هذا تحمل الآية عند أهل السنة فالإطلاق في تقريرها من غير تقييد بما ... إلا على مذهب الإرجاء. وقد وقع للمفسرين من أهل السنة كالواحدي والإمام فخر الدين في تأويل الأقسام الثلاثة عبارات:

الأولى: الظالم راجح السيئات، والمقتصد الذي تساوت حسناته وسيئاته، والسابق هو الذي رجحت حسناته.

والثانية: الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد هو الذي تساوى ظاهره وباطنه، والسابق باطنه خير من ظاهره.

الثالثة: الظالم الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه، والمقتصد هو الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف، والسابق الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد.

الرابعة: الظالم صاحب الكبيرة، والمقتصد صاحب الصغيرة، والسابق المعصوم.

الخامسة: الظالم التالي للقرآن غير العالم به العامل بموجبه، والمقتصد التالي العالم، والسابق التالي العالم العامل.

السادسة: الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلم، والسابق العالم.

السابعة: الظالم أصحاب المشأمة، والمقتصد أصحاب الميمنة، والسابق المقرّب ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

الثامنة: الظالم الذي يحاسب فيدخل النار، والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة، والسابق الذي يدخل الجنة بغير حساب.

التاسعة: الظالم المصر على المعصية، والمقتصد التائب، والسابق المقبول

التوبة.

العاشرة: الظالم الذي أخذ القرآن ولم يعمل به، والمقتصد الذي عمل به، والسابق الذي أخذ القرآن وعمل به وبين للناس العمل بهففعلوا فهو كامل وهو مكمل، والمقتصد كامل، والظالم ناقص.

والمختار عند الفخر: أن الظالم هو المخالف أوامر الله المرتكب مناهيه، فإنه واضع الشيء في غير موضعه. والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وإن لم يوفق لذلك، وصدر عنه إثم فإنه اقتصد واجتهد وقصد الحق، والسابق الذي لم يخالف بتوفيق الله، ويدل عليه قوله تعالى:چ گ گ چ أي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه، وفيما اجتهد فهو سابق بالخيرات يقع في قلبه فيسبق إليه قبل تسويل النفس، والمقتصد يقع في قلبه فتردّه النفس، والظالم تغلبه نفسه.

وبعبارة صوفية: من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها فهو ظالم، ومن جاهد نفسه فغَلب تارة وغُلِبَ أخرى فهو المقتصد، ومن قهر نفسه فهو سابق ذلك هو الفضل الكبير. وصلّ اللهم على سيدنا محمد بخير أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمامحضرتك، وخاتم أنبيائك، حاء الرحمة، وميمي الملك، ودال الدوام، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، عدد ما هو في علمك كائن أو قد كان، عدد ما ذكرك وذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، إنك على كل شيء قدير... وكتب **عبيد الله أحمد بن زكري لطف الله به.**

- **الخامس عشر: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله (ت: 909هـ):**

الإمام الشيخ محمد المغيلي البربري التلمساني، أبو عبد الله، ومغيلة من أقدم قبائل البربر، أحد أعلام وشيوخ الجزائر والعالم الإسلامي عموما، ولد بتلمسان سنة: 830هـ، وتقلب في بيئات وحواضر علمية متنوعة من أرض

الجزائر وخارجها، إذ تعتبر تلمسان دار المولد والنشأة، وبجاية دار النهل من المعارف، وجزائر بني مزغنة دار الشيخ والزوجة، وبلاد توات دار القضاء والجهاد في سبيل الله، ثم إلى عاصمة العلم والعلماء فاس، ثم بلاد السودان الغربي دار الدعوة والتعليم، فالحجاز للحج والتعبد، فليبيا عائدا من هجرته، ثم بلاد توات أرض الوفاة، فتنوع بذلك شيوخ الشيخ وطلبته.

حلَّاه التنبكتي بالقول: «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم، متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين»[1]، وابن مخلوف بالقول: «خاتمة الأئمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتفنن في العلوم والصلاح والدين المتين»[2]، وابن مريم في «البستان» بالقول: «خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة، القدوة الصالح السني الحبر، أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين، المشهور بمحبة رسول الله ﷺ وبغض أعدائه»[3].

أخذ في حاضرة تلمسان عن شيوخها وأعلامها منهم الإمام السنوسي المفسِّر، وببجاية عن الإمام أبي العباس الوغليسي وبحاضرة بني مزغنة عن الإمام المفسِّر عبد الرحمن الثعالبي الذي زوجه ابنته زينب، والشيخ أحمد بن عبد الله الزواوي، وببلاد توات عن الشيخ أبي زكريا يحي بن يدير التدلسي[4]، وأخذ عنه الخلق الكثير ممن لا يحصون.

مما اشتهر به الإمام رحلته للدعوة والتعليمفي بلاد السودان الغربي، الذين

(1) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:576.

(2) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:395.

(3) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، ج:01، ص:395.

(4) يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا الفقيه العالم العلامة قاضي توات، أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره، وعنه الشيخ محمد بن عبد الكريم الغيلي وتوفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة. انظر: «**نيل الابتهاج**»، ج:01، ص:637.

وصفهم بالقول: «والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى والكفر، وأصلهم كان ذلك»[1]، حيث دخل» بلاد «أهير» ودخل بلاد «تكدة» واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به، ثم دخل بلاد «كنو» و»كشن» من بلاد السودان واجتمع بصاحب «كنو» واستفاد عليه، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده.

ثم رحل لبلاد «التكرور» فوَصَل إلى بلدة «كاغو» واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف، وألَّف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل، وبلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود فانزعج لذلك»[2].

قلتُ: وبلاد «أهير» تقع الآن شمال دولة النيجر، وبلاد «تكدة» مركز مهم في طريق القوافل بين مصر ومالي، وبلاد «كانو» عاصمة دولة نيجيريا، وبها أسَّس مدرسة شرعية ساهمت مساهمة كبيرة في نشر الإسلام، ولازالت لحد الساعة، وللإمام المغيلي بها أحفاد لحد الساعة. وبلاد «كشن» التي تسمى الآن «بكاتسينا» وهي مدينة شمال نيجيريا، دخلها سنة: 898هـ، ومدينة كاغو تقع على ضفاف نهر النيجر، وهي اليوم أحد مدن دولة مالي.

ومن رحلاته المشهورة أيضا رحلته لأسيوط بمصر ولقائه بالإمام السيوطي، الذي حكى له مقتل رئيس عرب برقة على يديه ولحوق أهله للثأر منهم، وتدارس الأحاديث مع السيوطي، وقد حكاها بتفاصيلها صاحب «الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد»[3]، وكانت بينهما مراسلات وردود ذكرها صاحب «المعيار» وأهل التراجم، وانتصر مرتضى الزبيدي للمغيلي في ذلك

(1) شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق: علال بوربيق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط خ، ت:2013م، ج:01، ص:80.

(2) **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، ج:01، ص:577.

(3) لمحمد بن المختار الكنتي، وقد حقق الكتاب لنيل دبلوم الدراسات العليا بالرباط سنة 1992م، من طرف الطالب: شفيق أرفاك، ص:19.

بالقول:

«ثم رأيت كلام الشيخ الماهر الفقيه المتبحر أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي في رده على السيوطي، وكان السيوطي إذا ألَّف تأليفا بعثه إليه، فلما ألَّف تأليفه الذي سماه القول المشرق في تحريم المنطق بعثه إليه، فردَّ عليه المغيلي غاية الرد وبالغ في الإنكار عليه وقال في ذلك قصيدة»[1].

وكثير من أهل التراجم لم يغفلوا فتواه وجهاده لليهود بمنطقة توات ومراكش وغيرها، وإجلاء اليهود من تلك المناطق بسبب فتواه فيهم، بل وخوضه غمار جهادهم بيديه ودعوة الناس لذلك وله في ذلك تصانيف زكاها كثير من أهل العلم في تلك المرحلة كالإمام السنوسي وابن غازي الفاسي وابن زكري وغيرهم.

حلَّاه صاحب «الطرائف والتلائد» بصاحب التآليف المفيدة والتصانيف العديدة، حيث**وصلت تصانيفه** حد 48 تصنيفا أو أزيد أذكر منها:

«مصباح الأرواح في أصول الفلاح» قال التنبكتي: كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرظاه. والكتاب مطبوع متداول.

«أربعون حديثا» منها نسخة بالمكتبة الوطنية بفرنسا... 2/ 2/ 133(1/ 782) و(2ب 65-).

«إفهام الأنجال في شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد برقم: **cclxxx**.

«إمناح الأحباب من منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب» منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ: 250 مجاميع.

«شرح الوغليسية» منه نسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء،

(1) **تحفة السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، مرتضى الزبيدي، ج: ص:.

المغرب، برقم حفظ: 315/ 19.

«منظومة في مدح النبي ﷺ» منها نسخة ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم حفظ: 683ق.

«مفتاح النظر في علم الحديث»وفيه أبحاث مع النووي في تقريبه، وهو في عداد المفقود.

«تعريف فيما يجب على الملوك» منه نسخة بالخزانة العامة، بالمغرب، رقم الحفظ: 529/ 9.

«فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار» منه نسخة بالخزانة العامة، بالمغرب، رقم الحفظ: D 1602.

«إكليل المغني حاشية على شرح مغني النبيل في شرح مختصر خليل»، و«تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين» ...وغيرها.

قلتُ: وأحسن من أحصاها وذكر مواطنها واعتمد مبحث صحة نسبة الكتاب لصاحبه هو الدكتور: علال بوربيق محقق تصنيفه «تفسير الفاتحة».

- **صلته بالتفسير وعلومه:**

يعتبر الإمام المغيلي أحد أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير تأليفا، بمؤلفاته الثلاث:

الأول: «**البدر المنير في علوم التفسير**» ذكر الدكتور محمد بن بريكة أنه في ستين مجلدا، وأنه في الخزانات التواتية بأدرار ولم يزد على ذلك، كما أشار صاحب «المعلمة» إلى نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر[1]، ولم يشر إلى رقمها، والبحث جار عن هاته الدرة التفسيرية.

الثاني: «**تهليل القرآن**» منه نسختان:

(1) **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، بشير ضيف بن أبي بكر، ص:44.

الأول: ضمن مجموع برقم: 374 في خزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان، رقمها الترتيبي بحسب دليل مخطوطات الخزانات الحبسية بالمغرب: 320.

الثانية: بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم حفظ: 1205.

الثالث: «**تفسير سورة الفاتحة**»حُقق من طرف الأستاذ علال بوربيق طبعة مؤسسة البلاغ سنة: 2013م، وحقق في مجلة رفوف في عددها الثالث الصادر في ديسمبر 2013 من طرف الأستاذ المغيلي خدير، ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان، واعتمدت النسخة المطبوعة للدكتور بوربيق في بيان منهج الإمام المغيلي في تفسيره.

- **منهج الإمام المغيلي في التفسير من خلال تفسيره للفاتحة:**

كان تفسير الشيخ المغيلي لسورة الفاتحة استجابة لطلب أحد السائلين بأن يكتب له في ذلك، إذ أورد هذا في مقدمته بالقول: «فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من تفسير فاتحة الكتاب ذكرى لأولى الألباب»[1]، ولم يشر لكونه طالب علم أو عالم أو صديق أو حاكم أو من عوام الناس.

ابتدأ تفسيره بذكر أسمائها المتنوعة، وأنها مكية النزول، بعد أن عرَّف المكي بأنه ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها[2]، ثم أورد جملة من الأحاديث والآثار في فضلها، وفضل التفسير عموما مستشهدا بأبيات شعرية شارحا لها.

وقد اعتمد الإمام مجموعة من المصادر التي كان ينقل منها ومن آراء أصحابها ترجيحا أو استدلالا، كـ«جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للإمام

(1) **شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي**، دراسة وتحقيق: علال بوربيق، ج:01، ص:217-218.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:218.

الطبري، و«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية الأندلسي وغيرها، واعتمد النقل بعبارة «بعض المفسِّرين» دون بيان لأسمائهم أو أسماء كتبهم، كصنيعه عندبيان الفرقبين الرحمن والرحيم، وبيان الصراط والمراد منه هل الحقيقة أم المجاز وغير ذلك.

ويظهر اعتماد الإمام المغيلي لأسلوب التفسير التحليلي في تفسيره هذا، حيث يورد جملة من المسائل بالشرح والتوضيح في كل آية، مبينا لدلالة الكلمات لغويا وشرعيا محاولا الربط بين الآيات وعلة ذلك،

مستندا لعلوم اللغة والبلاغة، فقد أولى الإمام الجانب اللغوي أهمية كبرى، كما في تفسير كلمة الرب والعالمين والرحمان والرحيم، يقول الإمام: «العالمون، جمع عالم وهو كل موجود سوى الله، مأخوذ من العَلَم والعلامة، لأنه يدل على أسماء خالقه جل وعلا، فيقال لجملة الكون عالم، فلا يثنى ولا يجمع، ولكل نوع من أنواعه عالم، فيثنى ويجمع بحسب ذلك»[1].

أما عن جملةعلوم القرآن التي استعملها الإمام المغيلي في تفسيرِه، ومنهجه في إيرادِها، فقد تطرق للقراءات عند قوله تعالى ﴿مَٰلِكِ﴾ إذ يقول: «و«مَلِكِ» على قراءة بعض السبعة كنافع، و«مَالك» على قراءة بعضهم كعاصم، من ملك بمعنى شدَّ وضبط، ثم يختص كل تصرف من اللفظة بنوع من المعنى، فالمَلِك في الشيء شاده وضابطه بصفة المُلك، والمالك للشيء شاده وضابطه بصفة المِلك، فذكرُ المَلك أفخم وأدخل في المدح من ذكر المالك... فالقراءتان حسنتان لأن الله تعالى ملك يوم الدين ومالكه حقيقة»[2]، كما تطرق للقراءات أيضا في قوله تعالى ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾.

وأورد جملة من أقوال الصحابة مفسِّرا بها بعض الآيات القرآنية إظهارا منه

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:224.

(2) شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق: علال بوربيق، ج:01، ص:226-227.

لبصمة التفسير بالمأثور، كإيراده لها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ إذ يقول: «وفسَّر هنا ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد رضي الله عنهم ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾ بالنصارى، ورواه عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ»[1].

وفي تفسير ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أيضا إذ يقول: «واختلف تعبير المفسِّرين عن المعنى الذي استعير له الصراط هنا بما حاصله قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصراط المستقيم هنا القرآن»[2]، واستخدم تفسير القرآن بالقرآن عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إذ أورد تفاسير جملة من الصحابة بأنها قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

كما كان الإمام المغيلي مكثرا من الأحاديث النبوية، فقد أورد جملة منها وهو يفسر الآيات، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إذ يقول: روى أبو سعيد الخدري وابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (**الرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة**).

كما أورد حديث: (يا رسول الله ما أطول يوما مقداره خمسين ألف سنة، فقال: **والذي نفسي بيده ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة**) عند حديثه عن ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وعند حديثه عن ختم الفاتحة بقول «آمين» بحديث: (أن النبي ﷺ سمع رجلا يدعو فقال: **أوجب إن ختم**، فقال رجل: بأي شيء يختم يا رسول الله؟ قال: **بآمين**).

كما يظهر جليا اعتماد الإمام على علمي الصرف والنحو في تفسيره هذا، كذا المسائل البلاغية، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذ يقول:

(1) نفس المرجع، ج:01، ص:232.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:232.

«و﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ جملتان، فاعل كل منهما ضمير للمتكلم مع غيره، مستتر وجوبا تقديره: نحن»، وإعرابه للفظة: ﴿إِيَّاكَ﴾ بالقول: «ضمير نصب صالح للمتكلم والخطاب والغيبة والمذكر والمؤنث إفرادا وتثنية وجمعا، وإنما يتبن المراد منها بالأحرف المتصلة به للدلالة عليه كالكاف هنا»[1].

وفي التصريف في لفظة ﴿نَسْتَعِينُ﴾ يقول: «وأصل نستعين نستعون، نقلت حركة الواو إلى العين فقلبت ياءا لانكسار ما قبلها، فصار نستعين مصدره استعانة، وأصله استعوانا، نقلت حركة الواو إلى العين، فقلبت ألفا وحذف أحد الألفين، وفي كونه الأول أوالثاني قولان، ثم لزمت الهاء عوضا عن المحذوف»[2]، وقد أورد جملة من ذلك، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يورد لطيفة بلاغية قال فيها: وتقديم المفعول على فعله يدل على اختصاص الفعل به، فيفيد هنا الإخلاص.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام المغيلي كان أشعري المعتقد مفوضا منافحا عليه، وقد أظهر ذلك في تفسيره للفظة الصراط والمغضوب عليهم أثناء حديثه عن صفة الغضب، وأورد الصفات الذاتية الثمانية في مقدمته في قولهم:

حياة وعلم قدرة وإرادة كلام وإبصار وسمع مع البقا

كما أورد جملة من المسائل الكلامية منها: هل الرحمة صفة ذات أم صفة فعل؟ هل يقال: لله تعالى على الكافر نعمة أم لا؟ وتناولها بنفس كلامي مرجحا مذهب السادة الأشاعرة في ذلك.

وظهر الإمام المغيلي في تفسيره هذا بشخصية مغايرة لما عرف من ثقافة التحشية والنقل عند البقية وفي تلك الأزمنة، فلم يمارس النقل لتفاسير الأقدمين، بل أظهر شخصية تفسيرية وبصمة علمية في ذلك موردا للأقوال مرجحا بينها

(1) شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي، دراسة وتحقيق: علال بوربيق، ج:01، ص:229.

(2) نفس المرجع، ج:01، ص:230.

بل ومضعفا للبعض الآخر، كما لم يخل تفسيره من بصمات إشارية صوفية تزكوية، مما جعله ذا قيمة علمية.

ومع نقصان عدد لوحات المخطوط الذي اعتمده الدكتور علال، وفقدان تفسيره الأكبر «البدر المنير في علم التفسير» ليس لنا إلا الوقوف على ما أوردته من تلك اللوحات.

وخدمة الإمام المغيلي للتفسير وعلومه في الحواضر العلمية ببلاد الجزائر وخارجها معروف مشهور، وتآليفه في ذلك مشتهرة معلومة، غير أننا لم نجد ما يمكن اعتماده في بيان حلقاته ودروسه التفسيرية في الجوامع والمساجد والمدارس، وبيان الأدلة في خدمته للتفسير تدريسا مع الجزم بذلك.

لوحات من مخطوط «تفسير سورة الفاتحة» للإمام محمد عبد الكريم المغيلي

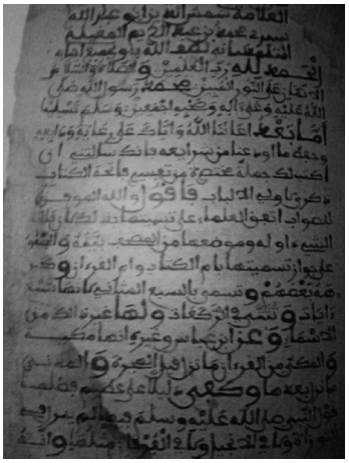

اللوحة الأولى من مخطوط «تفسير سورة الفاتحة» للإمام المغيلي

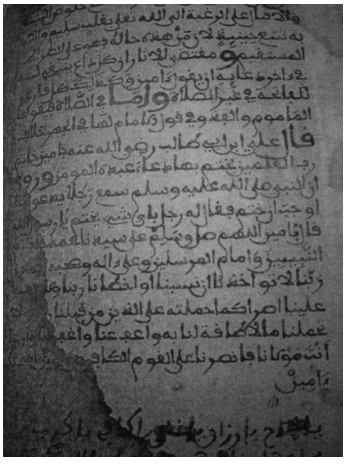

اللوحة الأخيرة من مخطوط «تفسير سورة الفاتحة» للإمام المغيلي

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

1. **أبجد العلوم**، محمد صديق خان، دار ابن حزم، لبنان، ط:01، ت:1423هـ- 2002م.
2. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:01، ت:1394هـ/1974م.
3. **الإحاطة بأخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:1424هـ.
4. **أخبار الأئمة الرستميين**، ابن الصغير، تحقيق: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ت:1986م.
5. **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت:2002م.
6. **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة**، محمد بسكر، دار كردادة، الجزائر، ط خ، ت:2013م.
7. **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت:2009م.
8. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:01، ت:1957م.
9. **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، ابن مريم التلمساني، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:2014م.
10. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط:01، دت.

11. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط:03، ت:1983.

12. **بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله**، علي السالوس، دار الاعتصام، القاهرة.

13. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام**، المؤلف: شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:2003م.

14. **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، خالد بن عيسى البلوي، تحقيق: حسن السائح، المكتبة الشاملة.

15. **تاريخ إفريقية والمغرب**، الرقيق القيرواني، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، تونس، ط:1، ت:1994م.

16. **تاريخ بني ميزاب**، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المطبعة العربية، الجزائر، ط:3، ت:2014م.

17. **تاريخ الجزائر الثقافي**، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت:2011م.

18. **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ت:1984م.

19. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وجماعة، مطبعة فضالة، المغرب، ط:01، ت:1983م.

20. **تعريف الخلف برجال السلف**، محمد الحفناوي، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01، ت:2012م.

21. **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، عبد الجليل قريان، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 01، ت: 2011م.

22. **تفاسير آيات الأحكام**، علي العبيد، دار التدمرية، الرياض، ط: 01، ت: 2010م.

23. **تفسير الراغب الأصفهاني**، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، القاهرة، ط: 01، ت: 1999م.

24. **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط: 01، ت: 1423هـ/2002م.

25. **تفسير كتاب الله العزيز**، هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، ت: 1990م.

26. **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 07، ت: 2000م.

27. **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، محمد بن رزق، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 01، ت: 1426هـ.

28. **تقييدات ابن المفتي**، ابن المفتي حسين بن رجب، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط: 1، ت: 2009م.

29. **التيسير في قواعد علم التفسير**، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط: 01، ت: 1998م.

30. **ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي**، أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، ت: 1403هـ.

31. **جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي**، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، بيروت، دط، ت: 1980م.

32. **الجزائر بين الماضي والحاضر**، أندري برنيان، ترجمة: منصف عاشور، الديوان الوطني للمطبوعات الجزائرية، الجزائر، دط، ت: 1984م.

33. **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، إبراهيم التهامي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط: 01، ت: 2012م.

34. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد معوض، عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 01، ت: 1418هـ.

35. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، دط، ت: 1974م.

36. **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، المغرب، ط: 02، ت: 1406هـ.

37. **درة الحجال في أسماء الرجال**، أحمد بن محمد ابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ط: 01، ت: 1971م.

38. **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، أحمد بن أبي عبد الله قاسم البوني، تحقيق: محمد بوبكر، سعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، ط: 01، ت: 2011م.

39. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط: 01، ت: 2002م.

40. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط: 02، ت: 1972م.

41. **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط:02، ت:1977م.

42. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دط، دت.

43. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ابن خلدون الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2، ت:1988م.

44. **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، محمد المراكشي، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:2012م.

45. **رحلة القلصادي**، علي القلصادي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دط، دت.

46. **الرحلة المغربية**، محمد العبدري البلنسي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، دط، ت:2007م.

47. **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان**، أبو بكر عبد الله بن أبي بكر المالكي، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:01، ت:1951م.

48. **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، لابن باشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت:1955م.

49. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت.

50. **السير**، أبو العباس أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ت:

1301هـ.

51. **سير الأئمة وأخبارهم**، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02، ت: 1982م.

52. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 01، ت: 2003م.

53. **شخصية الإمام محمد عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي**، دراسة وتحقيق: علال بوربيق، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط خ، ت: 2013م.

54. **طبقات المفسرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، ت: 1396هـ.

55. **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، تحقيق: جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

56. **طبقات المفسرين**، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، ت: 1983م.

57. **طبقات كتاب المشايخ بالمغرب**، أبو العباس الدرجيني، تحقيق: طلاي إبراهيم، دار البعث، الجزائر، ط: 01، ت: 1974م.

58. **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة**، أبو العباس الغِبْرِيني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 02، ت: 1979م.

59. **فتوح مصر والمغرب**، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، ت: 1415هـ.

60. **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي، دار المعارف، الرباط، دط، ت: 1340هـ.

61. **فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهريّة**، صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط: 01، ت: 1983م.

62. **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، ت: 1982م.

63. **فهرست الرّصَّاع**، محمد الأنصاري الرصاع، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ط: 01، ت: 1967م.

64. **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط: 02، ت: 2007م.

65. **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، ت: 1419هـ.

66. **قواعد الترجيح عند المفسرين**، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط: 01، ت: 1996م.

67. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 03، ت: 1407هـ.

68. **مباحث في علم الكلام والفلسفة**، علي الشابي، دار أبو سلامة، تونس، دط، ت: 1977م.

69. **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، يوسف الكتاني، دار لسان العرب، بيروت، ط: 01، دت.

70. **المختصر في تاريخ الجزائر**، صالح فركوس، دار العلوم، الجزائر، دط، ت: 2002م.

71. **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 02،

ت: 1968م.

72. **معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره**، علي محمد الصلابي، دار الأندلس الجديدة، مصر، ط: 01، ت: 2008م.

73. **معجم أعلام الإباضية**، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02، ت: 1421هـ/2000م.

74. **معجم أعلام الإباضية**، محمد موسى بابا عمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02، ت: 2000م.

75. **معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 02، ت: 1980م.

76. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، تحقيق: جماعة، دار صادر، بيروت، ط: 02، ت: 1995م.

77. **معجم المفسرين**، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط: 03، ت: 1988م.

78. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.

79. **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي وجماعة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دط، ت: 1981م.

80. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، طاش كبري زاده، تحقيق: اللجنة العلمية للدار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، ت: 1985م.

81. **المفسرون الجزائريون عبر القرون**، محمد إسكندر، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، دت.

82. **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:02، ت:1427هـ.

83. **مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب**، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، نشره في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، ط:2، ت:1954م.

84. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:01، ت:1996م.

85. **منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية**، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1987م.

86. **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، الحسين بن محمد الورثيلاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ط:01، ت:2008م.

87. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:02، ت:2002م.

88. **نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**، الطاهر بونابي، مجلة: حوليات التراث، العدد:02، ت:2004م.

89. **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، ابن زاكور الفاسي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خ، ت:2011م.

90. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري، تحقيق:

إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: 08، ت: 1997م.

91. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد بابا التنبكتي، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط: 01، ت: 1989م.

92. **نيل السائرين في طبقات المفسرين**، محمد طاهر، مكتبة اليمان، باكستان، ط: 03، ت: 2000م.

93. **هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد البغدادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دط، ت: 1951م.

94. **وصف إفريقيا**، الحسن الوزان الفاسي، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02.

كشَّاف المخطوطات التفسيرية:

1: أبحاث في التفسير ..... 235.

2: أحكام القرآن أحمد الباغاني .....95، 96، 97، 98، 99.

3: اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة ..... 225.

4: الأمور الناجحة في كشف أسرار الفاتحة ..... 168.

5: البدر المنير في علوم التفسير ..... 264.

6: تحفة الأحباب ومنية الأنجاب فِي أسرار بِسم الله وفاتحة الكتاب .. 134.

7: تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن ..... 175.

8: التذييل في ختم التفسير ..... 230.

9: التعليقة في منافع القرآن العظيم وخواص الفرقان الحكيم ..... 135.

10: تفسير إبراهيم بن فائد الزواوي..... 159.

11: تفسير ابن ناشر الوهراني..... 129.

12: تفسير أبي يعقوب الورجلاني..... 80، 112.

13: تفسير سورة الإخلاص ..... 226، 227.

14: تفسير سورة الأنعام للعقباني ..... 215.

15: تفسير بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية ..... 242.

16: تفسير سورة ص..... 242.

17: تفسير الفاتحة لابن زاغو ..... 230.

18: تفسير سورة الفاتحة للمغيلي 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271.

19: تفسير سورة الفاتحة للسنوسي ..... 242.

20: تفسير سورة الفتح لعبد الرحمن بن الإمام ..... 218.

21: تفسير سورة الفتح للعقباني ..... 215.

22: تفسير سورة الكوثر ..... 242.

23: تفسير عبد الرحمن بن رستم ..... 80، 81.

24: تفسير عبد الوهاب بن رستم ..... 83، 84.

25: تفسير القرآن الكريم السنوسي ..... 241.

26: تفسير القرآن الكريم للمنداسي ..... 145.

27: تفسير المباني ..... 23.

28: تفسير يحيى ابن سلام ..... 85.

29: التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات .. 118.

30: التقييد الصغير ..... 156، 157.

31: تقييد على سور من الكتاب العزيز ..... 226.

32: التقييد الكبير في التفسير ..... 155، 156، 157.

33: تهليل القرآن ..... 264.

34: خَصَائِص سر الْكَرِيم فِي فَضَائِل بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ..... 134.

35: الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز ..... 175، 176.

36: رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن ..... 36.

37: صدق الإخلاص في تفسير سورة الإخلاص ..... 226، 227.

38: شمس المعارف ولطائف العوارف ..... 136.

39: عمن يتصدى لتفسير كلام الله، الشيخ إبراهيم حفار ..... 29.

40: فاتحة الكتاب الشريف والحرز الأعلى المنيف ..... 135.

41: فرقان الفرقان وميزان القرآن ..... 138.

42: فصل في سر الفاتحة ..... 135.

43: فصول في التفسير ..... 135.

44: فضائل خواص آية الكرسي ..... 133، 135، 136.

45: فضل الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب .. 135.

46: مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف ..... 242.

47: مقدمة في التفسير ..... 230.

48: المواهب القدسية في المناقب السنوسية ..... 243.

49: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن ..... 25.

فهرس المحتويات:

المقدمة 7
● **المحور الأول: مدخل لضبط المصطلحات، الأهمية والغاية** 15
أولا: المُفسِّر 18
ثانيا: الجزائري 35
● **المحور الثاني: أعلام الجزائر في التفسير من كتب البيليوغرافيا والتراجم** . . 39
أولا: تصانيف جزائرية 42
ثانيا: تصانيف لأعلام غير جزائريين 52
● **المحور الثالث: حركة التفسير في الجزائر زمن الفتح الإسلامي** 59
● **المحور الرابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الرستمية** 73
أولا: عبد الرحمن بن رستم الإباضي (ت: 171هـ) 78
ثانيا: عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت: 208هـ) 82
ثالثا: هود بن محكم الهواري الأوراسي (ت: 280هـ) 84
● **المحور الخامس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الفاطمية** . . . 89
أولا: أبو العباس أحمد الباغاني الأمازيغي (ت: 401هـ) 93
ثانيا: أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت: 402هـ) 100
● **المحور السادس: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحمادية** . . . 105
الأول: يوسف بن إبراهيم بن مياد الوارجلاني، أبو يعقوب (ت: 570هـ) . . . 109
الثاني: حسن بن علي بن محمد المسيلي، أبو علي (ت: 580هـ) 115

● **المحور السابع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الموحّدية** . . . 121
أولا: يحيى بن أبي علي الزواوي البجائي، أبو زكريا (ت: 611هـ) 124
ثانيا: علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني، أبو بكر(ت:615هـ) 128
ثالثا: أحمد بن علي بن يوسف البوني، تقي الدين أبو العباس (ت:622هـ) 130
رابعا: محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي التلمساني (ت: 625هـ) . . 136
● **المحور الثامن: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الحفصية** 141
الأول: يحيى بن محمد بن موسى المنداسي التلمساني (ت: 652هـ) . . . 144
ثانيا: منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي، أبو علي (ت: 731هـ) . . . 146
ثالثا: أحمد بن العباس النقاوسي، أبو العباس (ت: 763هـ) 148
رابعا: منصور بن علي الزواوي، أبو عبد الله (ت: نحو 776هـ) 150
خامسا: عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي (ت: 786هـ) 151
سادسا: أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي أبو العباس (ت: 830هـ) 153
سابعا: إبراهيم بن فائد الزواوي النجار، أبو إسحاق القسنطيني (ت:857هـ) 158
ثامنا: محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي، أبو الفضل (865هـ) . . 160
تاسعا: أحمد بن محمد الشُّمُنّي القسنطيني، أبو العباس(ت: 872هـ) 165
عاشرا: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، أبو زيد (ت: 875هـ) 170
الحادي عشر: إبراهيم بن محمد الصدقاوي، الزواوي المصعصع (ت:882هـ) . . 176
الثاني عشر: محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني، الرصَّاع (ت:894هـ) . . . 177
● **المحور التاسع: التفسير والمفسِّرون الجزائريون زمن الدولة الزيانية** 193
أولا: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو زيد، ابن الإمام (ت:741هـ) 198
ثانيا: محمد بن محمد بن عبد الرحمن المَقَّرِي التلمساني (ت:759هـ) 201

ثالثا: محمد بن أحمد بن علي الإِدْرِيسي، الشَّرِيف التِّلِمْسَاني(ت:771هـ) 205
رابعا: عبد الله بن محمد الإدريسي الحسني التلمساني(ت: 792هـ) 208
خامسا: سعيد بن محمد التلمساني العقباني، أبو عثمان(ت: 811هـ) 212
سادسا: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد يحيى التلمساني(ت: 826هـ) 216
سابعا: محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، التلمساني الحفيد(ت: 842هـ) 218
ثامنا: أحمد بن محمد بن ابن زاغو المغرواي التلمساني(ت: 845هـ) 227
تاسعا: محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، أبو الفضل(ت: 845هـ) 230
عاشرا: محمد بن أحمد بن النجار التلمساني، أبو عبد الله(ت: 846هـ) . . .234
الحادي عشر: أحمد بن عبد الرحمن الحسني بن أبي يحيي التلمساني(ت: 895هـ) 235
الثاني عاشر: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني(ت: 895هـ) . . . 237
الثالث عشر: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله التنسي(ت: 899هـ) 247
الرابع عشر: أحمد بن محمد ابن زكري، أبو العباس(ت: 899هـ) 254
الخامس عشر: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(ت: 909هـ) 260
قائمة المصادر والمراجع 271
كشَّاف المخطوطات التفسيرية 281
فهرس المحتويات 284